جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الانبار ـ كلية الآداب
قســم التاريخ ـ الدراسات العليـا



النزاعـــات الداخلية في الأندلـــس
في عصر المرابطين والموحدين
(٤٨٤-٦٤٢هـ/١٠٩١-١٢٤٤م)

أطروحة تقدم بها الطالب

ناظم إبراهيم كريم محمد العبدلي

إلى مجلس كلية الآداب ـ جامعة الانبار وهي جزء من متطلبات نيل
شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

فاروق عبدالرزاق الآلوسي

١٤٣٧هـ ٢٠١٥م

ثبت المحتويات

المقدمة

اولا : أهمية وأهداف الدراسة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى اله وأصحابه ومن دعا بدعوته وسار على هديه إلى يوم الدين .

وبعد ...

فقد بدأ الفتح العربي الإسلامي للأندلس سنة (٩٢هـ/٧١١م) ، وأرسى فيه المسلمون قواعد حكمهم وأصبحت الأندلس قاعدة لحملات عسكرية إسلامية فتحت أجزاء مهمة من فرنسا ، ولو قدر للمسلمين النجاح في معركة بلاط الشهداء سنة (١١٤هـ/٧٣٢م) لحملوا أسس شريعتهم وأفكارهم الجديدة إلى معظم أنحاء أوربا ، ولظهر عصر النهضة ، فيها منذ عهد مبكر .

وأصبحت الأندلس بمدنها الإسلامية مركزا نيراً لمختلف العلوم وصنوف الثقافة ، توافدت إليها بعثات أوربا ورشفت من هذا المنهل أسس علومها وثقافتها ، وقد وصفت قرطبة حاضرة المسلمين في الأندلس بأنها " ... ينبوع متفجر العلوم ، وقبة الإسلام ، وحضرة الإمام ، ودار صوب العقول ، وبستان ثمر الخواطر، وبحر درر القرائح ، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض ، وإعلام العصر، وفرسان النظم والنثر،..." [(١)] .

لقد شهدت الأندلس بعد فتحها وأثناء عهود تاريخها نزاعات سياسية داخلية تظهر هنا وهناك مدفوعة بمصالح أطراف النزاع في محاولة منها بسط السيطرة على البلاد والإمساك بزمام الأمور فيها وكل ذلك على حساب الوجود العربي الإسلامي ، حتى قادت تلك النزاعات إلى تسلط العدو الخارجي والذي كانت نتيجته فيما بعد انهاء الحكم العربي الإسلامي في الأندلس .

وبغية التعرف على طبيعة تلك النزاعات وأسبابها ، جاء اختيار موضوع هذه الدراسة الموسومة (النزاعات الداخلية في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين

[(١)] ابن بسام ، ابو الحسن علي الشنتريني (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تح : احسان عباس ، ط١ ، دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٩م : ق١/ م١/ ٣٣ .

٤٨٤-٦٤٢ هـ/١٠٩١-١٢٤٤م) لأطروحتي للدكتورا لاسباب عدة ؛ وفي المقدمة منها عدم وجود دراسة اكاديمية مستقلة ـ بحسب علمي ـ عن طبيعة تلك النزاعات وأثرها على الوجود العربي الاسلامي في الاندلس . ومن الاسباب الاخرى لاختياري موضوع هذه الدراسة :

١- الإسهام في بحث تاريخ العرب المسلمين في الاندلس والاطلاع على احوالهم ، لاسيما في الجانب السياسي ؛ لما لهذه النزاعات من أهمية بالغة في أحداث الاندلس الداخلية والخارجية .

٢- ميل الباحث الى الدراسات المتعلقة بالتاريخ الاندلسي لاسيما في الجانب السياسي ، إذ سبق لي أن تناولت في دراسة الماجستير موضوع (النزاعات الداخلية في الاندلس حتى نهاية عهد الامارة ٩٥-٣١٦هـ/٧١٤-٩٢٨م) ، وهناك العديد من الدراسات التي سبقتني في هذا المجال منها : التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين لحمدي عبد المنعم محمد ؛ والأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني لعصمت عبداللطيف دندش ؛ وهناك أطاريح جزئت هذه المرحلة منها : المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي دراسة تاريخية وحضارية لليلى أحمد نجار في جامعة أم القرى ، وأطاريح أخرى عديدة لا يسع المجال لذكرها .

أهداف الدراسة :

١- بيان أن النزاعات الداخلية في الاندلس ليست حديثة عهد ، وإنما بدأت عندما انصرف المسلمون عن متابعة جهادهم خلف جبال البرتات (البرانس) ، وعجز المسلمين عن الاستمرار في توجيه جهودهم نحو الخارج ونحو الفتح في أراضي غالة– جنوب فرنسا- لا سيما بعد سنوات عدة من معركة بلاط الشهداء سنة (١١٤هـ/٧٣٢م) ؛ إذ اضطروا لتركيز اهتمامهم على معالجة المشاكل والنزاعات الداخلية التي تأزمت وجعلت الفاتحين من عرب المشرق وعــرب المغرب يلجأون

إلى القوة لحلها .

٢-الكشف عن دور العلماء في قيادة الثورات والحركات التي قامت في الاندلس خلال مدة الدراسة .

٣- اظهار جهود المرابطين والموحدين في ضم الاندلس الى الدولة المرابطية والدولة الموحدية ، وهذا يعطي دليلا على قابلية الحضارة العربية الاسلامية على التطور والانسجام بين مختلف المجتمعات رغم الاختلاف الديمغرافي بين المجتمع المغربي والاندلسي .

٤- توضيح أثر النزاعات الداخلية في ضياع الاندلس ، وانهاء الوجود العربي الاسلامي فيها ، ولاسيما تسلط العدو الخارجي المتمثل بالممالك النصرانية .

ثانيا : نطاق الدراسة :

لقد تضمنت الدراسة مقدمة وأربعة فصول رئيسة وخاتمة . وقسمت كل فصل على عدد من المباحث .

خصصنا الفصل الاول لدراسة المرابطين ومرحلة تأسيس دولتهم . تناولنا في المبحث الاول الاحوال السياسية في المغرب الاقصى قبل قيام دولة المرابطين . وتحدثنا في المبحث الثاني عن مرحلة تأسيس الدولة المرابطية ، أولا : أصل المرابطين ، وثانياً : بداية تأسيس الدولة المرابطية . وتطرقنا في المبحث الثالث عن الاحوال في الأندلس قبل تدخل المرابطين . وبحثنا في المبحث الرابع جهود العلماء في الأندلس في توحيد البلاد ولم الشعث ، وفي المبحث الخامس تناولنا جهود المرابطين في ضم الأندلس إلى الدولة المرابطية ، واستنجاد الأندلسيين بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، والعبور الأول للمرابطين إلى الأندلس ، ومعركة الزلاقة ، وأهم نتائج المعركة والعبور الثاني والثالث والرابع للمرابطين إلى الأندلس .

وتناولنا في الفصل الثاني النزاعات الداخلية في الأندلس في عصر المرابطين ، خصصنا المبحث الأول لدراسة الثورات في وسط الأندلس منها ثورة مدينة قرطبة سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م) ، وثور ة العامة في قرطبة سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) والثورة في مدينة جيان . ودرسنا في المبحث الثاني الثورات في غرب الأندلس ، منها ثورة ابن قسي والمريدين ، وأصل حركة المريدين والتصوف من حيث النشأة والتطور ، والصوفية في الأندلس في القرن السادس الهجري ، ومرحلة مطادرة السلطة المرابطية للمريدين ، واندلاع ثورة المريدين ، وأسباب فشل حركة المريدين . ووضحنا في المبحث الثالث الثورات في شرق الأندلس منها ثورة بلنسية وثورة مرسية . وضمنت المبحث الثورات في جنوب الأندلس منها ثورة غرناطة ، وثورة مالقة ، وثورة رندة ، وثورة شريش وأركش ، وثورة قادش . والمبحث الخامس تحدثنا فيه عن الصراع بين المرابطين والموحدين على السلطة ، والعبور الأول للموحدين إلى الأندلس ، وأسباب ضعف المرابطين وانهيار دولتهم .

وتطرقنا في الفصل الثالث عن الموحدين ومرحلة تأسيس دولتهم ، خصصنا المبحث الأول أصل الموحدين ، وثورة المهدي بن تومرت ، واعلان المهدية ، وعملية تنظيم الأصحاب . وتناولنا في المبحث الثاني التنظيم السياسي للموحدين منها ولاية العهد وجهود عبد المؤمن بن علي في قيام دولة الموحدين ، والعبور الثاني للموحدين إلى الأندلس ، والاثار السلبية لسقوط دولة المرابطين . أما الفصل الرابع من الدراسة تطرقنا به عن النزاعات الداخلية في الأندلس في عصر الموحدين ، فخصصنا المبحث الأول للنزاع بين الموحدين وابن مردنيش ، والمبحث الثاني درسنا فيه النزاع بين الموحدين وبنو غانية زمن الخليفة يعقوب المنصور ، والمبحث الثالث تطرقنا فيه النزاع بين الموحدين وبنو غانية زمن الخليفة الناصر لدين الله ، وأما المبحث الرابع تحدثنا فيه عن النزاع بين الدولة الموحدية وابن هود ، وخصصنا المبحث الخامس للنزاع داخل الاسرة الموحدية ، منها مشكلة ولاية العهد زمن الخليفة عبد المؤمن بن علي .

وقد حرصنا على الاستشهاد بأكبر قدر ممكن من النصوص التاريخية المعتبرة .

أما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج التي تمخضت عن هذه الدراسة ، وتم جمع المادة التاريخية من مصادرها المتنوعة ، ومن ثم وضعها في سياق يخدم المنهج الذي تخيرت في عرض فصول الأطروحة .

ثالثا : عرض المصادر والمراجع :

اعتمدت هذه الدراسة على مصادر ومراجع عالجت موضوعات مختلفة وأمدتها بمعلومات قيمة ، وفي محاولة لتوضيح المصادر التي افادت منها الدراسة يمكن تقسيمها حسب المادة التي تناولتها هذه المصادر :

أولا : كتب التاريخ :

١- كتب الحوادث ، وأهمها :

أ- كتاب الكامل في التاريخ : لعز الدين أبي الحسن المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، الذي يعد موسوعة تاريخية ضخمة ، لا يمكن الاستغناء عنها ، فهو أشهر من أن يعرف ولكن فيما يتعلق بدراستنا وأهمية الكتاب لها ، فقد أفدت من الروايات التي أوردها ابن الأثير عن تاريخ الأندلس ، إذ لا يمكن إلا الرجوع إليها ، إذ أورد روايات لم يرد ذكرها في غيره من المصادر، وقد اعتمد ابن الأثير على النظام الحولي في عرض مادة كتابه ، وأفادتنا رواياته في بيان الكثير من حركات التمرد وأحداث عهد المرابطين وعهد الموحدين ، وكانت على درجة عالية من الأهمية وبالرغم من كونه مؤرخا مشرقياً ، إلا انه أولى أخبار الدولة العربية الإسلامية في الأندلس عناية كبيرة ، ولاسيما الجزء التاسع والعاشر من الكتاب .

ب ـ كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب : لأبي محمد عبدالواحد بن علي المراكشي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ، وقد صنف كتابه بالمشرق في سنة (٦٢١هـ/ ١٢٢١م) ، مما يسر له قدرا كبيرا من الحيدة في رواياته ونقدها ، واتصالاته برجالات الدولة الموحدية جعلت كتابه يفيض بالأخبار السياسية ، غير أن أهمية المراكشي تظهر في اهتمامه الواسع بالنظم الموحدية ، فقد حرص على ذكر وزراء وكتاب وقضاة وولاة كل خليفة ، وفصل القول في تنظيمات الموحدين

وقبائلهم ، وذيل كتابه بمعلومات جغرافية هامة ساعدت كثيرا في تقدير الحياة الاقتصادية ، كما وأنه الكاتب الوحيد الذي أورد إحصاء للولايات الموحدية في المغرب الكبير ، غير أن عيب المراكشي أنه كتب من ذاكرته وبعيدا عن مصادر مروياته ، فجاءت بعض رواياته مرتبكة وضعيفة ومختلفة عن المصادر المعاصرة الاخرى ، لاسيما في ذكر تواريخ الاحداث ، وكيفما كان الامر فقد وفر المراكشي رواية ثانية عن الدولة الموحدية إذا ما اعتبرنا روايتا البيذق وابن صاحب الصلاة تمثلان رواية مؤرخي (البلاط) الموحدي ، وقد اعتمدت كثيرا على كتاب المعجب في سرد الكثير من الاحداث التي جرت في عهد المرابطين والموحدين في فصول الدراسة .

ت- كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين : لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق (ت آخر القرن السادس الهجري) ، يعد هذا الكتاب من أعم المصادر المتعلقة بتاريخ الموحدين لاسيما وأن أبا بكر الصنهاجي كان صديقا للمهدي بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية ومرافقا له ، فجاءت روايته عن الاحداث رواية شاهد عيان للوقائع والحوادث التي كان يعاصرها ؛ ولهذا اتسمت هذه الروايات بالوضوح والواقعية ، وإن كان يتعصب في كثير من المواضع للموحدين ويقف موقف المدافع عن المهدي وأتباعه ، وقد افدت من كتابه في الفصل الثالث من الدراسة فيما يخص ثورة ابن تومرت واعلان المهدية وتنظيم الاصحاب والتنظيم السياسي للموحدين .

ث- كتاب المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين : لأبي مروان عبدالملك بن صاحب الصلاة (ت٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) ، كان الكتاب في أصله ثلاثة أجزاء تبدأ من فترة المهدي وتنتهي بوفاة المؤلف ، والموجود منه الجزء الثاني ، وأحداثه امتدت عبر سنتي (٥٥٤ ــ ٥٦٩هـ) ، طريقة ابن صاحب الصلاة حولية ، وأسلوبه يغلب عليه السجع ولكنه لم يؤثر على دقته في ايراد الخبر ، فمصادره هي الروايات المباشرة والمشاهدة والوثائق التي أورد منها نصوصا كثيرة ، فجاء كتابه زاخرا بالمعلومات عن النظم السياسية والادارية والدينية والعسكرية والمالية للدولة الموحدية ، وكان الاعتماد عليه كبير في صفحات الدراسة ولاسيما فيما يخص الدولة الموحدية ؛ كونه من كتاب الدولة الموحدية ومعاصر لها .

ج- كتاب نظم الجمان : لأبي علي الحسين بن القطان الكتامي (ت القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) ، ويرجح محققه أن أصل الكتاب سبعة أجزاء تناول تاريخ المغرب منذ الفتح الاسلامي ، وقد ضاع أكثره والموجود المنشور هو جزء من الجزء السادس وفيه أخبار سنة (٥٠٠ـ ٥٣٣هـ) ، وقد رتبه على السنين ، والراجح أنه كتبه للخليفة المرتضى الموحدي (٦٤٦ ـ ٦٦٥هـ / ١٢٤٨ـ ١٢٦٦م) ، وربما كان ابن القطان أحد كتاب ذلك الخليفة ، وقد اعتمد على روايات مؤرخين ضاعت كتبهم مثل اليسع وابن الراعي وابن الوراق وابن صاحب الصلاة ، وأورد كثيرا من الوثائق لاسيما رسالة الخليفة عبد المؤمن التي بعثها سنة (٥٤٣هـ/ ١١٤٧م) إلى الولايات شارحا طريقة العمل في كافة نظم الدولة ، والى جانب هذا فقد ذكر ابن القطان معلومات واسعة عن تنظيمات الموحدين السياسية ، ويعاب على ابن القطان تعصبه للموحدين وتحامله على المرابطين ، وقد افدت كثيرا من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تح محمود علي مكي ، لاسيما في صفحات الفصل الثالث من الدراسة .

ح- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : لابن عذاري المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٢م) ، الذي يعد من مصادر التاريخ الأندلسي المهمة ؛ لأنه قدم معلومات تاريخية قيمة انفرد بها عن غيره ، وهذا المصدر يتألف من اربعة أجزاء يتناول فيه تاريخ المغرب والأندلس وقد رفد الدراسة بمعلومات غاية في الأهمية ، وقد قام بتحقيق ومراجعة الجزء الاول والثاني والثالث كل من ج . س . كولان ؛ وليفي بروفنسال ، وقد اعتمدت في دراستي على الجزء الرابع والذي يسمى قسم الموحدين ، بشكل كبير ، والذي قام بتحقيقه مجموعة أساتذة من المغرب ، ولاسيما فيما يتعلق بموضوعات مدة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ، كما قام الدكتور احسان عباس بتحقيق ومراجعة الجزء الرابع من البيان والذي أختص بعصر المرابطين في المغرب والأندلس ، وهي قطعة جليلة قام الأستاذ ميراندا بنشر سائرها في مجلة (Hesperes) سنة (١٩٦٠م) ، وقد اعتمد ابن عذاري على مؤلفات من سبقوه ، كما اعتمد على الروايات السماعية والمشاهدة في الجزء الاخير من حياة الدولة الموحدية ، ويعد البيان المغرب متمما لكتاب المن بالإمامة ، وذلك لنقوله الكثير عن ابن صاحب الصلاة ، وايراده لكثير من وثائق الموحدين ومكاتباتهم ، ووفرة المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية فهو أوفى مصدر لدينا .

خ- كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس : لأبي الحسن علي بن عبدالله بن أبي زرع الفاسي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) ، والكتاب يسرد أخبار المغرب منذ دولة الأدارسة إلى أيام المؤلف ، وطريقة المؤلف فيه أن يعرض أخبار حكام كل دولة ثم يعقب ذلك بأهم الأخبار في عهدها ، وأهميته تظهر فيما أولاه من عناية للأحوال الاقتصادية والعمرانية ، وقد أنهى المؤلف كتابه هذا في عهد دولة بني عبد الحق أو بني مرين وأهداه الى السلطان الخامس من ملوكها وهو أبو سعيد المريني (٧١٣ ــ ٧١٩هـ/ ١٣٠٩ ــ ١٣٣٠م) . وقد انتفعت بهذا الكتاب في القاء الضوء على كثير من أحداث عصر المرابطين لاسيما فيما يتعلق بأصل المرابطين ونشأتهم ودعوة الامام عبدالله بن ياسين ، وجهود الامراء المرابطين الاوائل في السيطرة على المغرب الاقصى ، ثم عبور المرابطين الى الاندلس وانتصارهم الرائع في معركة الزلاقة ، وكذلك في الاشارة الى أهم أحداث عصر الاميرعلي بن يوسف بن تاشفين ، وبعض الاحداث التي جرت في عصر الموحدين .

د ــ كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق ذلك من الكلام : للسان الدين ابن الخطيب ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد (ت٧٧٦هـ/١٣٦٤م) ، يعد ابن الخطيب آخر كاتب عظيم أنجبته الاندلس ، فقد صنف عددا كبيرا من المصنفات ، نذكر منها ما اعتمدت عليه في دراستي وهي :
كتاب أعمال الأعلام وقد نشر ليفي بروفنسال كتاب أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب ، قسم اسبانيا بعنوان : تاريخ اسبانيا الاسلامية ؛ ونشر أحمد مختار العبادي ومحمد أبراهيم الكتاني قسم المغرب بعنوان : تاريخ المغرب في العصر الوسيط بالدار البيضاء سنة (١٩٦٤م) ، ففي القسم الاندلسي تناول ابن الخطيب تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامي حتى عصر السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل ، وقد نشره ليفي بروفنسال بالرباط سنة (١٩٣٤م) ، وقد افدت منه في كثير من الاحداث التي جرت في عصر المرابطين وعصر الموحدين ، وأما تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، فقد نقلت منه بعض الاشارات حول دولة المرابطين ودولة الموحدين ، ويبدو أنه كان ينوي استكمال هذا القسم حتى عصره إذ نص على ذلك في فهرسه ولكنه قتل قبل أن يستكمله .

ذ- كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية : لمؤلف مجهول ، صنفه سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) ، وقد عالج تاريخ المغرب منذ تأسيس مراكش الى سنة (٧٨٣هـ) ، وعلى الرغم من أن أخباره مختصره إلا أنه ذكر عصر الخليفة عبد المؤمن في شيء من التفصيل ، وأورد معلومات مهمة عن تنظيمات الموحدين السياسية والادارية ، وقد افدت منه في بعض صفحات الدراسة ، وقد قام كل من الدكتور سهيل زكار والاستاذ عبدالقادر زمامة بتحقيقه .

ر- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر : لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، الذي تهيأت له فرص التقلب في الوظائف الديوانية والسياسية في بلاط بني مرين بفاس حتى وصل الى مرتبة الحجابة ، ولما زار الاندلس ونزل بغرناطة عند ثالث سلاطين بني نصر محمد بن يوسف ، اختصه بالسفارة بينه وبين ملك قشتالة في إشبيلية لا برام الصلح بينهما ، لكنه بعد ذلك تفرغ تفرغا كاملا للمطالعة ، فلما نضجت معارفه وارتقى تفكيره ، مستفيدا من تجاربه ومشاهداته ، عكف على كتابة كتابه هذا ، وهو من المصادر المهمة التي أمدت هذه الدراسة بالكثير من المعلومات ، وقد حصر المؤلف أحداث تاريخ المسلمين في الأندلس في الجزء الرابع من كتابه الذي تضمن تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي حتى عصر دولة بني نصر في غرناطة ، وتوقف بكتابه في سنة (٧٩٤هـ/١٣٩٢م) ، أي قبل وفاته بسنوات قليلة ، وهو كتاب له قيمته ولاسيما أن ابن خلدون أورد فيه ــ مثل ابن الخطيب ــ فصلا خاصا عن الممالك النصرانية في اسبانيا بعنوان : الخبر عن ملوك بني أذفونش من الجلالقة ملوك الاندلس بعد القوط ولعهد المسلمين وأخبار من جاورهم من الفرنجة والبشكنس والبرتغال ، وهو فصل أثنى عليه بعض المؤرخين الأوربيين ، بما يمثله من الدقة والوضوح الذي يتسم بهما تاريخ ابن خلدون ، الأمر الذي سهل على الباحث الحصول على معلومات كبيرة غاية في الأهمية عن موضوعات هذه الدراسة لاسيما فيما يخص عهد المرابطين وعهد الموحدين .

٢- كتب التراجم ، وأهمها :

الى جانب المصادر التاريخية والجغرافية ، تحتل كتب الطبقات والتراجم مكانة هامة ايضا ، فهي ذات فائدة كبيرة بما تزخر به في ثنايا تراجمها من معلومات متنوعة عن أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، اعتمدت على كتب التراجم وفي الصدارة منها كتب التراجم الأندلسية بشكل كبير في إغناء موضوعات هذه الدراسة ، فقد اشتملت على معلومات تاريخية وفيرة ومن هذه الكتب :

أ- كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، لأحمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م) ، وهو كتاب قيم ؛ لما قدم لموضوع دراستنا من تراجم مهمة زادت من رصانته التي كان لها دور مهم في أحداث الأندلس السياسية .

ب- مؤلفات ابن الابار : لأبي عبد الله محمد القضاعي المعروف بابن الآبار (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، وهما كتابان :

ــ كتاب التكملة لكتاب الصلة
ـ كتاب الحلة السيراء

وهما كتابان ترجم فيهما المؤلف لشخصيات أندلسية كثيرة سواء الأمراء والعلماء وغيرهم وكانت فائدتنا من كتاب الحلة السيراء أكثر من كتاب التكملة ؛ لما وفره لنا من معلومات تخص دراستنا . وكتاب الحلة السيراء مؤلف من جزئين ، وقد اعتمد المؤلف في تأليفه على كتابات المؤلفين الذين سبقوه أمثال ابن حيان (ت٤٦٩هـ / ١٠٧٦م) ، وابن بسام (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) وغيرهم . ويهتم هذا الكتاب بدراسة تاريخ المغرب والأندلس خلال سبعة قرون ، وقد اتبع المؤلف طريقة ذكر ترجمة الشخصيات لكل مائة سنة على حدة ، قدم فيه معلومات سياسية واجتماعية وأدبية عن هذه الشخصيات التي ذكرها في كتابه ، وقد أفاد الدراسة بذكر بعض الأحداث السياسية المهمة لعصر المرابطين وعصر الموحدين ، ومن ضمنها الشخصيات التي وردت في هذه الدراسة .

ت- كتاب وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان : لابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وهو من كتب التراجم المشرقية ، كانت الفائدة منه عظيمة ، لأنه كان معاصرا للدولة الموحدية ، فترجم لخلفائها تراجم طويلة نسبيا مستفيدا من الكتب المشرقية والمغربية وروايات مباشرة عن الراحلين من المغرب الى المشرق ، فأفاد في النظم السياسية والعسكرية والمالية بكثير من الروايات . افدت من هذا الكتاب في كثير من فصول الدراسة ؛ لما يتمتع به معلومات غزيرة عن الاحداث السياسية والعسكرية في المغرب والاندلس .

ث- كتاب الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة : لابن عبدالملك المراكشي (ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م) ، الذي طبعت أكثر أسفاره حتى الآن ، من الكتب التي أثرت الدراسة كثيرا ، وبالرغم من اختلاف طريقته أحيانا عن ابن الآبار في عرضه لسير علماء الدراسة ، إلا أنه تفرد بترجمة علماء فات ذكرهم عن ابن الآبار (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، كما أنه تميز بتوسع كبير في تراجم عديد من العلماء وعرضه لإسهاماتهم السياسية والعسكرية والفكرية ، وقد امدني بمعلومات وافي في صفحات فصول الدراسة .

ج ـ كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة .

وكتاب الاحاطة في أخبار غرناطة ، هو كتاب تراجم لملوك وأمراء وعلماء غرناطة وجميع من وفد أليها من المشرق والمغرب مرتبة أسمائهم على حروف المعجم ، وقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) أن الدافع الأساسي لتأليف هذا الكتاب حبه لوطنه غرناطة وغبته في كتابة تاريخ بلده على نحو تاريخ دمشق لابن عساكر(٥٧١هـ/ ١١٧٥م) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي . وقد اعتمدت على كتاب الاحاطة في كثير من الاحداث الخاصة بدولة المرابطين والموحدين وقد امدني بمعلومات وافي في صفحات فصول الدراسة .

د- كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، المعروف بتاريخ قضاة قرطبة : النباهي أبو الحسن علي بن عبدالله المالقي الاندلسي النباهي (ت القرن الثامن الهجري) ، حققه ليفي بروفنسال ونشره بالقاهرة سنة (١٩٤٩م) ، ثم حققته لجنة احياء التراث العربي ، فهو كتاب تراجم لقضاة قرطبة ، ذات فائدة كبيرة من حيث التعرف على الحياة القضائية والاجتماعية في الاندلس من الفتح حتى نهايات القرن

الثامن الهجري ، وافدت منه كثيرا في الترجمة للكثير من العلماء والفقهاء في الاندلس ، ممن ورد اسمه في صفحات الأطروحة .

ثالثا : كتب الجغرافية والبلدان والرحلات :

قد أفادتنا هذه الكتب في التعرف على المدن ومواقعها وطبيعة أرضها وحالتها الاقتصادية وطريقة تحصينها ومن هذه الكتب :

أ- كتاب صورة الأرض : لأبن حوقل أبي القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩١٧م) ، الذي يعد من المصادر الجغرافية المهمة في تحديد مواقع البلدان ووصف أحوالها .

ب- كتاب المسالك والممالك : البكري أبي عبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، يعد كتاب المسالك والممالك من أعظم ما صنفه البكري من تواليف جغرافية إلا أنه للأسف لم يصل الينا منه سوى الخاص بوصف المغرب الذي نشره دي سلان بالجزائر سنة (١٩١١م) ، والقسم الخاص بجغرافية الاندلس وأوربا الذي نشره الدكتور عبدالرحمن علي الحجي ، وقد اعتمدت بوجه خاص على القسم المغربي وهو كتاب : (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، الذي يحتوي على معلومات جغرافية وتاريخية مهمة ، يحتمل أن تكون مستقاة من وثائق الدولة ، إذ يبدو أن البكري كان في موقف يسمح له بالاطلاع على وثائق وسجلات ديوان قرطبة ، كما افادني كثيرا عندما تعرضت للحديث عن أصل المرابطين ونشأتهم ، والدور الذي لعبه أمراء المرابطين الاوائل في تأسيس دولتهم ، وفي عرضي للحياة الاقتصادية وأهم المراكز التجارية في المغرب .

ت - كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : للشريف الإدريسي أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس (ت نحو ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م) ، يعد كتاب نزهة المشتاق أعظم مصدر جغرافي لدراسة الجوانب الحضارية للمغرب والاندلس في القرن السادس الهجري ، ومما لاشك فيه أن مشاهدات الادريسي في أسفاره عبر الاندلس والمغرب تركت صداها في وصفه العمران المدني والمساجد والقصور والتحصينات المختلفة فضلا عن الاحوال الاقتصادية في كل ما مر به من بلدان ، وقد ورد فيه معلومات جغرافية مهمة عن مدن وأقاليم الأندلس ، وقد امدني بمعلومات وافية في صفحات فصول الدراسة .

ث - كتاب معجم البلدان : لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، الذي اتصف بسعة مادته وغزارة معلوماته فكان معجما جغرافيا لكل مدن العالم الإسلامي ، وكان الحموي على معرفة كبيرة بتلك المدن من خلال تجارته وأسفاره ، فقد زار العديد من البلاد مثل مصر والشام والعراق ، وكانت مدن الأندلس في متناوله ، فقدم عنها في معجمه معلومات وافرة افدت منها في التعريف بالمدن والمواضع التي وردت في هذه الدراسة .

ج- كتاب صفة جزيرة الأندلس المنتخب من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار: للحميري أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) ، الذي يعد من المصادر الأندلسية المهمة في جغرافية وتاريخ الأندلس وحضارتها ، فقد تضمن الكثير من المعلومات التاريخية إلى جانب كونه معجما جغرافيا لمدن الأندلس ، إذ وفر لنا معلومات كثيرة ولاسيما فيما يتعلق بمدن وأقاليم الأندلس، فشكل موردا مهما اعتمدت عليه بموضوعات الدراسة ، والافادة منه في رفد فصول الدراسة بمعلومات تاريخية قيمة . وكذلك كتابه الروض المعطارالذي رفد الدراسة بمعلومات تاريخية غاية في الاهمية افدت منها كثيرا في معالجة فصول الدراسة .

رابعا : كتب الأدب :

كان لكتب الأدب دور كبير في إثراء موضوعات هذه الدراسة بالكثير من المعلومات ، فبالرغم من أنها كتب أدب ، إلا أنها حملت بين طياتها العديد من الأخبار التاريخية المهمة التي أغنت موضوعات الدراسة ومن هذه الكتب :

أ- كتاب قلائد العقيان في محاسن الأعيان : للوزيرالكاتب الفتح بن خاقان محمد القيسي الإشبيلي الاندلسي (ت٥٢٩هـ/١١٣٤م) ، كان ابن خاقان من كبار أدباء عصره ، متمكنا من اللغة قديرا على صياغة الكلام ، وقد تميز أسلوبه بالنثر المسجوع ، فقد انتفعت في دراستي بالتراجم التي أوردها في القلائد عن أدباء عصر الطوائف والمرابطين .

ب- كتاب المغرب في حلى المغرب : ابن سعيد الاندلسي أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، أورد هذا الكتاب معلومات قيمة فيما يتصل بموضوعات هذه الدراسة ، وكتاب المغرب في حلى المغرب ضاع معظمه ولم يبق منه سوى أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الاندلس من العصر الأموي حتى نهاية عصر الموحدين ، وتبرز أهمية هذا الكتاب في احتوائه على معلومات جغرافية وتاريخية في الوقت نفسه أغنت موضوعات الدراسة .

ت- كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، للمقري أبي العباس احمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣٢م) ، الذي يعد موسوعة عن تاريخ الأندلس السياسي والحضاري ، إذ هو كتاب تاريخ وأدب على حد سواء ، ولا يمكن لأي باحث في ميدان التاريخ الأندلسي الاستغناء عنه ، لان المؤلف أورد معلومات غاية في الأهمية ، لما تضمنه منها روايات أخذها من عدد من المؤلفين الذين ضاعت معظم مؤلفاتهم ، مثل مؤلفات أسرة الرازي التاريخية ومؤلفات المؤرخ الكبير ابن حيان القرطبي ، يتألف هذا الكتاب من أجزاء عدة ، أفدنا منه في فصول الدراسة كافة ، ولاسيما بعض الأحداث المهمة في عهد المرابطين والموحدين .

خامسا : المراجع الحديثة :

على الرغم من أهمية المصادر الأولية في موضوع الدراسة إلآ أن للمراجع والدراسات الحديثة دورا كبيرا في أغناء مادة الدراسة وتسهيل الحصول على معلومات مأخوذة من مصادر أولية لم نتمكن من الحصول عليها لتعذر وصولنا إلى هذه المصادر فضلا عما تقدمه من استنتاجات وتحليلات جديرة بالاهتمام والأخذ بها ومن هذه الكتب :

أ- كتاب دولة الإسلام في الأندلس : للأستاذ محمد عبد الله عنان ، رفد هذا الكتاب بقسمه الثاني الخاص بعصر الطوائف ، والقسم الثالث الذي اختص بعصر المرابطين والقسم الرابع الذي اختص بعصر الموحدين الدراسة بمعلومات مهمة عن الناحية السياسية والفكرية والإدارية والعمرانية عن دولة المرابطين ودولة الموحدين ، فقد أعطانا معلومات قيمة ووفر لنا معلومات لم نتمكن من الحصول عليها من

المصادر الأولية لتعذر الحصول عليها وكانت الفائدة من هذا الكتاب في فصول البحث الاربعة فائدة كبيرة لا يمكن لأي باحث في تاريخ الاندلس الاستغناء عنه .

ب- كتاب قيام دولة المرابطين : للأستاذ حسن أحمد محمود ، وهو كتاب غاية في الاهمية فيما يخص تاريخ المرابطين ؛ إذ أرخ لدولة المرابطين التي أقامت صرحها قبيلة صنهاجة ، ولعبت دورا سياسيا كبيرا في التاريخ الاسلامي ونشرت الاسلام واللغة العربية في ربوع السودان الغربي ، وسجل التاريخ أسماء أبطال المرابطين منهم الأمير يوسف بن تاشفين قاهر الفونسو السادس والبابوية ومبدد حركة الاسترداد . قدم الاستاذ حسن أحمد محمود تاريخ المرابطين بطريقة علمية حديثة مبنية على النقد والتحليل والادلاء بآراء شخصية تفيد العلم . اعتمد المؤلف في كتابه هذا على كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ، الذي كان معاصرا للمرابطين ، وكذلك اعتمد على كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض اليحصبي وقد عاصر القاضي عياض دولة المرابطين وولي القضاء في عهدهم . واعتمد الاستاذ حسن ايضا على كتاب التبيان للأمير عبدالله بن بلقين ، آخر ملوك بني زيري ، وسيد غرناطة ، الذي اشترك مع الأمير يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة ، وحصن لييط . ومن الكتب التي اعتمد عليها كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب لأبي عبيد الله البكري ، وكان معاصرا للأدوار الاولى من قيام هذه الدولة . وكتاب مشيخة القاضي عياض ، الذي يلقي الضوء على الحياة الثقافية في المغرب والاندلس في عصر المرابطين . واعتمد كثيرا على كتب التراجم والأدب وكتب الحسبة . وقد افدت كثيرا من هذا الكتاب ولاسيما فيما يخص دولة المرابطين والأحداث السياسية التي أغنت موضوع الدراسة بمعلومات غاية في الأهمية .

ج- كتاب تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : للمؤرخ الألماني يوسف أشباخ ، الذي ترجمه الأستاذ محمد عبدالله عنان ، والمطبوع في القاهرة سنة (١٩٥٨م) ، وهو من المراجع التي لا يستغني عنها الباحث لهذا العصر؛ لأنه يعتمد في معلوماته على مصادر نصرانية إلى جانب المصادر الاسلامية . من الموضوعات التي تناولها هذا الكتاب : تاريخ ملوك الطوائف حتى سقوط مدينة طليطلة سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) ، ونشأة المرابطين وأسباب عبورهم إلى الاندلس ، وعهد الأمير يوسف بن تاشفين وولده الأمير علي ، وتاريخ الدولة الاسبانية الداخلي في عهدي الفونسو السادس والفونسو المحارب ، وأهم الوقائع التي خاضها المسلمون ، وتحدث عن اضمحلال سيادة المرابطين ، وعن ثورة المهدي بن

تومرت ، وثورة أهل الاندلس على المرابطين ، وقد ختم كتابه بالحديث عن دولة الموحدين واضمحلالها ، وعن نظم الدولة وفنون الحرب وأحوال الحضارة في دولتي المرابطين والموحدين . من المآخذ على هذا الكتاب أنه بعيد عن الموضوعية ؛ إذ نجده يتناول الجوانب المشرقة بالنسبة للمسلمين ، لاسيما فيما يتعلق بالمواقع الحربية ، فموقعة أقليش الحاسمة التي حقق فيها المسلمون أروع انتصاراتهم يتعرض لها أشباخ في اختصار شديد ، هذا في الوقت الذي يلمس فيه الباحث حقد هذا المستشرق على هذه الدولة الاسلامية المجاهدة ؛ وذلك من خلال عدة شواهد منها : إنه عندما يتحدث عن نشأة دولة المرابطين عزا قيامها إلى جهود رجل متعصب يسمى عبدالله بن ياسين ، ووصف حكام الدولة المرابطية بالهمجية والجهل وذلك في أكثر من مناسبة . على الرغم من ذلك فقد افدت من هذا الكتاب في بعض الأحداث التاريخية التي تخص دولة المرابطين ودولة الموحدين .

فضلا عما ذكرت افدت من مراجع حديثة عديدة أخرى اختصت بالتاريخ الأندلسي والمغربي ، منها كتاب دراسات في تاريخ المغرب والاندلس للأستاذ أحمد مختار العبادي . وكتاب المغرب عبر التاريخ للأستاذ ابراهيم حركات افدت منه كثيرا في جوانب عديدة من فصول الدراسة . وكتاب رسائل موحدية الذي نشره الأستاذ ليفي بروفنسال ، اعتمدت عليه كثيرا في صفحات الفصل الثالث والرابع من هذه الأطروحة .

إن مصادر الدراسة جميعها قد أسهمت في أغنائها بمعلومات قيمة وان عدم استعراض كل هذه المصادر والمراجع لا يعني التقليل من أهمية هذه الكتب وقيمتها العلمية .

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في تحقيق الأهداف المنشودة من دراسة موضوع الأطروحة ، التي لا أدعي أنني وصلت بها إلى حد الكمال ، فذلك طموح كبير ليس من السهل بلوغ تمامه لطالب مبتدئ ، وحسبي أن يكون هذا الجهد محاولة متواضعة في مجال البحث العلمي التاريخي ، مبتغياً بها وجه الله سبحانه وتعالى ، ومؤملاً بعد ذلك أن تلقى مكانها المناسب بين ما كتب عن تاريخ العرب المسلمين في الأندلس .

الباحث

ناظم ابراهيم كريم محمد العبدلي

الفصل الأول

المرابطون ومرحلة تأسيس الدولـــة

المبحث الأول:الاحوال السياسية في المغرب الاقصى قبل قيام دولة المرابطين

المبحث الثاني: مرحلة تأسيس الدولة المرابطية

أولا : أصل المرابطين ثانيا : بداية تأسيس الدولة المرابطية

المبحث الثالث: الأحوال في الأندلس قبل تدخل المرابطين

المبحث الرابع : جهود العلمـــاء في الاندلس في توحيد البلاد ولم الشعث

المبحث الخامس : جهــود المرابطين في ضم الأندلس إلى الدولة المرابطية

اولاً : استنجاد الأندلسيين بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين :

ثانيا : العبــــور الاول للمرابطين الى الاندلس سنة (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) :

ـ معركة الزلاقة : ـ أهم نتائج معركة الزلاقة

ثالثا: العبــــور الثاني للمرابطين الى الاندلس سنة (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) :

رابعا: العبــور الثالث للمرابطين الى الاندلس سنة (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) :

خامسا : العبــور الرابع للمرابطين الى الاندلس سنة (٤٩٦هـ/ ١١٠٣م) :

المبحث الاول

الاحوال السياسية في المغرب الاقصى قبل قيام دولة المرابطين

يقع المغرب الأقصى في الركن الشمالي الغربي من القارة الافريقية ، يحده شرقا وادي الملوية وجبال تازا ، وغرباً بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) ، وشمالاً بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ، وجنوباً جبال درن ، ويمتد المغرب الأقصى من وادي الملوية حتى مدينة أسفي ، على البحر المحيط (المحيط الاطلسي)[(١)] .

كان لموقع المغرب الأقصى أثره في الأحداث التي مرت بها البلاد ، إذ تمتعت المنطقة بموقع ممتاز، وهذا الموقع جعله على صلة بثلاث مناطق : **أولاً** : هو إمتداد لإقليمي المغرب الأوسط والأدنى ؛ **ثانيا** : إتصاله بمنطقة الأندلس إذ لا يفصل بين البدين (المغرب الأقصى والاندلس) سوى مسافة لا تتجاوز خمسة عشر كليو متراً في بعض نواحيها ؛ **ثالثا** : إتصاله بمنطقة الصحراء في جنوبه ، ثم كان لهذا الموقع أثر واضح في توجه الإمام إدريس بن عبدالله[(٢)] إليه سنة (١٦٩هـ/٧٨٥م) بعد فراره من موقعة

[(١)] ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ضبط ومراجعة : خليل شحاذة وسهيل زكار، دارالفكر_ بيروت _ ٢٠٠١م : ج٦/ ١٢٨ ، ١٢٩، ١٣٢؛ القلقشندي ، احمد بن علي بن احمد ، (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية _ القاهرة _ ١٩٢٢م : ج٥/ ١٥٢ .

[(٢)] **إدريس بن عبدالله** : هو إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وأمه عاتكة بنت عبدالملك بن الحارث الشاعر بن المغيرة المخزومي ، أفلت من وقعة فخ ومعه مولى يقال له راشد فخرج به في جملة حاج مصر وإفريقية ، وتهيأت قافلة إلى إفريقية فخرج إليها فنزل بمدينة وليلي سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٨م) ، وكان أول من بايعه قبيلة أوربة وكانت يومئذ من أعظم قبائل البربر ، ثم وفدت عليه عدد من قبائل البربر فبايعوه وتمكن سلطانه ، وكان الخليفة الرشيد استشار وزيره ابن البرمكي في إدريس وقال له نوجه إليه الشماخ مولى المهدي وكان طبيبا فأظهر الشماخ لإدريس أنه من الشيعة وأنه طبيب ، فاستوصفه فحمل إليه سنوناً وجعل فيه سماً ، فتوفي إدريس على أثره سنة (١٧٧هـ/ ٧٩٣م) ، وخرج الشماخ هاربًا حتى ورد مصر · أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) ، مقاتل الطالبين ، ط٢ ، تح : السيد أحمد صقر ، منشورات الشريف الرضي _ امير _ قم _ ١٣٧٤هـ : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ؛ ينظر : الناصري ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد (ت١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ط١، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ؛ محمد الناصري ، دار الكتاب _ الدار البيضاء _ ١٩٥٤م : ج١/ ٢٠٨، ٢٠٩ .

فخ[١] ، وتأسيسه لدولة الادارسة بعيداً عن أيدي الخلافة العباسية ، ساعد هذا الموقع على تأسيس دولة اسلامية لعبت دورها مهماً في تاريخ المنطقة[٢] ، لقد عـــرف الملثمون الإسلام منذ القرن الأول الهجري ، إذ تذهب بعـــض الروايات إلى أن الوالي عقبة بن نافع (ت ٦٣هـ/٦٨١م) وصل إلى مدينة نول[٣] في المغرب الأقصى[٤] ، وقد ترك الـــوالي عقبة بن نافع بين هذه القبائل بعض أصحابه يعلمونهم شرائع الإسلام[٥] ، وعندما قامت دولة

---

(١) **فخ** . وهو وادي بمكة يعبد ثلاث أمثال عنها ، ويوم فخَ كان ابو عبدالله الحسين بن علي بن الحسن ابن علي بن ابي طالب (ﷺ) خرج يدعو لنفسه في ذي القعدة سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) ، بايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة وخرج الى مكة ، لقيته جيوش بني العباس والتقوا يوم التروية . ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار الفكر- بيروت ـــ ١٩٧٧م : ج٤/ ٢٣٧ .

(٢) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ط٢ ، دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٦م : ج٨/١٩٨ ؛ المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، اعتنى به وراجعه : كمال حسن مرعي ، المكتبة العصـرية ـــ بيـروت ـــ ٢٠٠٥م : ج٣/ ٣٧١ ؛ ابـن أبـي زرع ، أبوالحســن علــي بــن عبــدالله الفاسي(ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبارملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، صورللطباعة والوراقة -الرباط - ١٩٧٢م : ١٦ ، ٢٠ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، ط١ ، تح : تدمري ، عمر عبدالسلام ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٩٩٠م : ج١٠ / ٣٤ ، ٤٦ ؛ نصر الله ، دولة الادارسة في المغرب العصر الذهبي ، ط١ ، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٧ م : ٥٠ ، ٥٣ ؛ العبادي ، احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ـ ٢٠٠٣م : ٤٩ .

(٣) **نول** : وهي بلاد نول الاقصى وتازكاغت فهي بلاد لمتونة الصحراء ولمتونة قبيلة من صنهاجة ، ومدينة نول مدينة كبيرة عامرة على نهر يأتي اليها من جهة المشرق وعليه قبائل لمتونة ولمطة وبهذه المدينة تصنع الدرق اللمطية التي لا شيء ابدع منها صنعا وبها يقاتل اهل المغرب لحصانتها وخفة محملها ، وعند أهلها البقر والغنم كثير جدا والالبان والسمن والى هذه المدينة يلجأ اهل تلك الجهات فيما يعن لهم من مهم حوائجهم وفنون مطالبهم . الادريسي ، ابو عبدالله محمد الشريف السبتي ، (ت حوالي ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م) ، نزهة المشتاق في أختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة - ٢٠٠٢م : م١/ ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

(٤) المالكي ، ابو بكر عبدالله بن محمد (ت بعد سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) ، رياض النفوس ، تح : بشير البكوش ؛ راجعه : محمد العروسي المطوي ، ط٢ ، دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ ١٩٩٤م : ج١/ ٤٠ .

(٥) ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي ، (ت٧١٢هـ /١٣١٢م) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ط٣، تح : ج٠س ٠كولان وإ٠ليفي بروفنسال ، دار الثقافة- بيروت- ١٩٨٣م : ج١ / ٤٢ ؛ ابن القطان ، محمد حسن علي بن محمد بن عبدالملك الكتامي (ت منتصف ق٧هـ) ، نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان ، ط٢، تح : محمود علي مكي ، دار الغرب الاسلامي ـ القاهرة ـ ١٩٩٠م : ٤٠ ، ٤١ ؛مؤنس ، حسين ، فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ (د . ت) : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ؛ بن بيه ، محمد محمود عبدالله ، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ـ جامعة ام القرى ـ قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ـ ١٩٩٧م) :٣٩ .

الأدارسة وأنشأت مدينة فاس[١] ازداد دخول الملثمين في الإسلام وانضوا تحت لواء الادارسة ، وأصبحوا جزءاً من أملاكهم يولون عليهم الولاة ويخضعونهم للحكومة المركزية في فاس[٢] . غير ان الاضمحلال الذي أصاب دولة الأدارسة ولاسيما بعد مجيء مصالة بن حبوس المكناسي قائد جيوش أبي عبدالله الشيعي إلى أرض المغرب الأقصى سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م)[٣] ، جعل المنطقة تمر بمرحلة حالكة في تاريخها إذ أصبحت المنطقة لا تملك من أمرها شيئاً وإنما تخضع لغيرها فتارة تدعوعلى منابرها للفاطميين بالمغرب ، وتارة تدعو على منابرها لحكام الأندلس فضلاً عن المنازعات القبلية والحروب الطاحنة التي استمرت حتى مجيء المرابطين ، وقد أثرت هذه الحروب على أوضاع المنطقة وجعلتها لا تنعم بالاستقرار ودبت الفوضى ونتج عن هذا كله ، أنه لم تقم دولة واضحة المعالم في هذه الفترة التي تمتد من أوائل القرن الرابع الهجري حتى منتصف الخامس الهجري حين ظهرت طلائع المرابطين على مسرح الأحداث[٤] . فالمنطقة قد توزعتها القبائل المختلفة والأسر المتناحرة ، كل قبيلة تسيطر على مدينة أو أكثر وداخله في صراع مع غيرها حول السلطة فضلاً عن خضوع بعض رؤساء هذه القبائل بالتبعية للحكام الأمويين في الأندلس ويقدمون لها فروض الولاء والطاعة ، وكانت الخريط السياسية

---

[١] **فاس** : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش ، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين ، وفاس مدينتان مفترقتان مسورتان ، عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين ، وقد عزم الأمام أدريس (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م) على بناء مدينة فاس بعد أن أختبر تربتها وهواءها ورياحها وماءها ، وتحقق بعدها من الصحراء والبحار والجبال الشامخة والسباخ العفنة وعلم أن ذلك مما يأمن به سكانها رفع يديه الى السماء وقال : اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلا بها كتابك ، وتقام بها سننتك وحدودك ، واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها " ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج٤/ ٢٣٠ ؛ . ينظر : الجزنائي ، ابو الحسن علي ، (ت من أهل القرن التاسع الهجري) ، جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، تح : عبدالوهاب بن منصور ، ط٢ ، المطبعة الملكية ــ الرباط ــ ١٩٩١م : ٢٢ ، ٢٤ .

[٢] دندش ، عصمت عبداللطيف ، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا (٤٣٠ـ ٥١٥هـ/ ١٠٣٨ــ ١١٢١م) ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ــ بيروت ــ ١٩٨٨م : ٤٢ .

[٣] ابن عذاري ، البيان المغرب ، تح : ليفي بروفنسال : ج١/ ٢٠٦ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٤/ ٢١

[٤] البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، دار الكتاب الاسلامي ـالقاهرة ـ (د ـ ت): ١٥٩ ؛ ينظر : ٧٦ ، ٧٧ ؛ حسن علي حسن ، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس "عصر المرابطين والموحدين " ، ط١ ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ١٩٨٠م : ٥ .

للمغرب الأقصى تشتمل على :

١- منطقة فاس وما حولها وهي خاضعة لأمراء مغراوة[١] .

٢- منطقة سلا[٢] وتادلا[٣] وكانت تخضع لبني يفرن[٤] .

٣- منطقة سجلماسة[٥] ودرعة في الجنوب وكانت تخضع لبني خزرون[٦] .

[١] **مغراوة** : وهي أحدى قبائل زناتة وكانوا أوسع بطونها وأهل البأس الغلبة منهم ، ونسبهم إلى مغراوة بن يصلتين ، وكانت محلاتهم بأرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مدبولة ، ومإليها ، وكان لمغراوة في بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الإسلام فأقره لهم وحسن إسلامهم ، وظاهروا دعوة المروانية بالأندلس ، وأول ملك ملك منهم بالمغرب زيري بن عطية بن عبدالله بن تيادلت بن محمد بن خزر الزناتي المغراوي الخزري ملك على زناتة في سنة(٣٦٨هـ/ ٩٧٨م) . أبن حزم ، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) ، جمهرة أنساب العرب ، تح: إ٠ليفي بروفنسال ، دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٤٨م : ٤٦٤ ؛ ينظر : ابن خلدون العبر : ج٧/ ٣٣ ، ٣٤ ؛ المدني ، احمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(١٤٩٢ــ ١٧٩٢م) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ــ الجزائر ــ (د.ت) : ٩٥ .

[٢] **سلا** : اسمها بالعجمي شلة ؛ وهي مدينة أزلية فيها آثارللأول . وهي معروفة بضفة الوادي ، متصلة بالعمارة التي أحدثها الخليفة الإمام أميرالمؤمنين عبدالمؤمن بن علي وأباؤه المكرمون . كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : سعد زغلول عبدالحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ (د.ت) : ١٤٠ .

[٣] **تالا :** مدينة قديمة فيها آثار للأول ، بنى فيها الملثمون حصنا عظيما منيفا ، فيه الاسواق والجامع ، كثير الخيرات والار زاق ، احاطت به الاقبائل من كل الجهات . كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري ، الاستبصار : ٢٠٠ .

[٤]**يفرن** : وهي اكبر قبائل زناتة واشدها شوكة ، واوسعهم بطون ، وأما شعوبهم فكثيرة من اشهرهم بنو واركوا ، وكان منهم بأفريقية وجبل أوراس والمغرب الاوسط بطون وشعوب ، وكان لهم بالمغرب الاقصى من بعد الانسلاخ من الخارجية دولتان على يد يعلي بن محمد صالح وبنيه . ابن خلدون ، العبر : ج٧ / ١٥، ١٦ .

[٥]**سجلماسة:** وهي مدينة في جنوب المغرب الأقصى في آخر الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة، وهي مدينة عظيمة إسلامية وبينها وبين البحر الرومي خمس عشرة مرحلة وليس فيها ولا غر بها عمران وبينها وبين غانة من بلاد السودان مسيرة شهرين في رمال وجبال قليلة المياه، لا يدخلها إلا الإبل المصبرة على العطش ، وهي قريبة من معدن الذهب ، ولا يعرف معدن للذهب اوسع ذهبا ولا اصفى منه ، الا المسلك إليه صعب . الأصطخري ، ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م) ، المسالك والممالك ، تح : محمد جابر عبدالعال الحسيني ؛ محمد شفيق غربال ، دار القلم ــ القاهرة ــ ١٩٦١م : ٣٢ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى : ج٥/ ١٦٣ .

[٦]**خزرون** : هم من أمراء مغراوة ، لما غلبهم بلكين بن زيري على المغرب الاوسط تحيزوا الى المغرب الأقصى وراء ملوية ، وكان بنو خزرون يدينون بالدعوة المروانية ، وكان خزرون بن فلفول استولى على مدينة سجلماسة سنة (٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) ومحا دولة أل مدرار والخوارج اخر الدهر، واقام الدعوة للمؤيد هشام . ابن خلدون ، العبر : ج٧ / ٥٠ ، ٥١ .

٤- إمارة برغواطة[١] كانت في سهول تامسنا[٢].

يمكن أن نتلمس من الخريطة السياسية لمنطقة المغرب الأقصى مدى التفكك الذي ساد المنطقة نتيجة للحروب والفتن التي عمت الإمارات المختلفة. ينظر الخارطة شكل رقم (١)، وهذا يرجع إلى عوامل عدة منها الفرقة التي دبت في صفوف الزناتيين، وأنقسامهم إلى إمارات متناحرة، فضلا عن التهديد المستمر من حكام المغرب الأوسط، وتبعية المغرب الأقصى لحكام الأندلس، كل هذا أدى إلى تلك الصورة المحزنة التي عاشها المغرب الأقصى قبيل مجيء المرابطين[٣]. وقد لمس الإمام عبدالله بن ياسين ذلك بنفسه في أثناء مروره بديار المصامدة عند رجوعه من بلاد الأندلس التي كان قد دخلها في دولة ملوك الطوائف، إذ وجدهم يعيشون حياة قبلية متنافرة، وليس لهم قائد يجمعهم ويوحد كلمتهم، يغير بعضهم على بعض يغنمون الأموال ويقتلون الرجال ويسبون النساء، ولا يرجعون إلى طاعة، فقال الإمام عبدالله ياسين لبعضهم: ألا تعرفون الله تعالى ربّكم، ومحمداً (ﷺ) رسولكم، فقال لهم عبدالله: ((فما لكم بدلتم وغيرتم ؟ هلاّ قدتم عليكم أماماً يحكم بينكم بشريعة الإسلام وبسنة النبي (ﷺ) ؟ فقال له بعض أشياخ المصامدة: لا يرضى أحد منا انقياداً إلى حكم أحد من غير قبيلته))[٣]. وكان نظام الحكم وراثياً، وقد تجلى ذلك في تولي أبناء زيري بن عطية إمارة فاس، وبني يفرن وأمراء سجلماسة، وأمراء برغواطة[٤].

---

(١) **برغواطة**: وهم شعب من شعوب المصامدة، وكانت المنطقة التي شاعت فيها ديانة برغواطة هي منطقة تامسنا، نزل بها طريف صاحب ميسرة الحقير الذي سن لأهلها مذهبا لم يلبث ابنه صالح بن طريف ان صيره ديانة ،حوالي سنة (١٢٥هـ / ٧٤٢م) واصله من برباط الاندلس، وعربة العرب هذا الاسم وقالو برغواط وهو يهودي النسب من سبط شمعون، فانضمت اليهم قبائل اخرى عرفوا باسم المذهب الذي يدينون به، وقد استمر هذا المذهب قائما الى منتصف القرن الخامس الهجري، ومن اشهر الامراء والقواد الذين فتكوا بهم الامير تميم اليفرني بعد سنة ٤٢٠هـ، وقد اندثر اسم برغواطة منذ ذلك التاريخ. ابن خلدون، العبر :ج٦/ ٢٨٠ ،العروي، عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب، ط٢، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ ٢٠٠٠م: ١٥ .

(٢) **تامسنا**: تامسنا بالمغرب الاقصى الممتدة من نهر سلا الى نهر أم الربيع، وكانت في الاصل موطنا لزناتة وزواغة حتى نزل بها طريف صاحب ميسرة الحقير الذي سن لأهلها مذهبا لم يلبث ابنه صالح صيره ديانه. ابن خلدون، العبر : ج٦/ ٢٨٠.

(٣) ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، اعمال الاعلام، تح: احمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب ــ الدار البيضاء ــ ١٩٦٤م : ق٣/ ١٥٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦ .

(٣)ابن عذاري، البيان المغرب، تح: أحسان عباس : ج٤ / ١٠.

(٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب : ١٠٨، ١١٤.

الخارطة السياسية للمغرب الاقصى قبل قيام دولة المرابطين ــ صورة من الانترنيت



خارطة شكل رقم (١)

المبحث الثاني : مرحلة تأسيس الدولة المرابطية

أولا : أصل المرابطين

ينتمي المرابطون إلى قبيلة لمتونة[١] ، ولمتونة هذه بطن من بطون صنهاجة ، اعظم القبائل البربرية ، وهي بدورها فرع من فروع قبيلة البرانس الكبرى، ولإيكاد قطر من الاقطار يخلو من بطن من بطونهم في جبل او بسيط ، حتى زعم كثير من الناس انهم ثلث البربر[٢] ، وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي إلى السبعين منهم : كدالة ومسوفة ومسراته ومداسة وبني وارث وبني دخير وبني زياد وبني موسى وبني فشتال وغير ذلك ، وتحت هذه القبائل بطون وافخاذ تفوق الحصر ، وقد لعب الكثير منها في تاريخ المغرب ادواراً ملحوظة[٣] . وفي بعض الروايات أنّ صنهاجة ، وهي الأم الكبرى لهذه القبائل التي ترجع نسبتها إلى العرب اليمانية ، وإنها فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير . ويعضد ذلك مانقله ابن أبي زرع عن أبي فارس الشاعر – رحمهم الله – في أرجوزته في التاريخ المسماة بنظم السلوك :

إن المرابطين هم من حمير قد بعدت أنسابهم عن مضر
كانوا ملوكاً في الزمان الأول وأمرهم وحالهم لم يجهل
وقد رأيت في كتاب النسب قولاً به أعجز أهل الأدب
بأن صنهاج أبوه حمير وهو أب لصلبه لا العنصر
أكرم به من نسب صريح فقله لاتخف من التصريح
عدلهم وفضلهم مشهور ومجدهم وسعدهم مذكور[٤].

---

(١) **لمتونة** : وهي من أهم قبائل الملثمين وأقواها ، فهي تمتد من منطقة تلي منطقة لمطة وجزولة ، وتمتد من وادي نون على المحيط الاطلسي (بحر الظلمات) ، حتى رأس بوجادور الحالية ، وإلى الشرق من وادي نون ، وهي حصن لمتونة ومعقلها وهذه القبيلة توغل في الصحراء شرقا ، حتى قيل إن ديارهم تمتد مسيرة شهرين طولا وعرضا ، ولايبعد أن تكون بعض بطونها قد رحلت حتى أصبحت على مقربة من غانة . البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب : ١٦٤ ؛ محمود ، حسن احمد ، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ ١٩٥٦م : ٤٥ .

(٢) ابن خلدون ،العبر : ج٦/٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣) أبن حزم ، جمهرة أنساب العرب : ٤٦١ ، ٤٦٧ ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب :١٢٠ ، ١٢١ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج٢/٣ .

(٤) الملزوزي ، أبو فارس عبدالعزيز بن عبدالرحمن المكناسي (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) ، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ، المطبعة الملكية ــ الرباط ــ ١٩٦٣م : ٤٨ .

في حين خالفه أبوالعباس أحمد بن خالد الناصري[١] حيث قال في رواية اخرى : والتحقيق خلاف ذلك : وأنهم من كنعان بن حام كسائرالبربر .

وفيما يتعلق بالتراتيب الاجتماعية لا تسعفنا المصادر إلا بالقليل من المادة الأولية اللازمة لرسم صورة تقريبية لما كانت عليه قبائل الصحراء من حيث التقسيمات الاجتماعية ، ابتداء من الوحدة الصغرى المتمثلة في البيت أو الأسرة أو العائلة ، وما يتلوها من تراكيب أجتماعية أخرى مما يعرف عند العرب بالعشائر والأفخاذ والبطون ، وانتهاء بالتجمع الأكبر وهو القبيلة ، وما قد يتلوه من اتحادات بين القبائل المختلفة ، التي تحمل عادة أسم القبيلة صاحبة القيادة والهيمنة . وفي ضوء الترتيب المنهجي الذي عرفته قبائل العرب ، والذي يظهر بوضوح في ذلك النسق من التاريخ العربي المعروف بأسم علم الأنساب ، الذي اقتدى به نسابة البربر ، صارت عدة قبائل صنهاجة من الملثمين ، بحسب احصاء ابن أبي زرع[٢] ، والذي اخذ به ابن خلدون[٣] ، سبعين قبيلة . بينما كان الذي لها دورمهم عند قيام دولة المرابطين في (منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشرالميلادي) ، خمس قبائل هي : لمتونة ، ولمطة[٤] ، ومسوفة[٥] ،

[١] الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : ج٢ /٣ ؛ ينظر : الميلي ، مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم وتصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ــ دار الغرب الاسلامي ــ بيروت ــ (د.ت) :ج١/ ٨٥ .
[٢] الأنيس المطرب : ١٢٠.
[٣] العبر : ج٦/ ٢٠٢ .
[٤] **لمطة** : وهي من قبائل الملثمين ، تحتل المنطقة الممتدة من جبال درن ، حتى وادنول القريبة من المحيط الاطلسي . البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ١٦٦ .

[٥] **مسوفة** : وهي قبيلة من صنهاجة ، كان أهلها يعيشون في القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، كإخوانهم قبيلة لمتونة بشمال نهر السنغال ، ويعتقد انهم جأوا الى هناك من تندوف حوالي القرن الثاني الهجري ، /الثامن الميلادي ، تمتد مضارب قبيلة مسوفة في منطقة قاحلة مجدبة ، تقع بين سجلماسة في الشمال ، واودغشت في الجنوب ، وكانت بعض من بطونها توغل شرقا حتى تصل الى تادمكة ، وكوكو ، وكانت هذه القبيلة تسيطر على ذلك الطريق الحيوي للتجارة السودانية حتى زمن ابن بطوطة ، كما ان ابن حوقل وهو يسبق ابن بطوطة بعدة قرون وجد هذه القبائل في مضاربها تلك تسيطر على التجارة المارة بين أودغشت في الجنوب ، وسجلماسة في الشمال . ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) ، صورة الأرض ، دار صادر ــ بيروت ــ طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ــ ١٩٣٨م : م٩٢/١ ؛ الدمشقي ، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الانصاري (ت٥٢٧هـ/ ١١٣٢م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية ــ بطربورغ ــ١٨٦٥م : ٢٣٨ .

وجدالة[١] ، وجزولة[٢] ، يمكن أن تختصر إلى ثلاثة فقط اذا اندمجت كل من الأولى والثانية تحت اسم لمتونة ، والرابعة والخامسة تحت أسم جدالة ، كما يمكن ان تندرج القبائل الخمسة تحت اسم لمتونة ، وأن كان من الدارج في تأسيس دولة المرابطين الحاق مسوفة بلمتونة[٣] . وكانت لهم بالمغرب دولتان إحداهما : دولة بني زيري بن مناد الصنهاجيين[٤] بإفريقية[٥] ، ورثوا ملكها من دولة العبيدين[٦] ، والأخرى

---

[١] **جدالة** : وهي قبيلة من أهم قبائل الملثمين ، وكانت رئاسة الملثمين في لمتونة التي كانت تنازع قبيلة جدالة ، وتضرب جدالة جنوب قبيلة لمتونة حتى مصب نهر السنغال متخذة من أوليل مركزا لها ، حيث يكثر الملح الذي تحمله القوافل إلى الشمال والجنوب ، وهذه القبيلة أوفر مالا وأكثر استقرارا ، وقريبة من أدوغشت ، وطريق سجلماسة ، لذلك استطاعت أن تسير متاجرها عبر هذا الطريق ، وأن تجني من وراء ذلك مالاً وفيراً ، كما يذكر المؤرخون أنها أقرب قبائل الملثمين من بلاد السودان ، ومنهم الأمير يحيى بن ابراهيم الجدالي . البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ١٧٢ .

[٢] **جزولة** : وهي قبيلة من قبائل الملثمين ، وتحتل قبيلة جزولة المنطقة الممتدة من جبال درن ، حتى وادنول وهي أول صحراء المغرب ، القريبة من المحيط الاطلسي ، وهذه القبائل جميعها تتصل ديارها الى مدينة سجلماسة ، والمناطق القريبة منها . البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ١٦٢ ، ١٦٣ .

[٣] ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب : ١٢٠ ؛ ابن خلدون ، العبر :ج٦/٢٠١ ، ٢٠٢ ؛ عبدالحميد ، سعد زغلول ، سعد ، تاريخ المغرب العربي ، ط١، منشأة المعارف ــ الاسكندرية ــ ١٩٩٥م :ج٤/ ١٠٧ ، ١٠٨ .

[٤] **بنو زيري** : وهم سلالة بربرية بطن من بطون صنهاجة ، كان لبني زيري دولة تسيطر على مناطق واسعة في إفريقية من طرابلس إلى طنجة تحت لواء الدولة الفاطمية يحكمها أخوه بلقين بن زيري ، وبعد وفاة بلقين خلفه ابنه منصور ومن بعده ابنه باديس بن منصور ، الذي حاول أعمامه وأعمام أبيه أن يخلعوه ، وكان زيري بن مناد هو مؤسس الدولة الزيرية في المغرب الاوسط التي حكمت في تونس وشمال الجزائر مابين (٣٦١ـ ٥٤٧هـ/ ٩٧١ ــ ١١٥٢م) . ابن عذاري ، البيان : ج١/ ٢٦٢ ، ٢٦٣ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٦/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

[٥] **إفريقية** : اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، وسميت إفريقية بإفريقيس بن أبرهة ابن الرائش ، وحد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية ، وأما فتحها فكان زمن الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) ، إذ ولي عبدالله بن سعد بن أبي سرح مصر وأمره بفتح إفريقية ، وينسب إليها سحنون بن سعيد الإفريقي من فقهاء أصحاب مالك . ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج١/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ .

[٦] **دولة العبيديين** : وهي الدولة الفاطمية التي أقامها الشيعة الاسماعيلية في المغرب ما بين سنتي (٢٩٦ ــ ٣٦٢هـ /٩٠٨ ـــ ٩٧٢م) ، ثم نقلوا مقر حكمهم الى مصر حيث بقيت دولتهم الى سنة (٥٦٧هـ/١١٦٥م) ، كان مؤسس هذه الدولة الامام عبيد الله المهدي ، وترجع معظم المصادر نسبهم الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، بينما ارجعت مصادر اخرى عبيدالله المهدي الى غير العرب . المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تح : جمال الدين الشيال ، ط٢ ، مطابع الاهرام التجارية ــ القاهرة ــ ١٩٩٦م : ج١ /٥٥ ، ٥٩ ؛ جمال الدين ، عبدالله محمد ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، دار الثقافة ـ القاهرة ـ١٩٩١م : ٣٨ ، ٥٢ .

دولــة الملثمـين بــالمغرب الأقصـــى والأوســط والأنــدلس[1] . وسُـمُّوا بــالملثمين ؛ لأنهـم كانوا يتلثمون ولا يكشفون وجوههم أصلا ولا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً فلا يعـــرف الشيخ من الشاب[2] ، وتلك ســنة لهم يتوارثونها خلفـــــاً عـــن سلف ، وسبب ذلك على ما قيل إنّ حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد يفعــله الخواص منهم ، فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم . وقيل : إنّ سبب تلثمهم هوشدة الحياء الذي اتصف به الملثمون وفي ذلك يقول : أبو محمد بن حامد الكاتب :

قوم لهم درك العلا في حمير وان انتموا صنهاجة فهم هم
لماحووإحراز كل فضيـــلة غلب الحياءعليهم فتلثمـوا[3] .

إلا ان المـرجح فـي اسـتخدام اللثــام[4] أن قبائـل لمتونــة ومسـوفة وجدالــة عرفـت بالملثمين ، لاتخاذهم اللثام شعاراً لهم يميزهم عن سائر قبائل المغرب ، وهم يتخـــذون اللثام منذ طفولتهم فيعتقدون أن ظهور الفم عورة يجب أخفاؤها ، أو أن ((الفم سوءة تستحق الستركالعورة))[5] .

---

(1) الناصري ، الاستقصا : ج ٢ / ٣ .

(2) ابن الأثير، عزالدين أبوالحسن علي بن محمد الجزري، (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ، ط١، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ١٩٨٧م : ج٨/ ٣٢٨ ؛ ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح : إحسان عباس، دار صادر- بيروت-١٩٧٧م : ج٧/١٣٠ ؛ ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) المغرب في حلى المغرب ، تح: شوقي ضيف ، ط٤ ، دار المعارف ـــ القاهرة ـــ ١٩٥٩م : ج٣/ ٤٦٧ ؛ مؤلف اندلسي من أهل القرن الثامن الهجري ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تح : سهيل زكار ؛ عبدالقادر زمامة ، ط١ ، دار الرشاد الحديثة ـ الدار البيضاء ـ ١٩٧٩م : ١٧ ؛ العبادي ، احمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ـ (د٠ت) : ٣١٧ .

(3) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ج٧ /١٢٩ ، ١٣٠ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج ٢ / ٤ ؛ ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل ،(ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) ، المختصر في أخبار البشر تاريخ ابي الفداء ، مكتبة المتنبي ـ القاهرة ـ (د ـ ت) : ج١/ ١٧٥؛ اليافعي ، أبو محمد عبدالله بن اسعد (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط١ ، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـ ١٩٩٧م : ج٣/ ١٦٧ ؛ ابن الذيب ، عيسى ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية (٤٨٠ـ ٥٤٠هـ/ ١٠٥٦ ـ ١١٤٥م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الجزائر ـــ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ـ قسم التاريخ ـــ ٢٠٠٨ ـــ ٢٠٠٩م) : ٥ .

(4) **اللثام** : هو النقاب يوضع على الفم أو الشفة ، لثم (الملثم) الأنف وما حوله . مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، تح : أساتذة من مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ـ (د ـ ت) : ج٢/ ص٨١٥ .

(5) ابن حوقل ، صورة الأرض : ج١/ ١٠٢ .

فيذكر البكري[١] أنهم : ((لا يفارقون ذلك في حال من الأحوال ولا يميز رجل منهم وليه ، ولا حميمه إلآ اذا تنقب وكذلك في المعارك إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع وصار ذلك لهم ألزم من جلودهم وهم يسمون من خالف زيهم هذا من جميع الناس أفواه الذبّان)) .

وقد ذهب المؤرخون والرحالة مذاهب شتى في تفسير هذه العادة الغريبة الفريدة ، فقالوا انها كانت خدعة ، يتنقب الرجال في وقت الحرب ، حتى يظن العدو أنهم نساء ، فإذا ادبر انقضوا عليه فقتلوه[٢] ، وان الرجل منهم إذا اراد أن يربط لثامه ، اختفى عن الأنظار ، حتى عن اهله ، ويعد لبس اللثام في نظرهم مفخرة يمتدحون به ، كما يمتدح العربي بسيفه ، ولا يعتبر الفرد مكتمل الرجولة إلا إذا ارتدى لثامه ؛ لذلك تحتفل الأسر عند بلوغ الاولاد سن الرشد بارتداء اللثام ، ويقيمون احتفالاً كبيراً ، هو دليل على استحقاق الفرد لحقوقه المدنية ، واعتباره عضواً عاملاً في المجتمع الملثم[٣] . وهكذا أُطلق على القبائل الصنهاجية أسم الملثمين ، وأصبح اللثام شعاراً عُرفوا به ، إلى أن سُمّوا بالمرابطين[٤] .

---

[١] المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ١٧٠ .

[٢] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٨/ ٣٣٠ ؛ عنان ، محمد عبدالله ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي من دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الثاني ، القاهرة ـ لجنة التأليف الترجمة والنشر ـ ١٩٦٠م : ٢٩١ ، ٢٩٢ .

[٣] ابن خلكان ، وفيات الاعيان :ج٧/ ١٢٩ ؛ ابي الفداء ، المختصر في أخبار البشر : ج١/ ١٧٥ .

[٤] ابن عذاري ، البيان : ج٤/ ١٢ ؛ اليافعي ، مرأة الجنان : ج٣/ ١٦٧ ؛ القرماني ، احمد بن يوسف (ت١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) أخبار الدول واثار الاول في التاريخ ، تح : أحمد حطيط ؛ فهمي سعيد ، ط١ ، عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٩٩٢م : م٢/ ٤٠٩ ؛ خطاب ، محمود شيت ، قادة فتح المغرب العربي ، ط٧ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٨٤م : ج٢/ ١٨٠ ؛ نصر الله ، سعدون عباس ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس عهد يوسف بن تاشفين امير المرابطين ، ط١، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٥م : ١٣ ؛ اشباخ ، يوسف ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ط٢، ترجمة وتعليق عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٩٩٦م : ج١/ ٦٨ ؛ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط١٤ ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٩٦م : ج٤/ ١١١ ، ١١٤ ؛ الحجي ، عبدالرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى السقوط ، ط٧ ، دار القلم ـ دمشق ـ ٢٠١٠م : ٤٥٢ .

وكـان الـذي سمـــــاهم بـالمرابطين هــــو عبـدالله بـن ياسـين[١] ، وسـبب هـذه التسـمية يرجـــــع إلى اعتصامهم بالرباط[٢] الذي أنشـــأه في أعالي حوض نهر السنغال عند بدايـة حركته الإصلاحية ، والذي انقطع فيه هو وأصحابه للعبادة وابتنـــوا بـه رابطـة للصـلاة ؛ ولعل هذه التسمية مقتبسة من القرآن الكريم لقوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**)[٣] .

وعندما قرر الإمام عبدالله بن ياسين إنشاء رباط يعتزل فيه غمرة الحياة اليومية بين الناس ، يصلح فيه نفسه ومن آوى إليه من الناس عن طريق العلم والعبادة . لم يكن الإمام عبدالله حين أقام رباطه بمبتدعاً بل كان يسلك طريقة سلكها أهل العلم والعبادة منذ ابتداء الإسلام استجابة لدعوة الله تعالى ، ورسوله الكريم (ﷺ) . أن تفسير كلمة رباط يحدد لنا معالم التطور الذي أصاب حر كة المرابطة في المشرق والمغرب[٤] .

---

[١] **عبدالله بن ياسين** : وهو من تلاميذ ابي عمران الفاسي فقيه القيروان ، أصله من قبيلة جزولة اخت جدالة فهو صحراوي مغربي بربري ، مسقط رأسه في قرية تسمى (تماما ناوت) في طريق صحراء غانة ، وكان واعظاً وفقيهاً وخطيباً وكان من حذاق الطلبة ، ومن أهل الفضل والدين والورع والسياسة، انتدبه أبي عمران الفاسي للقيام بالمهمة الشاقة في بلاد القفر الموحشة مهمة الدعوة في صحراء الملثمين بصحبة يحيى بن ابراهيم من أجل تأسيس دعائم الدولة المرابطية . البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ١٦٤ ، ١٦٥ ؛ ينظر : بلامين ، عبد العلي ، مواقف المرابطين في دفع بغي السلاطين ، بحث منشور ، منتديات التاريخ الاسلامي ، (جامعة سيدي محمد بن عبدالله ــ كلية الآداب والعلوم الانسانية ــ ظهر المهراز ــ فاس ــ المملكة المغربية ــ ٢٠٠٥م) : ٩ ، ١٠ .

[٢] **الرباط** : ما ربط به ربط ، والفؤاد ، والمواظبة على الأمر ، وملازمة ثغر العدو ، كالمرابطة على الأمر ، أوالمرابطة : وهو المقام في الثغور ، ان يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره ، ومنه قوله تعالى (وصابروا ورابطوا) ، او معناه انتظار الصلاة بعد الصلاة ، لقوله (ﷺ) (فذلكم الرباط) · ابن دريد ، أبي بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م) جمهرة اللغة ، تح : رمزي منير بعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٨٧م : ج١/ ٣١٥ ؛ ينظر : الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م) ، القاموس المحيط ، ط٨ ، تح : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ؛ اشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ٢٠٠٥م : ٦٦٧ .

[٣] سورة آل عمران : الآية: (٢٠٠) .

[٤] الفيروز آبادي ، القاموس المحيط : ٦٦٧ ؛ ابن زيدان ، عبدالرحمن بن محمد السلجماسي (ت١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م) ، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ، ط١ ، تح : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ـــ القاهرة ـــ ٢٠٠٨م : ج١/ ٦٥ .

أن من أخص صفات المرابطة الجهاد في الثغور إذ ترابط خيل المقاتلة ، لحماية حياض المسلمين ، ورد كيد المعتدين ، كانت المرابطة في المغرب بعد أن فتحه العرب المسلمون على هذه الصورة ، ذلك أن سواحل البلاد ظلت بعد الفتح تتعرض لغارات الأسطول البيزنطي من قواعده في صقلية[١] وسردانية[٢] وجنوب ايطاليا ، وكان المسلمون أنفسهم يرون في هذه المرابطة لوناً من ألوان الجهاد في سبيل الله ؛ فكانوا يتسابقون إلى الربط ، يحرسون حدود الدولة العربية الاسلامية ، ويحرصون على نيل الشهادة دفاعاً عن عقيدتهم . كانت الربط في الواقع مجرد حصون ، تقام في الجهات الأكثر تعرضا لغارات العدو ، تشحن بالمقاتلة والمؤن لصد هجمات المعتدين ، وقد تكون الرباطات مكان للعبادة والتنسك[٣].

وبدأت المرابطة في الجزيرة بسبعة أشخاص من جدالة في سنة (٤٣٣هـ/١٠٤١م) ، وسرعان ما تزايد ت اعدادهم بما كان ينضم إليهم من المريدين ، وانشأ الإمام عبدالله بن ياسين مذهباً خاصاً راح يفرضه على أتباعه ، يستند في أحكامه على الشريعة الإسلامية على مذهب الامام مالك ، واهم أسسه الجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتزام أحكام الدين في جميع الأمور ، وأقامة الحدود ، وجباية الأموال . ولكثرة المريدين ، وضع الإمام عبدالله بن ياسين شروطاً يجب أن تتوافر في كل جديدٌ كي

---

(١) **صقلية** : وهي من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية ، وهي مدينة مثلثة الشكل في البر الشمالي الشرقي من القسطنطينية ، وبينها وبين بر إفريقية مائة واربعون ميلاً ، وهي جزيرة خصبة كثيرة القرى والأمصار وفيها ثلاثمائة ونيفا وعشرين قلعة ، وفي وسطها جبل يسمى قصر يانه ، وهي اعجوبة من عجائب الدهر ، وفيها جبل النار لاتزال تشتعل فيه أبداً ظاهرة لايستطيع أحد الدنو منها ، وهي كثيرة المواشي ، وفيها معدن الذهب والفضة والنحاس ، وبها عيون غزيرة وأنهار جارية ، وقد فتحها المسلمون في أيام بني الأغلب على يد القاضي أسد بن الفرات سنة (٢١٢هـ/ ٨٢٧م) . ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج٣/ ٤١٦ ، ٤١٧ .

(٢) **سردانية** : وهي جزيرة في بحر المغرب كبيرة ، وقد غزاها المسلمون وملكوها سنة (٩٢هـ/ ٧١٢م) في عسكر الوالي موسى بن نصير ، وقيل أن سردانية مدينة بصقلية . ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج٣/ ٢٠٩ .

(٣) ابي العباس ، محمد بن يحيى ، (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب ، ط١ ، اشراف : محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ــ بيروت ــ ١٩٨١م : ج١٢/ ٣٦١ ؛ محمود ، قيام دولة المرابطين: ١٢٨ ، ١٢٩ .

لا تفسد الرابطة الناشئة بالمخربين ، فكان ينتقي أطهر الملثمـــين نفســاً وأوفرهـم قوة وأقدرهم على تحمل المشاق ، وكان يفرض على المريدين الجدد إنكار ما كانوا عليه من قبل وأن يدخلوا الاسلام من جديد[١] .

وكان الإمام عبدالله بن ياسين قد نزل أول الأمر في قبيلة جدالة مع زعيمها يحيى بن ابراهيم الجدالي . فقد ذكر ابن أبي زرع[٢] أنه ((ولي الأمير يحيا بن ابراهيم الكدالي بعد وفاة محمد بن تارشتا اللمتوني ، وكدالة ولمتونة اخوة يجتمعون في أب واحد ، وهم يسكنون آخر بلاد الا سلام ، ويحاربون السودان ، ويليهم من جهـــة المغرب البحر المحيط ، فأقام الأميـــر يحيا بن ابراهيم على رياسة صنهاجة وحروبهم مع أعدائهم إلى سنة سبع وعشرين وأربعمائة ...)) .

فهو فضلاً عن كونه رجل الدين ـ الإمـام عبدالله بن ياسين ـ الذي يتبـارك به الناس فهو ضـــيف زعيمهم ، وكانت عادة قبائل الصحراء أن الضيف في حماية ورعاية المضيف ، وعلى ذلك فأنّه بالرغم من تذمر بعض الناس من شدة تعاليم الإمام عبدالله بن ياسين إلا انهم كانوا يحسبون حساب زعامة يحيى بن إبراهيم ، وحمايته له ، فلما مات يحيى بن إبراهيم ، أصبح الإمام عبدالله بن ياسين بلا سند ، وأصبح مكروهاً ولاسيما بعد ما اختـار يحيى بن عمر اللمتوني[٣] خلفا ليحيى بن إبراهيم الجدالي ، فقد نقل بذلك الزعامة

---

[١] البكري ، المغرب في ذكر افريقيا والمغرب : ١٦٦ ، ١٦٧ ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب : ١٢٣ ، ١٢٥؛ القرماني ، ، أخبار الدول واثار الأول في التاريخ: م٢/ ٤٠٩ ؛ ابن أبي دينار، ابو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، (ت بعد ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ط١، مطبعة الدولة التونسية ــ تونس ـ ١٣٨٦هـ : ١٠١ ، ١٠٤ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٢٩٢ ؛ نصرالله ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس : ٢٦ ، ٢٧ .

[٢] الأنيس المطرب : ١٢٢ ؛ ينظر : الناصري ، الاستقصاء : ج ٢/ ٥ ؛ الصاوي محمد الصاوي ، دولة المرابطين ، ط١ ، دار طيبة للطباعة ـ الجيزة ــ ٢٠١٥م : ٥٠ .

[٣] **يحيى بن عمر** : هو يحيى بن عمر بن تكلاكين اللمتوني ، ابو زكريا ، وكان من أهل الدين والفضل والورع في الدنيا والصلاح ، وكان شديد الانقياد للامام عبدالله بن ياسين كثير الطاعة له ، وهو احد مؤسسي دولة المرابطين في المغرب الاقصى ، اعتزل مع الامام وبضعة أشخاص في جزيرة ، وتكاثروا حتى بلغوا زهاء ألف رجل من صنهاجة ، وشارك مع الامام عبدالله في قتال بلاد درعه ، قتل الامير يحيى بن عمر في جهاد بلاد السودان وذلك سنة (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) ، قام بعده أخوه ابو بكر بن عمر ـ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٢٧، ١٢٨ ؛ الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ط٥ ، دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٨٠م : ج٨/ ١٦٠ .

من قبيلة جدالة إلى قبيلة لمتونة ؛ إذ كان الإمـــام عبد الله بن ياسين مقتنعاً بأن المستقبل لدعوته ستكون مع قبيلة لمتونة لموقعها الجغرافي المميز ، ولشجاعتهم الحربية ، ولخضوع الأمير الجديد يحيى بن عمراللمتوني وعائلته لأوامر الإمام عبدالله بن ياسين وتعاليمه(١) .

ويبدو أن الصلة التي تربط بين الملثمين في العصور الإسلامية وبين الطوارق في العصر الحاضر وثيقة جداً والروابط بينهما كثيرة ومتعددة ، منها أن الطوارق في العصر الحاضر لايزالون يقطنون نفس البقاع التي كانت يقطنها الملثمون في العصور الإسلامية ، الممتدة من الطـــــرف الشرقي لصحراء المغرب عند فزان(٢) حتى منطقة المحيط الاطلسي وهذه البيئة بيئة عزلة تمكن لهذه القبائل الضاربة في فيافي الصـــحراء أن تعيش مستقـــلة ، بعيدة عن أية مؤثرات ، قد تغـير من الحياة التي ألفها أجدادهم ، فقد ظلت الصحراء الكبرى على الأقل في معزل عن التأثيـرات الأجنبية في العصر الحديث(٣) . وقد لاحظ حسن احمد محمود(٤) ، بالأعتماد على مراجع قديمة ومعاصرة أن أسم الطـــوارق(٥) مشتق من (ترغة) التي هي احدى قبائل الملثمين ، مع العلم بأن السلطة

---

(١)مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٢٠ ، ٢١ ؛ دندش ، دور المرابطين في نشر الاسلام : ٦٧ ، ٦٨ .

(٢)**فزان** : بفتح اوله ، وتشديد ثانيه ، و آخره نون : ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب ، وهو في الاقليم الاول ؛ وعرضه احدى وعشرون درجة ، قيل سميت فزان بن حام بن نوح عليه السلام ، بها نخل كثير وتمر كثير ، ومدينتها زويلة السودان وغالب على الوان اهلها السواد . ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج٤/ ٢٦٠ .

(٣) محمود ، قيام دولة المرابطين: ٤٧ .

(٤) قيام دولة المرابطين: ٤٧ ، ٤٨ ؛ ينظر : حركات ، ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ـ الدار البيضاء ـ ٢٠٠٠م : ج١/١٥٥ .

(٥)**الطوارق** : إنّ اسم الطوارق الذي خلع على الملثمين في الوقت الحاضر مشتق من ترغة ، وترغة قبيلة من قبائل الملثمين في العصور الوسطى ، كانت تضرب في المنطقة الواقعة في وادي درعة في المغرب الاقصى ، وكانت مسألة الاصل الذي ينحدر منه الطوارق محل اقوال متناقضة وبحوث مترامية الأطراف منذ غابر الأزمان حتى اليوم ، فلما تفرق حلف المرابطين تفرقت في الصحراء بحثا عن حياة أفضل وأمن و أمان ، وعن وطن تأوي إليه . و قد عم الأسم حتى أصبح يشمل شعوب الملثمين كلهم ، لأن القبائل في المغرب كانت تتداول السلطة والنفوذ فإذا تمت السيادة لقبيلة فرضت سلطانها وأخضعت القبائل الأخرى ؛ فقد سادت لمتونة و أسست دولة المرابطين فأصبح أسمها عاماً على الملثمين ، فلما سقطت الدولة وضعفت لمتونة و سادتها قبائل أخرى من الملثمين وخلفتها قبيلة ترغة أخضعت القبائل لسيادتها وخلعت أسمها على الشعب كله فأصبح يعرف بأسم الطوارق . ابن خلدون ، العبر : ج٦/ ١٢٠ ، ١٢٢ ؛ محمود ، قيام دولة المرابطين : ٤٨ .

ثانيا : بداية تأسيس الدولة المرابطية

استطاعت الدولة الفاطمية (العبيدية) بعد قيامها في شمالي إفريقية سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) ، القضاء على الكيانات السياسية الموجودة ، وهي : الإمارة الأغلبية في تونس (١٨٤ - ٢٩٦ هـ/ ٨٠٠م -٩٠٨م) ، والإمارة الرستمية الخارجية في تاهرت[١] بالجزائر (١٦٠ ـ ٢٩٦هـ/ ٧٧٧ ـ ٩٠٩م) ، والإمارة المدرارية الخارجية في سجلماسة جنوبي المغرب الأقصى (١٥٦ـ ٣٦٦ هـ / ٧٧٢ ـ ٩٧٦م) ، وإمارة الأدارسة في فاس (١٧٢ـ ٣٦٤هـ/ ٧٨٨ ـ ٩٧٤م) ، إلا أن نفوذ العبيديين كان محصوراً بالساحل ، وبهذا ظلت الحياة القبلية سائدة في الجنوب ، وازدهرت عند انتقال الفاطميين إلى مصر سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) . بعد هذا الانتقال ظهرت إمارة بني مناد في تونس، والجزائر، فكانت تونس من نصيب آل زيري ، وإمارة بنو حماد[٢] في الجزائر[٣] .

بدأ نجم المرابطين في الظهور عندما كونوا أول حلف صنهاجي ضم أهم قبائل صنهاجة الجنوب بزعامة أمير لمتوني يدعى يتلوتان بن تلاكاكين الذي بلغت سلطته شئناً عظيماً ، وأصبحت أكثر من عشرين مملكة من ممالك السودان خاضعة لنفوذه تؤدي

---

[١] **تاهرت** : تقع في منطقة منطوية على نفسها في السفح الجنوبي لجبل كزول وموقعها الاستراتيجي ، حيث تقع في منطقة محاطة بقبائل أكثر افرادها مشهورين بانتمائهم القوي للمذهب الاباضي ، فضلا عن وقوعها بمنطقة غنية اقتصاديا وثرواتها الزراعية المتنوعة ويرجع ذلك لكثرة مصادر المياه وتنوعها بالمنطقة . ينظر : البكري ، المغرب في ذكر افريقية والمغرب : ٦٧ ؛ الحريري ، محمد عيسى ، الدولة الرستمية في المغرب حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس (١٦٠ ـ ٢٩٦هـ/ ٧٧٦م ـ ٨٨٢م) ، ط٣ ، دار القلم للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ ١٩٨٧م : ٩٥ ، ٩٦ .

[٢] **بنو حماد** : يرجع نسب حماد بن بلكين ـ مؤسس الدولة الحمادية ـ إلى زيري بن مناد ابن منقوش بن (صنهاج) الاصغر بن صنهاج الاكبر، وقبيلة صنهاجة نسبة الى صنهاج ، وهو احد أبناء برنس بن بر بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح . ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٤٦١ ، ٤٦٧ ؛ ينظر : عويس ، عبدالحليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط٢، دار الصحوة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٩١م : ٤٨ .

[٣] ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج١/ ٢٦٥ ، ٢٦٦ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٦/ ٢٠٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا : ج١/٦٥ ، ٦٧ ؛ عويس ، دولة بني حماد : ٤٧ ، ٧٣ ؛ السامرائي ، خليل ابراهيم ؛ عبدالواحد ذنون طه ؛ ناطق صالح مطلوب ، تاريخ المغرب العربي ، ط١ ، دار الكتب الوطنية ـ بنغازي ـ ٢٠٠٤م : ٢٨٦ .

له الجزية بانتظام[١] . وفي سنة (٢٢٢هـ/ ٨٢٦م) توفي يتلوتان بن تلاكاكين فتوارث أبناؤه الحكم الى سنة (٣٠٦هـ/ ٩١٨م) . لم يلبث الحلف الصنهاجي أن تصدع بسبب الخلافات الداخلية ، وبقي الحال كذلك مائة وعشرين سنة إلى أن أُعيد تشكيل حلف ثان بزعامة الأمير أبو عبدالله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتوني ، فاجتمعوا عليه ، فأقام أميراً على صنهاجة ثلاثة اعـوام إلى أن استشهد في غزاة له بموضع يقال له بغارة كما أسلفنا ، وتولـى بعده أمر صنهاجة صهره يحيى بن ابراهيم الكدالي ، الى سنة (٤٢٧هـ / ١٠٣٤م) ، فاستخلف ولده إبراهيم بن يحيى ، وارتحل إلى المشرق لغرض الحج ، وفي رواية أنه رحل لتلقي العلم ، ولما عاد من رحلته مر في طريقه بمدينة القيروان فلقي بها الفقيه الصالح أبا عمران موسى بن الحاج الفاسي[٢] يدرس العلم ، فجلس إليه وسمع منه ، فرآه أبو عمران محباً للخير فأعجبه حاله ، فسأله عن أسمه وبلده ونسبه فأخبره بذلك وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من الناس[٣] ، فقال له وما ينتحلـون من المذاهب ؟ فقال له أنهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كثير علم ، فاختبره الفقيه وسأله عن واجبات دينه ، فلم يجـده

---

[١]ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٢٠ ، ١٢١ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٦/ ٢٤١ .

[٢]**أبا عمران الفاسي :** هو موسى بن عيسى ابو عمران بن عيسى ابن ابي حاج الفاسي ، فقيه كبير من أهل فاس ، رحل إلى الاندلس ، وإلى المشرق فحج ودخل بغداد وحضر مجلس القاضي ابي بكر الباقلاني ، من ائمة المذهب المالكي ، يعرف الرجال والجرح والتعديل ، تذكر بعض كتب التاريخ أن أبا عمران هو الذي وضع الخطوط الاولى مع الزعيم يحيى ابن ابرهيم لقيام دولة صحراوية سنية في المغرب على أسس دينية صحيحة ، استوطن القيروان ، وحصلت له بها رئاسة العلم ، وكان تفقه بالقيروان عند أبي الحسن القابسي ، وسمع بها من أبي بكر الدويلي ، وعلي بن أحمد اللواتي ، رحل إلى قرطبة فتفقه عند أبي محمد الأصيلي ، وتفقه عليه جماعة كثيرة كعتيق السوسي ، وجماعة من الفاسيين والسبتيين والأندلسيين ، فطارت فتاويه في المشرق والمغرب ، قال حاتم بن محمد : كان أبو عمران من أعلم الناس ، وأحفظهم جمع حفظ المذهب المالكي إلى حفظ حديث النبي (ﷺ) ومعرفة معانية ، وكان يقرىء القرآن بالسبعة مع معرفته بالرجال جرحتهم وتعديلهم ، قال له الإمام الباقلاني لورآك الإمام مالك لسر بك ، توفي أبو عمران سنة (٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) · القاضي عياض ، ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، ضبطه وصححه : محمد سالم هاشم ، ط١ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٩٨م : ج٢/ ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ · ينظر : عبدالوهاب بن منصور ، اعلام المغرب العربي ، المطبعة الملكية ـ الرباط ـ ١٩٧٩م : ج٢/ ٩٦ ـ ٩٧؛ عيسى الحسن ، الاندلس في ظل الاسلام تكامل البناء الحضاري ، ط١ ، الاهلية للنشر والتوزيع ـ عمان ـ ٢٠١٠م : ١٧٨، ١٧٩ .

[٣]ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٢٢ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٩ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٦/٢٤٢ ، ٢٤٣ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج٢/٥ ، ٦ ؛ حتاملة ، محمد عبده ، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس ـ دراسة شاملة ، دائرة المكتبة الوطنية ـ عمان ـ ٢٠١٣م : ١٧٢ .

يجــده يعرف منها شيئاً ، ولا يحفظ من الكتاب والسنة إلا القليل ، إلا أنّه حريص على التعلم ، صحيح النية والعقيدة واليقيــن ، فقـــال له مـــا يمنعك من طلب العلم ؟ فقال له سيدي إنّ أهل بلادي قوم عمهم الجهل ، وليس فيهم من يقرأ القرآن ، وهم مع ذلك يحبون الخيرويرغبون فيه ويسارعون إليه لو وجدوا من يقرئهم[١] القرآن ويعلمهم ويفقههم في دينهم ، ويدعوهم إلى العمل بالكتاب والسنة ويعلمهم شرائع الإسلام ، فلو بغيــة الثواب من الله تعالى بتعليمهم الخير لبعثت معي إلى بلادنا أحد تلاميذتك يقرؤهم القرآن ويفقههم في الدين ، فينتفعون به ويسمعون له ويطيعون فيكون لك في ذلك الأجر العظيم وتكون سبباً لهدايتهم ، فندب الشيخ الفقيه أبو عمران تلاميذه إلى ذلك فامتنعوا وأشفقوا من دخول الصحراء ، ولم يجبه منهم أحد ممن يرضاه الشيخ ، فلما يئس منهم قال : أني أعرف ببلاد نفيس[٢] أو بلدة ملوكس من أرض المصامدة فقيهاً حاذقاً تقياً ورعاً لقيني هنا وأخذ عني علماً كثيراً وعرفت ذلك منه ، وأسمه واجاج بن زلو اللمطي[٣] من أهـــل السوس الأقصى ، وهو الأن يتعبد ويدرس العلم ويدعو الناس إلى الخير في رباط هناك ، وله تلامــيذ كثيرون يقرؤون عليه العلم ، أكتب له كتاباً لينظر في تلاميذه من يبعثه معك فسر إليه ، فعنده تجد ما تريد[٤] ، فكتب إليه الفقيه أبوعمران كتاباً ، فســـار يحيى بن إبراهيم الكدالي

---

[١] ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٢٢ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٩ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٦/٢٤٢ ، ٢٤٣ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج٢/٥ ، ٦ .

[٢] **بلاد نفيس :** وهي مدينة صغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائلها المنسوبين اليها ، وكل هذه القبائل من البرابر المصامدة العامرين لهذه البلاد والجهات ومنهم نفيس الجبل ، وبها جامع وسوق نافقة وبها من أنواع الزبيب كل عجيبة من جمال المنظر وحلاوة الذوق كثير جدا ٠ الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق : ٢٢٩ .

[٣] **واجاج بن زلو اللمطي** : من اهل السوس الاقصى ، رحل الى القيروان فاخذ عن ابي عمران الفاسي ثم عاد الى السوس فبنى داراً سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراءة القران وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه و اذا اصابهم قحط استسقوا به ، وكان عبد الله بن ياسين صاحب الدعوة المرابطية من تلاميذه ٠ ابن الزيات ، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي ، ط٢، تح : احمد التوفيق ، مطبعة النجاح الجديد ـ الدار البيضاء ـ ١٩٩٧م : ٨٩ .

[٤] البكري ، المغرب في ذكر افريقية والمغرب : ١٦٥ .

بكتاب أبي عمـــران حتى وصـــــل إلى الفقيه واجاج بن زلو اللمطي بمدينة نفيس من أعمال السوس[١]. وبذلك فقد وضع يحيى بن إبراهيم وأبوعمران الفاسي اللبنة الأولى لتأسيس الدولة المرابطية كان اختيار واجاج بن زلو اختياراً صائباً والذي بدوره أنتدب أحد تلامذته للقيام بهذه المهمة في الصحراء ، وهو عبدالله بن ياسين ، فاستجاب بحماس كبير لهذه المهمة ، واتجه مع يحيى بن إبراهيم إلى القبائل الصنهاجية بالصحراء ، حاملاً معه مشروعاً إصلاحاً دينياً وسياسياً[٢]. يبدو لي إن الدافع وراء إرسال يحيى بن إبراهيم إلى واجاج بن زلو من طرف الفقيه أبي عمران الفاسي قد لا يكون لعجز هذا الأخير عن العثور على أحد من تلامتذ يقوم بهذه المهمة ؛ لأنهم استوحشوها بل قد يرجع إلى رغبته في أن يقوم بمهمة الأصلاح ، التي اتفق مع يحيى بن إبراهيم عليها واحد من أبناء منطقة الملثمين أو المناطق القريبة من ديارهم كما هو حال السوس ؛ لأنّه أقدر على فهم طباع هؤلاء وهو الطريق الأفضل للتغيير ، كما أنه مطلوب ممن ينتدب لهذه المهمة أن يكون على معرفة بلســان الملثمين ؛ حتى يستطيع أن يوصل إليهم الدين القويم. وقبل الحديث عن مهمـــــة الإمـــام عبدالله بن ياسين في ديار الملثمين ، لابـــد من الأشارة إلى بعض العوامل التي ساعدت في إنجاح دعوته ، ويمكن تلخيصها فيما يأتي :

١- تحول الطرق التجارية نحو ديار صنهاجة الجنوب ، قد مكن الملثمين من جني أرباح كبيرة ساعدتهم على أنجاح مشروعهم السياسي[٣].

٢-توجه أنظار العالم الإسلامي إلى القوى البدوية المتواجدة في أطرافه كقوى منقذة ، وتتمثل بالسلاجقة[٤] شرقاً وبالملثمين غرباً.

---

[١] ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٢٣ ، ١٢٤ ؛ مؤلف أندلسي ، الحلل الموشية : ٢٠ .

[٢] بوتشيش ، ابراهيم القادري ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٩٩٣م : ٩ ؛حواله ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية (المغرب الادنى) منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ، ط١ ، جامعة ام القرى ــ مكة المكرمة ــ ٢٠٠٠م : ٤٠١ .

[٣] بوتشيش ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين : ١٠ .

[٤] **السلاجقة** : ينتسب السلاجقة إلى سلجوق بن دقاق أحد رؤساء الأتراك ، وكانوا يسكنون بلاد ماوراء النهر ، وهم من الاتراك الغز ، وقد دخل السلاجقة الاسلام في أثناء عهد زعيمهم سلجوق ، وبعد وفاة زعيمهم ، قام احفاده بتقسيم المملكة الى نصفين ، وقد توسعت مملكة طغرل بك الى الغرب فضمت فارس اليها ثم العراق بعد القضاء على الدولة البويهية سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) ، وكان عصرهم أكثر ازدهارا وملكهم أعظم رقعة وقوة ، والى السلاجقة يرجع الفضل في تجديد قوة الاسلام ، ويعد القائد الب ارسلان من خير قادة السلاجقة وبطل معركة ملاذكرد الشهيرة سنة (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) . ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٥/ ٦٣ ، ٦٤ ؛ ينظر : حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : ج٤/٧ ، ١٠ ، ٢٦ ، ٢٧ .

٣- اشتداد الحركة الصليبية قد استدعى ظهور قوة منقذة[١] .

وعندما وصل الداعية المرابطي عبدالله بن ياسين إلى الصحراء ، أصبح المرشـــــد الديني والمناضل الأول لإقامة دولة المرابطين ، وكانت أول قبيلة مر بها هي قبيلة لمتونة حسبما ذكرابن الأثير[٢] ، فيقول : أنه في سنة (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) ((كان ابتدأ أمرالملثمين وهم قبائل ينسبون إلى حمير أشهرهم لمتونة ومنها : أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، وجدالة ولمطة ...)) ، وبالرغم من مظـاهرالترحاب التي قوبل بها في البداية فإنّه لقية معارضة قوية من أعيان القبيلة على الخصوص ، وهذا الموقف يشير إلى التعارض بين دعوة ابن ياسين وأعـــراف تلك القبـــيلة ، كما أن بعض تعاليمه الصارمة لم تكن لتلائم طبيعة مجتمع بدوي اعتاد على عدم الانصياع لشرائع تلجمه ، أنبعثت المعارضة من صفوف الزعماء والنبلاء الذين رأوا في الدعوة الجديدة خطراً على مصالحهم وحقوقهم التقليدية ، ويضع حداً لجبروتهم ، وينشر المساواة بين الموالي والسادة ، فسخطوا عليه[٣] . ومما يؤيد هذا الرأي ما أشار إليه البكري[٤] حين قال : ((فقام عليه فقيه منهم اسمه الجوهر بن سكن مع رجلين من كبرائهم يقال لأحدهما أيار وللآخر اينتكوا فعزلوه من الرأي والمشورة وطردوه وهدموا داره)) .

انتهت المعارضة بانقلاب تزعمه الأعيان كاد أن يؤدي بحياة الإمام عبدالله بن ياسين ، بعد ذلك تم طرده من ديار لمتونة[٥] ، وأصيبت الحركة الاصلاحية بانتكاسة خطيرة لولا فكرة انشاء الرباط الذي جاء لتغذية الدعوة المرابطية بجهود جديدة . وقد مرت الدعوة الجديدة بمرحلتين :

١- **مرحلة التكوين المذهبي والعسكري في الرباط** : بدأت هذه المرحلة عندما تم بناء الرباط في جزيرة منعزلة بموضع لم تحدده النصوص بدقـــة حسب قول ابن أبي زرع[٦] ،

---

(١) بوتشيش ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين : ١٠ .
(٢) الكامل في التاريخ : ج٨/ ٣٢٧ .
(٣) البكري ، المغرب في ذكر افريقيا والمغرب : ١٦٥ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٢٤ .
(٤) المغرب في ذكر افريقيا والمغرب : ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، تح : أحسان عباس : ج٤/ ٧ ، ٨ .
(٦) الأنيس المطرب : ٤ ١٢ .

ولايعرف على وجه التحديد المـــــدة التي بقي فيها الملثمون برباطهم ، ويمكن أن تكون قد تراوحت ما بين سبعـــــة إلى أثني عشـــــر عـاماً ، وهـي مـدة كانـت كافيـة لاعداد مـا يربـو على ثلاثة الآف مرابطاً تكويناً مذهبيـاً وعســـكرياً[١] . وفـي حقيقـة الأمر هو أيجـاد مجتمعـاً جديداً في ديار بعـــيدة نائية عن الخلافة العباسية ، فإن المذهب المـالكي يقول بطاعـة الأئمـة وإن جـاروا ، ولـذلك لـم تعـد الحركـة المرابطيـة بمعنـى خارجـة عـن طاعـة إمـام المسـلمين ولاسيــما وأن الخــــلافة الاموية قد انتهت فـي الأنـدلس سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) ، ولـهذا وجــدت دولة المرابطين الباب مفتوحاً ـ فيمـا بعـد ـ أمـام طلـب التقليد مـن الخلافـة العباسية لاضفاء الصفة الشرعية عليها[٢] .

٢- مرحلة تطبيق تعاليم الإمام عبدالله بن ياسين : بدأت هذه المرحلـة بخـروج الملثمـين مـن رباطهم بعد أن أصبحوا قادرين على تحمل أعباء الدعوة سيــاسياً وعسكرياً ، فتغير أسلوبها من الاعتماد على الحجة والإقنـاع إلـى استعمال القوة ، وبهذه الوسيلة تمكن الإمـام عبدالله بن ياسين من أستئصال شأفة كل المخالفين عليه من لمتونة ومسوفة وجــــدالة وسائر القبائل الصنهاجية ، وحصل منهم على الأموال اللازمة لمواصلة مسيرته[٣] .

كمـا تـم الاستيلاء فـي هـذه المـدة علـى أودغشـت[٤] مفتـاح طـرق القوافـل التجاريـة ، وإخضـاع أهم ممالك السودان ، وبذلك أصبحت رايـة الدعوة المرابطيـة ترفرف فوق ربـوع الصحراء وبلاد السودان ، وبعد توافر الشروط المادية والدينية فضلاً عن شرط العصبية ـ

---

[١] ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر : ج٢/ ١٧٤ ، ١٧٥ : (يذكر ابو الفدا أن الرجل الذي كان مع الامام عبدالله في دعوته اسمه جوهر من قبيلة جدالة وليس يحيى ابن ابراهيم كما تذكره اغلب المصادر التاريخه) ؛ ينظر ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٢٥ ؛: بوتشيش ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين : ١٠ .

[٢] شـعيرة ، محمـد عبـدالهادي ، المرابطـون تـاريخهم السياسـي (٤٣٠ــ٥٣٩هـ) ، ط١ ، مكتبـة القـاهرة الحديثة ـ القاهرة ـ ١٩٦٩م : ٤٦ ؛ بوتشيش ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين : ١٠ .

[٣] ابن ابي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس : ١٠٣ .

[٤] **أودغشت أودغست** : وهي مدينة أشبه شيء بمكة ، شرفها الله وحماها ؛ لأنهـا بين جبلين ، في قلب البر جنوبي مدينة سجلماسة بينهما نيف واربعون مرحلـة ، واهلهـا مسلمون يقرأون القران ويتفقهون ، اسلموا علـى يـد المهدي بـن عبيد الله وكـانوا كفـارا يعظمـون الشـمس ويـأكلون الميتـة والـدم ، وأمطـارهم بالصيف يزرعون عليها القمح ، والنخل ببلدهم كثير ، وفي شرقيهم وجنوبهم بلاد السودان وفي غربيهم البحر المحيط ، وفي شماليهم منفتلاً الى الغرب بـلاد سجلماسـة . يـاقوت الحمـوي ، معجـم البلـدان : ج١/ ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

وهــي شــروط ضــرورية لتأسـيس الدولــة ـــ بـدأت أنظــار المــرابطين تتجــه نحــو المغرب الأقصى لإقامة دولة كبرى[١] . ويمكن القول بأن مرتكزات التنظيم السياسي لدولة المرابطين تأسست على القبيلة والعقيدة والغنيمة ، وهي في ذلك لاتختلف عن غيرها من الدول الإسلامية التي ظهرت في ذلك الوقت[٢] . كما أنها تعد استمراراً طبيعياً للدولة الصنهاجية الصحراوية التي أتخذت من أودغست حاضرة لها ، وكانت قائمة خلال المدة مابين القرن الثامن الميلادي ونهاية القرن العاشر الميلادي ، لاعتمادها على العصبية الصنهاجية واستقرار قيادتيهما في بيت بني ورتنطـــق من لمتونة ، فأمراء الدولة المرابطية في طوريها الصحراوي والمغربي، ينتمون جميعهم إلى ذلك البيت وتنتهي سلسلة نسب كل واحد منهم إلى تلاكاكين أول ملوك الملثمين بأودغست[٣] ، وكان منهم الأمير يوسف بن تاشفين الذي يعد المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين[٤] .

---

[١] بوتشيش ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين : ١١ ، ١٢ .

[٢] الجابري ، محمد عابد ، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته ، ط٤ ، مركز دراسات الوحدة العربية ـــ بيروت ـــ ٢٠٠٠م : ٢٣٤ ؛ الحسين ، الناني ولد ، صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الاقليمي خلال العصر الوسيط ، ط١ ، تقديم : محمد حجي ، دار المدار الاسلامي ـــ بيروت ـ ٢٠٠٧م : ٢٤٤ .

[٣] البكري ، المغرب في ذكر افريقيا والمغرب : ١٦٥؛ ابن خلدون ، العبر : ج٦/٢٤١ .

[٤] ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٧/ ١١٢ـ ١١٧ ؛ ابن ابي زرع ، روض القرطاس : ١٣٦ ؛ ابن المؤقت ، محمد بن محمد بن عبدالله المبارك الفتحي المراكشي (ت١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م) ، السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، مطبعة البابي الحلبي واولاده ـ مصر ـ ١٩٢٢م : ١٥١ ـ ١٥٣ ؛ امتنان عثمان الصمادي ؛ وآمنة سليمان البدوي ، صورة يوسف بن تاشفين (ت٥٠٠هـ/١١٠٦م) في ضوءالروايات : التاريخية، والأدبية ، بحث منشور في المجلة الاردنية للتاريخ والاثار ـ المجلد السادس ـ العدد ٢ ـ لسنة ٢٠١٢م :٣ـ٥ .

المبحث الثالث

الأحوال في الأندلس قبل تدخل المرابطين

كان عهد ملوك الطوائف عهداً مشؤوماً على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس ، إذ أصاب وحدته بالتمزق ومجتمعاته بالتفكك والأنحلال ونظمه السياسية والحربية بالأنهيار والاضمحلال ، لأن ملوك الطوائف الذين تقاسموا رقعة الأندلس بعد ذهاب أمر الخلافة سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٣١م)[١] مازال يحارب بعضهم بعضاً حتى ضعفت قواهم جميعاً ، إذ أصبحوا في منتصف القرن الخامس الهجري يدفعون الجزية لجيرانهم من ملوك النصارى . ومن سوء حظهم أن تولى عرش قشتالة[٢] وليون[٣] في ذلك الحين ملك طموح قوي هو الفونسو السادس الذي يسمى في المراجع العربية باسم الأذفونش ، وقد طال عمره وامتد سلطانه ، وشجعه ضعف المسلمين وتفرق أمرهم فأصبحت ممالكهم تحت رحمته ، ودفع معظم أمرائهم الجزية له ، وأهمهم بنو عباد أمـــراء إشبيلية الذين أمتد سلطانهم إلى قرطبة[٤] ،

---

[١] عبدالواحد المراكشي ، محي الدين ابي محمد عبد الواحد ابن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تح: محمد سعيد العريان ، القاهرة ــ ١٩٦٣م : ١١٠ ؛ التواني ، عبدالكريم ، مأساة انهيار الوجود العر بي بالاندلس ، ط١ ، مكتبة الرشاد ــ الدار البيضاء ــ ١٩٦٧م : ٣٠٩ ، ٣١٠ .

[٢] **قشتالة** : تعد هذه المملكة اقليما من الأقاليم العظيمة في شمالي الأندلس وقد سميت بهذا الاسم ؛ لأن قاعدتها تعرف بقشتالة ، التي كانت تعرف قبل أن تنتظم في مملكة بـ (ألبة والقلاع) ، وهي منطقة تمتد الى الشرق حتى هضاب نبره ، وتحدها من الغرب مملكة ليون ، أي انها تقع بين ليون ونبره ، وقد كانت إحدى ولايات مملكة ليون الشرقية ، وهي تضم مدن ـ برغش ، وأبله ، وشقوبيه ، وصورية وكرونيه ، وسانتندير ، وقد كثرت فيها القلاع التي أنشاها القشتاليون لمواجهة هجمات القوات الاسلامية ، إذ كانت هذه القوات تعبر منها لمهاجمة مملكة ليون أو مملكة نبره. ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج٤ / ٣٥٢ ؛ العمايرة ، محمد نايف ، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان : ط١ ، عمان ــ الاردن ــ ١٩٩٩م : ٩١ .

[٣] **ليون** : هي مملكة لاتينية تقع في شمال غرب شبه الجزيرة الايبيرية تأسست سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) ، كانت مملكة ليون معروفة بمملكة اشتوريش حتى سنة (٣١٢هـ/ ٩٢٤م) ، وكانت في شمال شبه الجزيرة الايبيرية توجد ثلاث ممالك نصرانية هي اراكون ونافار وليون وكانت اكبرها هي ليون . انترنيت ، موقع المعرفة .

[٤] عبدالواحد المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين ، ط١ ، تح : حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة ــ ١٩٩٧م : ٣٠ .

وأمراء بنو الأفطس أصحاب بطليوس[(١)] ، وبنو هود أصحاب سرقسطة[(٢)] ، وبنو زيري بن زاوي أصحاب غرناطة . وكانت هذه الدول جميعاً تعاني ضعفاً سياسياً وعسكرياً بالغاً ، إلا أن أضعف هذه الدول جميعاً كانت دولة بني ذي الون أصحاب طليلطة[(٣)] (٤٢٩ ــ ٤٦٧هـ/ ١٠٣٧ ــ ١٠٧٥م) ، وكانت ولاية طليلطة تمتد من وادي تاجة إلى شمالي الوادي الكبير بقليل ، فكانت بذلك أكبر أمارات الطوائف مساحة ، وكان يتولاها منذ سنة (٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م)الأمير يحيى بن أسماعيل بن ذنون الملقب بالمأمون ،إذ كان رجلاً مسناً[(٤)] ، محدود الذكاء مصاباً بأمراض عدة ، وقد اشتهر بأنانيته العمياء وقصر نظره ، وانصـــــرافه إلى

[(١)] **بطليوس** : مدينة جليلة من إقليم ماردة في بسيط من الارض ، ولها ربض كبير ، بناها عبدالرحمن بن مروان الجليقي باذن الامير عبدالله له في ذلك ، ومن بطليوس الى أشبيلية ستة أيام ، ومنها الى قرطبة ست مراحل ، تقع مدينة بطليوس على الضفة اليمنى من نهر وادي أنه على مقربة من الحدود البرتغالية في البقعة المثلثة التي يحتضنها النهر عند التقائه بفرعه المسمى بوادي سو . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٤٦ ؛ سالم ، سحر السيد عبد العزيز ، تاريخ بطليوس الاسلامية وغرب الاندلس في العصر الاسلامي ، الجزء الاول ــ التاريخ السياسي ، مؤسسة شباب الجامعة ـــ اسكندرية ــ (د٠ت) : ج١/ ١٦١ .

[(٢)] **سرقســطة** : مدينــة بالأنــدلس افتتحهــا المســلمون علــى يــد الــوالي موســى بــن نصــير ســنة (٩٥هـ/ ٧١٣م) ، وهي قاعدة من قواعد الأندلس تقع في الشمال الشرقي منها ، وهي أطيب البلدان بقعة وأكثرها ثمراً، بنيانها على نهر أبره ، واسعة الشوارع حسنة الديار والمساكن وتسمى المدينة البيضاء ؛ لأن سوارها القديمة كانت من حجر الرخام الأبيض وسرقسطة وإقليمها (حوض نهر أبره) من أفضل نواحي الأندلس بالعروبة والإسلام وكان أهلها ذوي نجدة وبسالة وشجاعة، وكانت قاعدة للثغر الاعلى ، خرجت من أيدي المسلمين سنة(٥١٢هـ/ ١١١٨م) صلحا بعد حصارها تسعة أشهر ، ومن سرقسطة قاسم بن ثابت صاحب كتاب الدلائل ، وكان يقال إنّه مجاب الدعوة توفي سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م) . العذري ، احمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائي ، (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، نصوص عن الأندلس ، كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تح: عبد العزيز الاهوائي ، مدريد-معهد الدراسات الإسلامية-١٩٦٥م : ٢٢ ،٢٣ ؛ الدباغ ، عبد الوهاب خليل ، سرقسطة بوابة الاندلس الشمالية في عصر بني هود (٤٣٠ ــ٥٠٣هـ /١٠٣٨ ــ ١١٠٩) دراسة سياسية ، ط١، دار الهلال للطباعة والنشر والتوزيع ــ ٢٠١٢م : ١٢ــ١٣ .

[(٣)] **طليطلة** : من أهم مدن إسبانيا من الناحية التاريخية والثقافية وهي مركز أسقفي قديم وكانت عاصمة لمملكة القوط الغربين حين دخلها القائد طارق بن زياد سنة (٩٢هـ/٧١١م) ، وجد فيها المسلمون ذخائر تفوق الوصف ، وكانت تسمى مدينة الأملاك ، وبها بساتين محدقة وجنات يانعة ، وقلاع منيعة ، وأصبحت بعد الفتح من أعظم القواعد الإسلامية ، بينها وبين قرطبة تسع مراحل ، سقطت بيد الفونسوا السادس سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) . صاعد الأندلسي ، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م)، طبقات الأمم-المكتبة الحيدرية-النجف-١٩٦٧م : ٨٢ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ١٣٠ ، ١٣٢.

[(٤)] عبدالواحد المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين : ٣١ ، ٣٢ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٩٨ ، ٩٩ ؛ بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢ــ٤٢٢هـ/ ٧١١ــ١٠٣١م) ، ط٣ ، دار النهضة العربية ـــ بيروت ـــ ١٩٨٦م : ٣٧٧ ؛ السحيباني ، حمد بن صالح ، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الامم ، (عصر ملوك الطوائف في الاندلس انموذجا) دراسة تاريخية تلحليلية ، ط١ ، الرياض ــ ٢٠٠٢م : ١٣٤ .

الاستمتاع بالدنيا بالرغم من ضعف صحته ، وبلغ من قصر نظره وانعدام تفكيره أنه كان يفضل الارتباط بعلاقات الود والصداقة مع ملوك الممالك النصرانية على التعاون مع جيرانه من ملوك الطوائف ، كما لجأ إلى بلاطه الفونسو ابن فرناندو الأول ملك ليون عندما طرده أخوه سانشو الثاني من بلاده ، فضلا عن تمكن الفونسو السادس هذا من توحيد مملكة ليون وكونتية قشتالة في مملكة واحد بعد مقتل أخيه سانشو الثاني ، فاتسعت رقعة أملاك الفونسو السادس ، فبدلاً من أن يرد الفونسو جميل المأمون بن ذنون الذي آواه وقت الشدة أخذ يستعد للانقضاض على طليطلة لأول فرصة تسنح له ، وفي سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٥م) توفي المأمون بن ذي النون وخلفه حفيده يحيى والملقب بالقادر بن ذي النون وكان عاجزاً ، وفي الوقت الذي كان فيه ملوك الطوائف غارقين باللهو والترف يدرؤن ملوك الممالك النصرانية عنهم بالجزية ويوادعوهم بالاتاوات إلى أن تنبهوا بسقوط مدينة طليطلة سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) في يد الفونسو السادس ملك قشتالة[١] . وكانوا قبل دخولها قد أعطوا لأهلها الأمان بضمان حرياتهم وأحترام شعائرهم الدينية وحقوقهم وحرمة مساجدهم ، ولكنهم بعد شهرين نقضوا العهود ، وحولوا مسجد المدينة الجامع إلى كنيسة[٢] . فقد كان سقوط طليطلة نذيراً بما يهدد الإسلام في الأندلس من أخطار جسام ، وارتجت البلاد كلها لهذه الحادثة ، وشعر الأندلسيون أن أمرالاندلس كله إلى ضياع ، وقد عبر الشاعر الأندلسي المشهور بابن العسال[٣] عن الآثار المتوقعة لمصير الإسلام في الأندلس بعد سقوط طليطلة

---

[١] عبدالواحد المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين : ٣١ ، ٣٢ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٩٨ ، ٩٩ ؛ بيضون ، الدولة العربية في اسبانيا : ٣٧٧ .

[٢] المقري المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر-بيروت-١٩٨٨م : ج٤/ ٤٤٧ ؛ حتاملة ، محمد عبده ، الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الاندلس (حرب متواصلة على الاسلام) ، عمان ـ ٢٠٠١م : ١٦ .

[٣] **ابن العسال :** هو عبدالله بن فرج بن غزلون اليحصبي ، والمعروف بابن العسال من اهل طليطلة المشهور بالكرامات واجابة الدعوات يكنى ابا محمد روى عن أبي محمد مكي بن أبي طالب وأبي عمرو المقرئ ، واخذ عن ابيه فرج بن غزلون ، والقاضي ابي زيد الحشاء وغيرهما ، وكان متفننا فصيحا لسناً غلب عليه حفظ الحديث وكان عارفا بالتفسير شاعرا مفلقا وكان له مجلس حفيل ، كان قد استقضى بطلبيرة توفي سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) · ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الانصاري (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) ، الصلة ، ط١ ، تح : ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري ــ القاهرة ــ ١٩٨٩هـ : ج١/ ٤٣٥ ؛ ابن سعيد ، رايات المبرزين وغايات المميزين ، ط١ ، تح : محمد رضوان الداية ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ــ دمشق ــ ١٩٨٧م : ١٤٠ .

بالمقطوعة الشعرية الأتية :

يأ أهل أندلس حثـــوا مطيّكم فمـا المقام بها الا من الغلـــط
الثواب ينسل من اطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسـط
ونحن بين عـــدو لايفارقنـــا كيف الحياة مع الحيات في سفط[١] .

وقد كان من الضروري في تلك الظروف العصيبة أن تتوحد القوى الإسلامية في الأندلس ؛ لمواجهة خطر الممالك النصرانية ، لكن ماحدث كان نقيض ذلك ، فقد بادر ملوك الطوائف إلى استرضاء الفونسوا السادس ، عن طريق دفع الجزية له ، وأرسال الهدايا المختلفة تودداً اليه . ويصف ابن الكردبوس[٢] أحوال ملوك الطـــوائف وقتـــئذ فيقـــول : ((وذل الرئيس والمرؤوس وافتقرت الرعية ، وفسدت أحوال الجميع بالكلية ، وزالت من النفوس الأنفة الاسلامية ، وأذعن من بقي منهم خارج الذمة إلى أداء الجزية ، وصاروا للفنش عمالاً يجيبون له الأموال لايخالف أمره أحد ولا يتجاوز له أحد)) . ينظر خارطة شكل رقم (٢) .

ومما زاد الأمر سوءاً تناحر وتخاصم هذه الإمارات مما أضاف إلى ضعفها ضعفـاً وجعلها غنيمة سهلة للممالك النصارى في الشمال ، وشجع ذلك الوضـــع النورمان[٣] على

---

[١] ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٥/ ٢٧ ، ٢٨ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب : ج٢/ ٢١ ؛ المقري ، نفح الطيب : ج٤/ ٣٥٢ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٥١ .

[٢] تاريخ الأندلس لابن كردبوس : ٧٧ .

[٣] **النورمان :** اسمهم مشتق من كلمة نور Nord أي الشمال ، قوم انحدروا من اعالي اوربا ، وخاصة من قطري النرويج والدانمارك ، نحو جنوب تلك القارة وشرقها ، فاغاروا خلال القرن التاسع الميلادي على بلاد الشرق الاوربي وكانت تلك الطائفة المغيرة منهم تدعى (روس) Rous فتوطنوا السهول ، ثم توغلوا في الارض ميممين شطر الجنوب الشرقي مقتحمين امبراطورية بيزنطة ، حتى وقفوا تحت جدران القسطنطينية ، ثم رجعوا عنها خائبين ، وثبتت اقدامهم بالشرق الاوربي ، فاصبحت البلاد هنالك تدعى باسمهم (روسيا) ، وكانوا يطلقون لعواطفهم الوحشية العنان من نهب وسلب وتخريب معالم ، وهتك حرمات ولايراعون في مخلوق إلا ولاذمة ، ويطلق على النورمان الذين سكنوا نورماندي اسم ((النورمانديون Normans)) ثم أقاموا في جنوب ايطاليا ، رحبت البابوية بهم لتستعملهم في حرب المسلمين . المدني ، أحمد توفيق ، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، المطبعة العربية ــ الجزائر ــ ١٩٤٥م : ٢٨ ، ٢٩ ؛ الحجي ، التاريخ الاندالأندلسي : ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

الخارطة السياسية لملوك الطوائف الاولى في الأندلس ــــ صورة من الانترنيت



خارطة شكل رقم (٢)

على غزوها ، فاستولوا على بريشتر[(١)] في سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) ، وارتكبوا بحق أهلها مذبحة مروعة ، في الوقت الذي كان فيه ملوك الطوائف مشغولين بملذاتهم ولهوهم ، والكل منهم يسعى من أجل كسب رضى ملك قشتالة الفونسوا السادس (الاذفونش) ، الذي أرهقهم بالإتاوات حتى صارت عادة يؤديها له ملوك الطوائف[(٢)].وكان المعتمدبن عبــــاد[(٣)]

[(١)] **بربشتر** : مدينة تقع على فرع صغير من افرع نهر ابره بين لاردة ووشقة في الشمال الشرقي لسرقسطة ، غزاها النورمان في عهد المقتدر بن هود أذ كانت من أعمال أخيه يوسف المظفر ، دخلوها بعد حصار دام اربعين يوما ، فاستباحوها أوائل سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) ، وكان الخطب في هذه المدينة أعظم من أن يوصف كونها أعظم محنة نزلت بالمسلمين ، لأن الحال بأهلها آل بهم إلى أن القنوا بأيديهم بسبب الظمأ ، فقتل من اهلها اربعين الفا ، إذ فتك بأهلها بأشنع وأفظع صور القتل ، وسبوا الحريم والذرية ، فلما رأى ابن هود هذا الأمر نادى بالنفر للجهاد في سائر بلاد المسلمين فجاءه خلق عظيم ، فاقتحم المسلمون البلد ولما عاين الروم ذلك خرجوا من ناحية أخرى فأتبعهم السلمون يقتلونهم كيف شاؤوا ولم ينج منهم إلا اليسير ، فاستولى المسلمون على المدينة سنة (٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م) . البكري ، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تح : عبد الرحمن علي ألحجي ، دار الإرشاد -ـ بيروت-ـ ١٩٦٨م : ٩٢ ، ٩٣ ؛ ابن عذاري ، البيان ، تح: ليفي بروفنسال : ج٣/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

[(٢)] ابن الكردبوس ، ابو مروان عبد الملك بن مروان التوزري ، (ت بعد ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) ، تاريخ الأندلس لابن كردبوس ووصفه لابن الشباط وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تح: احمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية-مدريد-١٩٦٥م : ٧٧ ؛ العبادي ، احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية ــ بيروت ـ (د٠ت) : ٢٠١ ؛ خليل ابراهيم السامرائي واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة ــ بيروت ــ ٢٠٠٠م : ٢٥٢ .

[(٣)] **المعتمد بن عباد** : هو محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل بن عباد ، يكنى ابا القاسم ولقب بالمعتمد على الله ــ الظافرالمؤيد ، ولد سنة (٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) في مدينة باجة قرب إشبيلية ، ولما توفي والده سنة (٤٦١هـ/١٠٦٨م) ، خلفه في ملكه ، وعاش حياة الترف ، فشيد القصور المحاطه بالرياض والحدائق والبساتين ، وكان المعتمد ملكا وشاعرا فارسا ، بل كان ملك شعراء الاندلس ، وقد امتد ملكه حتى شمل قرطبة وجزءا كبيرا من الاندلس ، وهو بطل موقعة الزلاقة المشهورة ، وكان حوله من الشعراء نوابغ شعراء الاندلس مثل ابن زيدون ، وابن حمديس ، وابن عبدالصمد ، وابن اللبانه ، وابن عمار ، والحصري ، وغيرهم ، حتى إنّه لم يجتمع بباب ملك من ملوك الاندلس من الشعراء ما اجتمع بباب المعتمد وكان اولاده من البنيين والبنات شعراء ، فكانت بعد ذلك نكبته مع المرابطين سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) حيث قبض عليه ، واحكم وثاقه واودع مع أفراد أسرته سفينة الى أغمات حيث ترك في سجنها ومعه زوجته الرميكية ــ أم الربيع وبناته يتقاسمنه الالام ، أقامة جبرية ، يعاني مع أسرته العذاب المهين حتى وفاته سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ودفن رحمه الله بأغمات . ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله القيسي الأشبيلي (ت٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) ، مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس ، ط١ ، تح : محمد علي شوابكة ، دار عمار ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٩٨٣م : ٥٦ ، ٥٧ ؛ المقري ، نفح الطيب : ج٤/ ٢١٣ ، ٢١٨ ؛ فروخ ، عمر ، تاريخ الادب العربي ــ الادب في المغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامي إلى أخر عصرملوك الطوائف ، ط٢ ، دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٨٤م : ج٤/ ٧١٩ ، ٧٢٢ ؛ والي ، فاضل فتحي محمد ، الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الاندلسي ، ط١، دار الاندلس للنشر والتوزيع ــ حائل ــ ١٩٩٦م : ٢٩١ ، ٢٩٢ .

اعظـــم مـــلوك الطوائف يؤدي الضريبـــــة في كـــل سنة[١] ، بالرغم من هذا الذل لملوك الطوائف على يد الفونسوا السادس فقد تلقبوا بالقاب ملوكية فخمة مثل : المقتدر ، المتوكل ، المؤتمن ، المعتضد ، وكان فيـهم من خطب لخلفاء بني أمية وأن لم يبق لهم خلافة ، ومنهم من خطب للخلفاء العباسين المجمع على إمامتهم . وصار ملوك الطوائف يتباهون في أحوال الملك ، حتى في الألقاب ، فآل أمرهم إلى أن تلقبوا بنعوت الخلفاء ، وترفعوا الى طبقـــات السلطنـــــة العظمـــى، وفي ذلك يقول الشاعرأباعلي الحسن بن ابن رشيق القيرواني :

مما يبغضني في أرض أندلس سماع مقتـــدر فيها ومعتضـــد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاَ صورة الاسدِ[٢] .

وقد استخدم النصارى الأموال التي يأخذونها من المسلمين عن طريق الجزية في تجهيز الجيوش للانقضاض على الاراضي الاسلامية في الاندلس والسيطرة عليها تحت شعار حركة الاسترداد[٣]الصليبية التي شجعتها وباركتها الكنيسة[٤].

---

[١] ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٥/٢٧ ، ٢٨ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس منتخب من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، ط٢ ، نشر وتصحيح : ليفي بروفنسال ، دارالجيل ــ بيروت ١٩٨٨م : ٨٤ .

[٢]ابن بسام ، الذخيرة : ق٤/ م/١ : ١٧٢ ؛ المقري ، نفج الطيب : ج١/ ٢١٣ ، ٢١٤ .

[٣] **حركة الاسترداد** : (الركونكستا (Reconguista) سميت بحرب الاسترداد لانها كانت تهدف الى استرداد الاندلس من العرب المسلمين ، وقد بدأت هذه الحرب مع بداية ضعف الاندلس ، فقد انحسر المد الاسلامي عن جنوب فرنسا وتراجع الى ما وراء البرتات لجهة فرنسا ، وكانت هذه الحرب تشتد حينا وتخمد حينا اخر حسب الظروف السياسية للاندلس المسلمة ٠ وفي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، دخلت حرب الاسترداد في دور جديد من ادوارها على يد الملك سانشو ، فقد وحد الدويلات النصرانية عن طريق المصاهرة وبدأ يشن الحرب من جديد بقوة وتنظيم جديد ، ويعتبر بحق باعث حرب الاسترداد التي استمرت قوية على يد ابنه فرديناند حتى وفاته سنة (١٠٦٥م) وتعثرت بعد وفاته بسبب انقسام دولته بين ابنائه ولكنها قويت مع ابنه الفونسو السادس ، وكان رجال الدين بصورة خاصةهم الذين يغذون بنفوذهم الروحي حرب الاسترداد هذه ، وبذلك بدأت في الواقع والتاريخ ماعرف فيما بعد باسم الحروب الصليبية ٠ مصطفى ، شاكر ، الاندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة ــ دمشق ــ ١٩٩٠م : ٨٧ ؛ مؤنس ، حسين ، فجر الاندلس ، دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الاموية (٧١١ــ ٧٥٦م) ، ط١ ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ ٢٠٠٢م: ٣٦٠ ، ٣٦١ ؛ العبدلي ، ناظم ابراهيم كريم محمد ، النزاعات الداخلية في الاندلس حتى نهاية عهد الإمارة (٩٥ ــ ٣١٦هـ/ ٧١٤ ــ٩٢٨م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (كلية الاداب ــ جامعة الانبار ــ ٢٠٠٩م) : ٢ .

[٤] علي الجارم ، قصة العرب في اسبانيا : مطبعة المعارف ــ مصر ـ ١٩٤٤م : ١٥٩ ، ١٦٠ ؛ عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي : ج٤/ ٢٨٣ .

المبحث الرابع

جهود العلماء في الاندلس في توحيد البلاد ولم الشعث

كان الفقهاء والمفكرون يشاهدون هذه الفرقة الداهمة ، فيتألمون لما أصاب المجتمع من انحلال ويصورون هذه الحالة المفجعة باسلوب مفعم بالالم والحسرة ، فكتبوا إلى الأمراء يدعونهم إلى الوحدة ، وتأليف القلوب لمواجهة ذلك العدو الذي استشرى داؤه ؛ فلم يستجب لهم أحد ، الا أن جهودهم لم تذهب سدى ، فقد أخذوا يزهدون أهل الاندلس في الأوضاع القائمة على الفساد ، ويهيئون العقول لقبول تحول جديد في تاريخ البلاد[١] .

من الفقهاء الذين تزعموا حركة الدعوة للوحدة ولم الشعث لمواجهة الاخطار المحدقة بالاندلس القاضي ابو الوليد الباجي[٢] بأشارة من الأميرالمتوكل بن الأفطس (٤٦٠ـ ٤٨٤هـ/١٠٦٧ـ ١٠٩١م) صاحب بطليوس ليطوف على حواضر الاندلس يدعو الى لم الشعث وتوحيد الكلمة ومدافعة العدو[٣] ، غير أن مهمة القاضي لم تتكلل بالنجاح ؛ بسبب ضعف الامراء وانهيار مقومات الدولة ، عندئذ كتب المتوكل الى الامير يوسف بن تاشفين يصور له محنة الاندلس ويستنصره ، والظاهر ان المتوكل وجه صريخه لامير

---

(١) محمود ، قيام دولة المرابطين : ٢٦١ .

(٢)**ابو الوليد الباجي :**هو المحدث والفقيه القاضي سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب الباجي ،عالم ومتكلم ، رحل الى المشرق ، روى بالاندلس عن جماعة منهم : مكي ؛ وروى عن ابي ذر الهروي ، أقام بالحجاز ثلاثة اعوام يخدمه فيها الحافظ الكبير ابا ذرابن احمد الهروي وهو مالكي اشعري ، ومنها رحل الى بغداد فاقام بها ثلاثة اعوام يتدارس الفقه ويكتب الحديث وله تواليف ،واخذ من اعلام بغداد مثل ابي اسحق الشيرازي وابي الطيب الطبري ، والدامغاني ، وقصد الموصل واقام بها سنة يدرس الاصول على ابي جعفر الهمذاني ، ودخل الشام ومصر وروى بهما ، وكان ابن العربي يقول : ((لم يأت قبلي الى الاندلس ، بمثل ما اتيت به من علم المشرق الا ابو الوليد الباجي)) توفي سنة (٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) بالمرية وكان اعلم عصره علم وديانة ، الضبي ، احمد بن يحيى بن عمير، (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ط١، تح: ابراهيم الابياري ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ـ١٩٨٩ م : ج٢/ ٣٨٥ ، ٣٨٦ ؛ بن عاشور ، محمد الفاضل ، اعلام الفكر واركان النهضة بالمغرب العربي ، مركز النشر الجامعي ـ تونس ـ ٢٠٠٠م : ٨٣ ، ٨٩؛ الدليمي ، غازي فيصل صالح ذياب ، المدرسة المالكية في العراق حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الأدب ـ جامعة الانبار ، ٢٠١٤م : ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٣) ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) ، الحلة السيراء ، تح: حسين مؤنس ، ط٢، دار المعارف – القاهرة ـ ١٩٨٥م : ج٢/ ٩٨ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ١١١ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٣٦ ؛ شلبي ، عمر راجح ، دور علماء الاندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري ، بحث منشور (كلية الاداب ـ جامعة الخليل ـ فلسطين) ـ مجلة الجامعة الاسلامية ـ م١٦ ـ العدد الثاني لسنة ٢٠٠٨م : ٢٦٧ .

المسلمين يوسف بن تاشفين قبل سـقوط طليطلة[١] . لم يكن القاضي ابو الوليد الباجي هو الوحيد الذي دعا الى لم الشعث بل هناك عدداً من العلماء الاعلام والحكام قاموا بذلك الجهد ، منهم ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور (٤٢٢ـ ٤٣٥هـ/١٠٣٠ ـ ١٠٤٣م) أحد الافاضل الداعين للوحدة ، منذ ملامح عصر الطوائف ، بيد أنه لم يفلح ؛ فأعلن إلغاء الخلافة سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٣م) ، وتولى هو رئاسة حكومة قرطبة ، وتولى ابناؤه ــ بعده ــ حكمها[٢] . وبذل العالم الفقيه ابن حزم الاندلسي محاولات عدة للم الشمل ، وضمن أفكاره الوحدوية في رسالته الموسومة (التلخيص لوجوه التخليص) ، وهي عبارة عن ردود على بعض أسئلة في شؤون دينية وفقهية ، تتضمن ما يدمغ مجتمع الطوائف بشدة ، فهو يصف فتنة الطوائف وتصرفات ملوكها ، وقد شهد بنفسه أحداث العصر . ولابد من الأشارة إلى عباراته اللاذعة المؤسية في هذه الرسالة لذلك العصر وملوكه فيقول : ((والله لو علموا ان في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا اليها ...))[٣] ، لكن هذه المحاولات لم تسفر عن طائل .

كما وجه المؤرخ ابن حيان (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) النقد اللاذع لملوك الطوائف الذين انحرفوا عن المنهج الاسلامي ، كما وجه اللوم إلى الناس لركونهم الى هؤلاء الامراء ، فكانت هذه النتيجة ((الاغترار بالامل والاستناد الى امراء الفرقة الهمل ، الذين هم منهم

---

(١) عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٩٢ ؛ أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٧٤ ، ٧٥ ؛ نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس في عهد يوسف بن تاشفين : ٦٢ .

(٢) الضبي ، بغية الملتمس : ٢٧ ، ٢٩ ، ١٨٨ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ٢١٥ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب : ج١/ ٥٦ ، ١١٧ ؛ ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٣٠ ، ٣٤ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ج٣/ ١٨٥ ، ١٨٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٤/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٤٥ .

(٣) ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الأندلسي ، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) ، ((رسالة التلخيص لوجوه التخليص)) ، رسائل ابن حزم الاندلسي، ط٢، تح : احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٧م : ج٣/ ١٤٣ ـ ١٨٥ .

ما بين فشل ووكل ، يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل))[١] ، كما كان ما سطره ابو عمر بن عبد البر[٢] [٣]، وابنه أبو محمد عبدالله (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) حول النكبة ذاتها يقوي وينمي هذا الاتجاه ، اهتم ابن عبد البر بالدعوة إلى جمع الشمل ، خلال تنقله وتدريسه في مدن الأندلس[٤] . ومن العلماء الذين خاضوا في ذلك الاديب المحدث أبو حفص عمر بن حسن الهوزني (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) ، من أهل اشبيلية لقي الهوزني في أثناء سكناه بشرقي الأندلس القاضي ابا الوليد الباجي ، فكتب الى أبي عمروعباد المعتضد[٥] ، بعد نكبة بربشترسنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) ــ

---

[١] البكري ، جغرافية اوربا والاندلس : ٩٢،٩٥ ؛ ابن بسام ، الذخيرة : ق٣/ ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب :تح : ليفي بروفنسال : ج٣ /٢٥٤ ؛ المقري ، نفح الطيب : ج٤/٤٥٢ ،٤٥٣ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٤٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ .

[٢] **بن عبد البر** : هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري ، يكنى أبا عمر ، روى بقرطبة عن أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ ، وعبدالوارث بن سفيان ، وأبي الوليد بن الفرضي وغيرهم كثير ، وكتب إليه من أهل المشرق ابو القاسم السقطي المكي وغيرهم ، يقول القاضي الامام أبو الوليد الباجي لم يكن بالاندلس مثل ابي عمر بن عبدالبر في الحديث ، ألف في المؤطا كتبا مفيدة منها التمهيد لما في المؤطا من المعاني والأسانيد ، قال ابومحمد بن حزم : لاأعلم في الكلام على فقه الحديث مثله ، وكتابه الشهير الاستيعاب في أسماء الصحابة رضي الله عنهم وغيرها كثير وكان موفقا في التأليف ، جلا عن وطنه ومنشئه قرطبة فكان في الغرب مدة ، ثم سكن دانية وبلنسية وشاطبة وبها توفي رحمه الله في أخر ربيع الاخر من سنة (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) . ابن بشكوال ، الصلة : ج٣/٩٧٣ ، ٩٧٤ .

[٣] ابن بشكوال ، الصلة : ج٣/ ٩٧٣، ٩٧٤ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب : ج٢/ ٤٠٧ ، ٤٠٨ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٤٧ .

[٤] الحميدي ، جذوة المقتبس : ٢٦٨ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٦٥ .

[٥] **عباد المعتضد** ،هوابوعمرو محمد المعتضد بالله ، وتسمى اولا بفخر الدولة ثم المعتضد ، قطب رحى الفتنة ، ومتنهى غاية المحنة ، رجل لم يثبت له قائم ولاحصيد ، ولاسلم عليه قريب ولابعيد ، جبار ، افتتح امره بقتل وزيرأبيه حبيب ، وكان ذا كلف بالنساء ،فاستوسع في اتخاذهن ، وفي موت المعتضد يقول ابو الوليد بن زيدون ــ ولم ــ يظهره ــ سرورا بذلك واستراحة منه ؛ لانه كان غير مامون على الدماء ، ولاحافظ لحرمة الاولياء ، وكانت له خزانة اكرم لديه من خزانة جوهر في جوف قصره ، اودعها الملوك الذين أبادهم بسيفه ، منها راس محمد بن عبدالله البرزالي ورؤوس الحجاب ابن خزرون وابن نوح وغيرهم ، وكانت وفاته سنة (ت٤٦١هـ/ ١٠٦٨م) . ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٣٩ ، ٤٣ .

ـ رسالة يحثه على الجهاد ، لكن المعتضد بالله عباد بن محمد قتله ظلماً بقصره[1] . كما تجول الواعظ أبي المعالي إدريس بن يحيى بن يوسف ، من اهل إشبيلية في البلاد يعظ الناس ويذكرهم ، اذ سمع يُنشد في مسجد رحبة القاضي في بلنسية ابياتا منها :

أنا في الغربة ابكي ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي من بلادي بمصيب
عجبا لي ولتركي وطنا فيه حبيبي[2] .

ومن العلماء الذين كان لهم دوراً في هذا المجال أبوبكر محمد بن احمد بن محمد بن اسحاق (ت نحو ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) من أهل قرطبة ، من بيت وزارة وجلالة وكانت له مكانة وحظوة عند ملوك الطوائف فسعى لأزالة الخلافات بينهم[3] . وهناك مشاركة في هذا الميدان للفقيه الزاهد ابن ابي رندقة أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٢٠هـ/ ١١٠٨م) الذي صحب القاضي ابا الوليد الباجي بسرقسطة [4] . وهناك مشاركة لقاضي الجماعة بقرطبة الفقيه ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد(الجد) المتوفى سنة (ت٥٢٠هـ/ ١١٠٨م) . كان ابن رشد من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم مع التدين والفضل والوقار والحلم والسمت والهدي الصالح ، وكان الناس يلجأون اليه[5] ، لكن مع هذه

---

[1] القاضي عياض ، ترتيب المدارك : ج٢/ ٣٦٤ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ج٢/ ٥٨٥ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب : ج١/ ٢٣٩ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٤٨ .

[2] ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، تح: عبدالسلام الهراس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٩٥م : ج ١/ ١٦٣ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٤٨ ؛ وينسب هذا الشعر إلى القاضي عبدالوهاب البغدادي المالكي (ت٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م) قاله في بلاد الغربة بعد رحليه عن العراق . ينظر : الدليمي ، المدرسة المالكية في العراق حتى نهاية القرن الخامس الهجري : ٥٩٠ .

[3] ابن الابار ، التكملة : ج١/ ٣١٥ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٤٨ .

[4] ابن بشكوال ، الصلة : ج٣/ ٨٣٨ ؛ المقري ، نفح الطيب : ج٢/ ٨٥ ، ٩٠ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٥٠ .

[5] ابن الابار ، التكملة :ج٢/ ٧٣ ، ٧٥ ؛ النباهي ، ابو الحسن بن عبدالله بن الحسن المالقي (ت نهاية القرن الثامن الهجري) ، تاريخ قضاة الاندلس ، سماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تح : لجنة احياء التراث العربي ، ط٥ ، دار الافاق الجديدة ـ بيروت ـ ١٩٨٣م : ١١١ ؛ عبدالملك المراكشي ، ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الانصاري الاوسي(ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تح : محمد بن شريفه ؛ احسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٨٤م : السفر الاول ـ ق١/ ٢٨ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٥١ .

الاحوال وتلك الصيحات بقية أغلب ملوك الطوائف سائرين في غيهم ، ففوتوا فرصة الآلتام وحلت بهم المصيبة ووقعت الكارثة [١] . كما نجد أن ابن العربي ، لم يكن راضيا عن الاوضاع في الاندلس قبل دخول المرابطين إليها ، يتضح ذلك من قوله للأمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١ م) : ((وقد كانت جزيرة الاندلس قد تملكها من تاريخ ابتدأ الفتنة سنة اربعمائة عدة ثوار ، تسوروا على البلاد ، فضعف اهلها عن مدافعتهم ، وتلقبوا بالقاب الخلفاء ، وخطبوا لانفسهم ، وضربوا النقود باسمائهم ، واثاروا الفتنة بينهم لرغبة كل واحد مهنم ، في الاستيلاء على صاحبه ، ولستتابوا الفساق من الأرقاء ، والصنائع الطلقاء في محاربة بعضهم بعضا ، واستنجدوا بالنصارى ، عندما اعتقد كل واحد منهم انه احق من صاحبه))[٢] .

لقد آفاق ملوك الطوائف من غفلتهم بعد فوات الاوان ، وادركوا ان مصيرهم الى بوار ، إذ هم ساروا في طريق الضلال ، ولاسيما وقد تحولت مملكتا قشتالة وليون بعد استيلائهما على طليطلة ، إلى أكبر دولة في شبه الجزيرة ، فقد أصبح حجمها ثلاث مرات حجمها الاول ، وانحدرت قواتهـــا الى الجنوب واستولت على معظم بلاد حوض الوادي، ودخلت قواتهــــا قورية واشبونة وشنترين . وكـان السيد القمبيطور[٣] قد حاصربلنسية حصاراً مريراً إلى أن أستولى عليهــا . وتحركت مملكة اراغون واخذت تتقدم في أراضي إمارة سرقسطة أي الثغر الاندلسي الاعلى وحالفت كونتية قطلونية وعاصمتها برشلونة ، واستولت على طركونة ، ثم طولوشة ، واخذ الفونسو السادس يتأهب للاستيلاء على بطليوس ، وإشبيلية ، ولم يعد يقنع بالأتاوات التي يؤديها اليه امراؤها[٤] .

---

[١] الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٣٥١ .

[٢] دندش ، دور المرابطين في نشر الاسلام : ١٧٧ .

[٣] **القمبيطور :** هوالسيد الكنبيطور ـ أوالكمبيادور ـ فارس قشتالي ـ واسمه الاصلي رودريجوأو روي دياث دي بيبار ، اما تلقبه بالسيد فهو تحريف لكلمة ((السيد)) العربية ،وقدأطلقها عليه المسلمون الذين كان يخدم بينهم ، ويحارب معهم ، واما وصفه بالكمبيادور ـ Cid CampeadorEl فمعناها المحارب الباسل ، او الفارس المغامر كان فارسا مرتزقا جريئا ماهرا في شؤون الحرب وحامل لواء ملك قشتالة وليون ، وهو الذي استولى على بلنسية بعد حصار شديد ، توفي السيد سنة (١٠٩٩م) ٠ ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ هامش : ١٢٥ .

[٤] مؤنس ، حسين ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، مكتبة الاسرة دار الرشاد ـ ٢٠٠٤م : ١٩٥ .

وفي هذه الاثناء أدرك ابن عباد ان العلاقات بينه وبين الفونسوا قد وصلت الى طريق مسدود ، وان النوايا التوسعية للفونسوا السادس قد اتضحت تماما ، وان هذه النوايا لن تقتصر على ما يملكه ابن عباد ، بل سيشمل كل ارجاء الاندلس ، تحقيقا ؛ لحلم النصارى في طرد العرب نهائيا من البلاد ، ولذا فقد رأى المعتمد بن عباد ضرورة الاستعانة بأقرب واكبر قوة اسلامية مجاهدة وهي القوة المرابطية الفتية التي تمكنت من الظهور حديثا في المغرب الأقصى ، فشاور ابن عباد خاصته ووجوه دولته في الاستنجاد بالأمير يوسف بن تاشفين ، ولكنهم حذروه وأشاروا عليه بمداراة الفونسوا السادس وعقد السلم معه على ما يريد من شروط ، وقالوا له : (الملك عقيم والسيفان لايجتمعان في غمد واحد) ، فأجابهم بكلمته المشهورة التي عدت من الامثال : (**رعي الجمال خير من رعي الخنازير)**[1] .

وفي رواية أخرى أن المعتمد بن عباد نفسه ، قد عبر البحر في جماعة من الزعماء ، وسار إلى سبتة أو فاس لمقابلة أمير المسلمين ، وأنه هو الذي استنصره بنفسه للجهاد وإنقاذ الأندلس[2] . ثم اجتمع بابنه الرشيد وذكر له المبررات التي حملته على ان يقدم على هذه الخطوة الجريئة ؛ وهي ضعف دول الطوائف الى حد استحالة صمودهم وتهديد الفونسوا السادس لهم بعد ان استولى على طليطلة وزحف الى إشبيلية ، غير ان ابنه الرشيد اعترض على رأي والده وقال له : يا أبت أتدخل علينا في اندلسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا ، فقال : أي بني والله لايسمع عني أبدا أني أعدت الاندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى ، فتقوم علي اللعنة في منابر الإسلام مثل ما قامت على غيري ، فقال الرشيد : يا أبت أفعل ما أمرك الله ، فقال : إن الله لم يلهمني لهذا الا وفيه خير وصلاح لنا ولكافة المسلمين[3] .

---

(1) ابن دحية ، مجد الدين ابو الخطاب عمر بن الحسن ابن علي بن محمد الكلبي الاندلسي البلنسي (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) ، المطرب من اشعار اهل المغرب ، ، تح : ابراهيم الابياري ؛ حامد عبدالمجيد ؛ احمد احمد بدوي ، المطبعة الاميرية ـ ١٩٥٥م : ١١٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٧/ ١١٥ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٨٥ .

(2) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ١٨٦ ،١٨٧ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٧٧ .

(3) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٨٥ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٧٨ ؛ نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس في عهد يوسف بن تاشفين : ٦٨ ، ٦٩ .

عقد المعتمد بعد ذلك اجتماعا مع أشياخ قرطبة وفقهائها ؛ لدراسة الموقف في الأندلس ،عرض عليهم اقتراحه باستدعاء المرابطين ، غير أن هؤلاء الشيوخ رأوا استدعاء بني هلال من عرب افريقية ، ولكن عبدالله بن أدهم قاضي الجماعة بقرطبة رفض هذه الفكرة ، وقال لهم : ((اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا كما فعلوا بإفريقية ، ويتركون الفرنج ، ويبدأون بكم ، والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا))[١] ، فوافقوا ابن ادهم على رأيه وطلبوا منه أن يكاتب الأمير يوسف بن تاشفين في العبورالى الاندلس .

من خلال ما تقدم لابد لنا ان نذكر اهم الاسباب التي أدّت الى ضياع مدن الاندلس الواحدة تلو الاخرى والاستنجاد بالدولة المرابطية لأنقاذ البلاد من زحف المماللك النصرانية ، اهمها **اولا** : الغاء الخلافة الاموية سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م) وبداية عهد الطوائف . **ثانيا** : مولاة النصارى والثقة بهم والتحالف معهم ، **ثالثا** : الانعماس في الشهوات والركون الى الدعة والترف وعدم اعداد الامة للجهاد ، والتخاذل عن نصرة من يحتاج النصرة . **رابعا** : ضعف العقيدة الاسلامية والانحراف عن المنهج الرباني . **خامسا** : تخلي بعض العلماء عن القيام بواجباتهم ، وعدم سماع ملوك الطوائف لنصح العلماء . **سادسا** : وحدة كلمة النصارى وغدرهم ونقضهم للعهود التي عقدوها مع بعض ملوك الطوائف .

[٢]ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٨/ ٤٤٥، ٤٤٦ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٥/ ٢٨ .

المبحث الخامس

جهود المرابطين في ضم الأندلس إلى الدولة المرابطية

قامت دولة المرابطين في المغرب العربي على أسس اسلإمية والحكم بما انزل الله تعالى ، كانت حاضرتها مدينة أغمات[١] التي تقع على بعد خمسة وثلاثين كليو مترجنوب شرقي مدينة مراكش ، ثم اختط الأميريوسف بن تاشفين مدينة مراكش سنة (٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)[٢] ، أو بعدها [٣] ، واتخذها حاضرة للدولة ، وأسس قصبة [٤] ومسجدا[٥]، وكان يشارك العمال بنفسه في بناء المسجد[٦] . وبحلول سنة (٤٦٧هـ /١٠٧٤م) أحكم الامير يوسف بن تاشفين قبضته على المغرب الاقصـــــى ، وفرض سلطانه السياسي على البلاد بعد كفاح مرير خاضه على رأس جيش المرابطين[٧] .

---

[١] **أغمات :** وهي مدينة يكتنفها جبل درن ، أهلها هوارة من قبائل البربر المتبربرين بالمجاورة وهم املياء تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الاموال من النحاس الأحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمأزر وصنوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار والعطر والات الحديد المصنوع ، ولم يكن في دولة الملثمين احد اكثر منهم اموالا ولا اوسع منهم ، ولهم نخوة واعتزاز لايتحولون عنه وبمدينة أغمات عقارب كثيرة · الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق : ج١/ ٢٣١ ، ٢٣٣ .

[٢] ابن خلدون ، العبر : ج٦/ ٢٤٥ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٢٢ ،٢٣ .

[٣] كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري ، الاستبصار: ٢٠٨، ٢٠٩ ، يضع صاحب كتاب الاستبصار تاريخ انشأ مراكش في سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) ، بينما يضع ياقوت الحموي تاريخ انشأها في حدود سنة (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) : ج٥/ ٩٤ ؛ بينما يذكر ابن عذاري في البيان المغرب ، تح : احسان عباس : ج٤/٢١ ، ٢٢ ــ ان تاريخ أنشأها هو سنة (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) ؛ بينما يذكر مؤلف اندلسي مجهول في كتابه الحلل الموشية : ١٦ : أن تاريخ أنشأها كان في سنة (٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م) .

[٤] **القصبة** : بالفتح ، وقصبة القرية والقصر : وسطه ، وقصبة الكورة : مدينتها العظمى ؛ والقصبات مدينة بالمغرب من بلاد المغرب . ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج٤/ ٣٥٣ .

[٥] **المسجد المرابطي في تلمسان :** وهو المسجد الذي شرع في بناءه الامير يوسف بن تاشفين عقب استيلائه على تلمسان سنة (٤٧٥ هـ/١٠٨٢م) ، ثم تناول الاميرعلي بن يوسف بن تاشفين بالزيادة والزخرفة ابتداء من سنة (٥٣٠هـ/ ١١٣٦م) ، ثم اعاد ترميمه واصلاحه بغمراسن بن زيان من امراء بني عبدالواد وهو الذي اعطاه صورته الحالية . حسين مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة ــ الكويت ــ ١٩٨١م : ١٨٧، ١٨٨ .

[٦] الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق : ج١/ ٢٣٤ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٤٢١ ؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس : ٣٠٠ ؛ زبيب ، نجيب ، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس ، تقديم : احمد ابن سودة ، ط١ ، دار الامير للثقافة والعلوم ــ بيروت ــ ١٩٩٥م : ج٢/٢٣٧

[٧] أبن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٣٨ ؛ محمود ، قيام دولة المرابطين : ٢٠٦ ؛ حسن ، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين : ٢٧ .

وقد قيض الله تعالى للأمير يوسف بن تاشفين ان يلعب دورا آخر بعد ان تمكن من توحيد المغرب الأقصى ، واستعمل من اجل هذا الهدف كافة الأسباب المشروعة سواء باصلاح ذات البين بين القبائل المتناحرة ، او باستعمال القوة مع من استعصى عن الاجابة ، وكان يسعى سعيا حثيثا للقضاء على الفتن في بلاده ، ويعمل على اغلاق ابوابها أولاً بأول ، وسبيله في ذلك : ((تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين ، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة ، فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم))(١) .

ذلك الدور هو الانطلاق الى الاندلس ، وتحمل أعباء الكفاح المسلح ضد اطماع النصارى ووقف زحفهم(٢) ، واتصف الأمير يوسف بن تاشفين بصفات قيادية ، منها الايمان العميق بالاسلام وفضله ورسالته ، وشعوره بانه ينبغي ان يخدم هذا الدين وينصره ويجاهد في سبيله ويعمل على حمايته من الأخطار ، فلم يكد يقيم دولته بعد أن استولى على العدوتين المغربية والاندلسية ، حتى ارسل رسولا الى الخليفة العباسي المستظهربالله(٣) (٤٨٧-٥١٢هـ / ١٠٧٤ ـ ١١١٨م) معه هدايا وكتاب يذكر فيه ما فتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام ، ويطلب تقليدا بولاية البلاد ،فكتب له التقليد من ديوان الخلافة بما اراد وأنعم عليــه بلقب (أمير المسلمين) ، وأرسل اليه الخلع فسر بذلك سروراً كبيراً ، وعينه أميرا على إفريقية(٤) .

---

(١) الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) ،الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، تح : احمد مبارك البغدادي ، ط١ ، مكتبة دار ابن قتيبة ـ الكويت ـ ١٩٨٩م : ٢٢ .

(٢) حسن ، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس : ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) **الخليفة المستظهر بالله** : هوابوالعباس احمد بن المقتدي بامر الله ، بويع له في رابع محرم سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٧٤م) ، بعد وفاة ابيه ، كانت امه تركية ، ولم ير في زمانه أصبح وجهاً منه ، بايعه حجة الاسلام ابوحامد الغزالي، وكان مشغولا بشأنه محبا للترفه والتنعم ، وكانت الدنيا والعراق خاصة في ايامه هادئة والعين نائمة وأموردولتهم مستقيمة ، توفي المستظهربالله ـ رحمه الله بعلة الاستسقاء سنة (٥١٢هـ/ ١١١٨م) . ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) ،الانباء في تاريخ الخلفاء ، تح : قاسم السامرائي، ط١، دارالافاق ـ القاهرةـ ١٩٩٩م : ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

(٤) ابن الاثير،الكامل في التاريخ : ج٩/ ٩٩ ؛ ابن خلدون، العبر: ج٦/ ٢٥٠ ؛ ابن العماد ، شهاب الدين ابي الفلاح عبدالحي بن احمدبن محمدالحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في اخبارمن ذهب ، ط١ ، تح : محمودالارناؤوط ، دارابن كثير ـ دمشق ـ ١٩٨٩م : ج٥/٤٢٧ ، ٤٢٨ ؛عنان ، عصرالمرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، القسم الاول عصرالمرابطين وبداية الدولة الموحدية ، ط٢ ،مكتبةالخانجي ـ القاهرةـ ١٩٩٠م : ٤١ .

أمام تزايد ضغط الاذفونش على المسلمين في الاندلس ، أخذت وفود الاندلس الشعبية تجوز البحر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين شاكية سوء الاحوال ، ومناشدة إياه لتدارك الوضع وحماية الاسلام في الأندلس من عدوان النصارى ، بعد أن ثبت عجز أمراء الطوائف عن الوصول الى تعاون فيما بينهم لدفع الخطر عنهم . ففي سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م) وفد عليه جماعة من اهل الاندلس وشكواليه ماحل بهم من أعدائهم فوعدهم بإمدادهم وإعانتهم وصرفهم الى أوطانهم[١] .

اولاً : استنجاد الأندلسيين بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين :

بعد أن اجتمعت رغبة المعتمد بن عباد مع رغبة فقهاء قرطبة في استدعاء المرابطين لنصرة الإسلام في الاندلس، الا أن المعتمد لم يكتف بذلك بل أراد أن تتم الرغبة باجماع فقهاء الاندلس جميعا ، فخاطب المتوكل بن الافطس (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) صاحب بطليموس، وعبدالله بن بلقين (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) صاحب غرناطة ، في أن يرسل كل منهما قاضي حضرته للأجتماع مع قاضي الجماعة بقرطبة ، فوصل من بطليوس قاضيها ابو اسحاق بن مقانا ، ومن غرناطة قاضيها ابو جعفرالقليعي ، واجتمعا[٢] ، في إشبيلية بابن ادهم قاضي الجماعة بقرطبة وانضم اليهم الوزير ابو بكر بن زيدون ، وتقرر أن يرحل هؤلاء في وفد يمثل أهل الأندلس وملوكها إلى مراكش لمقابلة الامير يوسف بن تاشفين ، لينقلوا إليه رغبة ملوك وفقهاء الاندلس في دعوته للعبور الى الاندلس لتخليص الاسلام والمسلمين من خطر النصاري المحدق بشبه الجزيرة[٣] .

---

(١) مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٣٣ ؛ طارو ، جان وجيروم ، ازهار البساتين في اخبار الاندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين ،ترجمة : احمد بلا فريج ومحمد الفاسي ، المطبعة الوطنية ــ الرباط ــ ١٩٣٠م : ٥٥ ، ٥٦ .

(٢)ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٨/ ٤٤٥ ، ٤٤٦ ؛ ابن الابار، اعتاب الكتاب ، تح : صالح الاشتر ، ط١ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٩٦١م : ٢٢٣ ؛ ابن الابار، الحلة السيراء : ج٢/٩٨ ، ٩٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٧/ ١١٣ ، ١١٤ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٨٥ ، ٨٦ ؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، نشره الى العربية : نبيه امين فارس ؛ منير البعلبكي ، ط١، دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٤٨م : ٣٢٠ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٨/ ٤٤٥ ، ٤٤٦؛ ابن الابار، اعتاب الكتاب : ٢٢٣ ؛ ابن الابار،الحلة السيراء : ج٢/٩٨ ، ٩٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٧/ ١١٣ــ ١١٤ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٨٥ ، ٨٦ .

وعبر الوفد البحر الى المغرب قاصدين الامير يوسف في مراكش ، ويبدو ان هذه السفارة لم تلتمس العون دون شروط ، فقد كانت مزودة بتعاليم واضحة ، وفي اثناءاجتماعها مع الامير جرت بين الفريقين محادثات ومدولات[١] ، غير ان أميرالمرابطين وقد صقلته التجارب وبلغ ذورة النضج ، وكان يومئذ قد تجاوز السبعين من عمره ، لم ير أن واجبه يقتصر في ذلك على النزول عند بواعث الغيرة الدينية ؛ ونظرا لنقص معرفته بالجزيرة وبالعدو ، وكونه يخشى أن محاربة النصارى الاسبان قد لا تسفر عن النجاح المحقق ، فقد رى ان يتبع في ذلك نصح كاتبه عبدالرحمن بن اسبط وهو اندلسي المولد من اهل المرية ، عارفاً بجغرافية شبه الجزيرة وشؤونها حق المعرفة ، فشرح له عبدالرحمن ما يعترض الحرب من صعاب ؛ لأنّ معظم البلاد بيد النصارى ، وهي وعورة البسائط تعترضها جبال صعبة تعيق المسالك حركة الجيوش ، ويمكن تشبيهما بسجن يندر أن يستطيع الداخلون إليه الخروج منه[٢] . فنصحه الكاتب أن يتسلم الجزيرة الخضراء[٣] ؛ لكي تكون قاعدة أمينة لعبور الجيش وحماية خطوط التموين ، وقال له : إن الامر لله تعالى ، ولكم وواجب على كل مسلم إغاثة اخيه المسلم والانتصار له ، والاندلس بلاد وعرة المسالك معظمها بيد النصارى ، وهذا الرجل الذي استدعاك ما بينك وبينه عتاب قديم ، وقد يتمسك بالارض بعد تحريرها من العدو ويتناسا جهودك ، والحال كما ترونه والنظر اليكم ، فاكتب اليه فإنه لا يمكنك الجواز إلا أن يعطيك الجزيرة الخضراء ، فتجعل فيها أثقالك وأجنادك ، ويكون الجواز بيدك متى شئت · فقال له الامير : صدقت يا عبدالرحمن لقد نبهتني على شيء لم يخطر ببالي ، أكتب اليه بذلك ، وكتب ابن أسبط الى المعتمد بن عباد

---

[١]الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٨٦ ؛ المقري ، نفح الطيب : ج٤ / ٣٦٠ ؛الناصري ،الاستقصا : ج٢/٣٦ .

[٢] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٤٩ ؛ أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٧٥ .

[٣]**الجزيرة الخضراء** : مدينة مشهورة بالأندلس ، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة ، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة ، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة ، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضاً ، وسورها يضرب به ماء البحر ، متصلة ببر الأندلس لاحائل من الماء دونها . ياقوت الحموي ، معجم البلدان : م٢/ ١٣٦ .

الكتاب التالي نصه : ((بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . من أمير المسلمين وناصر الدين معين دعوة أمير المؤمنين ، الى الامير الاكرم المؤيد بنصره لله تعالى المعتمد على الله أبي القاسم محمد بن عباد أدام الله كرامته بتقواه ووفقه لما يرضاه . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فإنه وصل خطابك الكريم فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك وما ذكرته من كربتك وما كان من قلة حماية جيرانك ، فنحن يمينك لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك وواجب علينا ذلك في الشرع وكتاب الله تعالى . وإنه لا يمكننا الجواز إلا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا اليك على ايدينا متى شئنا ، فإن رأيت ذلك فاشهد على نفسك بذلك وابعث إلينا بعقودها ونحن في أثر خطابك إن شاء الله تعالى))[١] .

بعد وصول الرسالة الى المعتمد بن عباد أطلع ابنه الرشيد على خطاب الامير يوسف فقال له : يا أبت ألا تنظر الى ما طلب ، فقال المعتمد: يابني هذا قليل في حق نصرة المسلمين . ثم جمع المعتمد القاضي والفقهاء وكتب عقد هبة الجزيرة الخضراء للأمير يوسف وتسليمها له بحضورهم ، وكان يحكمها يزيد الراضي بن المعتمد ، فبعث اليه يأمره بإخلائها وتسليمها للمرابطين لتكون تحت تصرف الامير يوسف[٢] .

لم تزل وفود ثغور الاندلس تقدم على الامير يوسف بن تاشفين مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين الله والاسلام ، مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع اليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم[٣] .

---

[١] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٤٩ ، ٥٠ .

[٢] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٥٠ ، ٥١ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٣١٨ ؛ نصرالله ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس في عهد يوسف بن تاشفين : ٧٣ ، ٧٤ .

[٣] ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٩٩ ؛ المقري ، نفح الطيب : ج٤ / ٣٦٠ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج٢/ ٣٦ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٣١٧ ، ٣١٨ .

ثانيا : العبور الاول للمرابطين الى الاندلس سنة (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) :

بعد حصول الامير يوسف على الجزيرة الخضراء[١] حزم أمره وقرر تلبية نداء اهل الاندلس تحدوه نزعة الجهاد ، وكتب أمانا لأهلها على ألا يتعرض لاحد منهم في بلده وقال : ((أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ولا يتولى الامر أحدا ألا أنا بنفسي))[٢] .

بعد ذلك استنفر الامير يوسف سائر قواته للجهاد وبعث الى مراكش ومختلف نواحي المغرب في طلب الجنود فأقبلت اليه الوفود وتبعته الجنود من بلاد الصحراء والمغرب[٣] ، أمتثالا لقوله تعالى : (**وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراًعَظِيماً...**)[٤] . كان في صحبة الأمير يوسف عدد من قـــــادة المرابطين وانجادهم وصلحائهم فلما ركب السفينة واستقّرعلى ظهرها ، وكان البحر هائجـــاً ، رفع أمير المسلمين يديه ودعا الله تعالى قائلا : ((اللهم إن كان في جوازي هذا خيراً وصلاحاً للمسلمين فسهل علي جواز هذا البحر ، وإن كان غير ذلك فصعبة علي حتى لا أجوزه ، فسهل الله عليه الجواز في أسرع ما يكون))[٥] . وفي ذلك يقول ابن الكردبوس[٦] : ((وقد أخلص لله تعالى نيته وحقق في ذاته طويته ، وملأ البحر اساطيلا وأجاز رعيلا رعيلا ، واحتل الجزيرة الخضراء في كتيبته الخضراء ، المشتملة على اثني عشر الف راكب من صناديد الاجناد)) . كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قد أمر بعبور الجمال من صحراء المغرب إلى الاندلس لأغراض عسكرية فعبر منها ما أغص الصحراء ، وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ، ولم يكن أهل شبه الجزيرة رأوا قط جملا ، ولا كانت خيلهم قد رأت صـــورها ولا سمعت

---

(١) يذكر الامير عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة في مذكراته ، أن المعتمد بن عباد تلكأ في تسليم الجزيرة الخضراء وأمسك رسل المعتمد مدة منهم القاضي عبدالملك المصمودي ، وابن الاحسن ، ثم اطلق سراحهم وأرسلهم مع شيوخ إشبيلية ليطلبوا من الامير يوسف التريث مدة ثلاثين يوما لأخلائها ، فما كان من الامير يوسف إلا أن هاجم الجزيرة واستولى عليها عنوة بقيادة داود بن عائشة ٠ الامير عبدالله بن بلقين بن باديس بن حبوس (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) ، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، ط١ ، حرره : علي عمر ،مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ ٢٠٠٦م : ١٣٠ـ ١٣١

(٢) عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ١٩١ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٨/ ٤٤٦ ؛ المراكشي ، المعجب: ١٩١ ؛ الناصري ، الاستقصا :ج٢/ ٣١ .

(٤) سورة النساء : من الآية : ٩٥ .

(٥) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٤٥ .

(٦) تاريخ الاندلس : ٩٠ .

أصواتها ، وكانت تذعر منها وتقلق ، وكان للأمير يوسف في عبورها رأي مصيب كان يحيط بها معسكره ، فكانت خيل الإفرنج تنفر منها[١]. فقد أقاموا صفا من الابل بمثابة درع يتقدم قواتهم المهاجمة ، ويوقع الرعب في صفوف الاعداء ، ويثير الاضطراب في خيولهم[٢] . ونزل الامير يوسف بالجزيرة الخضراء فصلى الظهر بها ، واستقبله سكانها بالترحاب وخرجوا اليه بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا الاسواق لذلك وامتلات المساجد والرحبات بالمتطوعين[٣] . وحرص الأمير يوسف على تحصينها وبناء الأسوار حولها وأصلاح ما تصدع من ابراجها وشحنها بالمؤن والاسلحة ، وابقى فيها فرقة عسكرية من خيرة جنوده ؛ لتأمين ظهره في حالة تقدمه. ثم رحل الأمير يوسف بن تاشفين عن الجزيرة الخضراء متجها صوب إشبيلية ، ولما اقترب منها خرج المعتمد بن عباد للقائه في وجوه أصحابه وقواده ، وعند اللقاء هم المعتمد بن عباد بتقبيل يديه فبادر الأمير يوسف لمعانقته وسأله عن حاله وانبسط معه في الحديث ، وهنأهُ المعتمد بالسلامة ، ونظر الى عساكر المرابطين الكثيرة ، فلم يشك أن ذلك الجمع لا يخلو من نصر، وأن أدفنش لامحالة مهزوم ، فحمد الله واثنى عليه وسجد لله سجدة عفر وجهه في التراب تواضعا لله سبحانه. ثم رحلت الجيوش المرابطية الى إشبيلية ، إذ أقاموا ثلاثة أيام للاستراحة[٤] . ثم كتب الامير يوسف الى سائر ملوك الطوائف ، يدعوهم الى اللحاق به والمشاركة بالجهاد ، فلبى دعوته عبدالله بن بلقين صاحب غرناطة ، وأخوه تميم صاحب مالقة ، بينما اعتذر المعتصم بن صمادح صاحب المرية ؛ لكبر سنه وضعفه وخوفه من نتيجة المعركة ، واكتفى بإرسال أبنه معز الدولة في فرقة من الجند[٥] . ثم غادر الجيش المرابطي إشبيلية مخترقا أراضي أمارة بطليوس ، ورتبت القوات على النظام

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٧/ ١١٦ .

(٢) السيد ، عبداللطيف عبدالهادي ، الاندلس الاسلامية سياسيا وحضاريا ، المكتب الجامعي الحديث ــ الاسكندرية ــ ٢٠١١م : ٢٣٩ .

(٣) ابن الابار : الحلة السيراء : ج٢/ ٥٤ ، ٥٥ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٨٧ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج٢/ ٣٢ .

(٤) المراكشي ، المعجب : ١٩١ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٥٢ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٨٧ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٣٢ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٣٢١ ؛ أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٨٣ .

(٥) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ١٠٠ ، ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٤٦ .

الآتي: سار في الطليعة فرسان المرابطين وعدتهم عشرة الاف يقودهم ابو سليمان داود بن عائشة ، وتلتهم قوات الاندلس يقودها المعتمد أمير إشبيلية ، وكانت قوات الاندلس تؤلف وحدها جيشا خاصاً منفصلاً عن جيش المرابطين المؤلف من جند المغرب . ساربعدهم بيوم جيش المرابطين يقوده الامير يوسف بن تاشفين ، وكان ينزل في المساء في المحلة التي يغادرها أمير إشبيلية في الصباح ، ووصلت الجيوش على هذا النحو طرطوشة على مقربة من بطليوس ولبثت هنالك ثلاثة أيام[١] .

ـ معركة الزلاقة :

كان نبأ مقدم المرابطين إلى الاندلس قد وصل على جناح السرعة إلى معسكر النصارى أمام اسوار سرقسطة ، وكان الملك الفونسوا السادس قد سير إليها معظم قواته ؛ لكي يعجل بسقوطها ، ولم يحمله على رفع الحصار عنها سوى الخوف على عاصمته طليطلة وعلى أراضيه الجنوبية ، فعقد مجلسا من كبراء مملكته ، ثم حشد قواته ، وقام بأجراءات حربية ، ليخوض المعركة مع المرابطين بنجاح بحسب تصوره . لقد دفعت الظروف الجديدة للفونسوا السادس على الاستعانة بأخوانه النصارى ، فتحالف مع سانشوراميريز[٢] Sancho Ramirez ملك أراجون وصاحب بنبلونة[٣] والكونت برنجار ريموند ، وكان الاول مشغولاً يومئذ بمحاصرة طرطوشة ، وأما الثاني فكان يتأهب لغزو بلنسية ، فعدل كل منهما عن مشروعه ، وانضما بقواتهما الى الفونسوا ، وكان قد حشد قوات عظيمة من جليقية وليون وبسكونية واشتوريش وقشتالة ، ومن الأراضي الاسلامية التي فتحت أخيرا، ووفدت في الوقت نفسه[٤] ، لنجدة النصارى الأسبان سرايا من الفرسان من ولايات فرنسا الجنوبية مؤملة أن تجني بمقاتلة المسلمين مغانم عظيمة ، وأن

---

[١] أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٨٣ .

[٢]**سانشوراميريز :** Sancho Ramirez وهو المعروف في الرواية العربية بابن رذمير وهو الملك الفونسوا الاول ملك اراكون . ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٤٥ .

[٣]**بنبلونة** : مدينة بالاندلس ، وبينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً ، بها كانت دار مملكة غرسية بن شانجة سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م) وهي بين جبال شامخة ، وشعاب غامضة . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٥٥ .

[٤] عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ١٩٣ ، ١٩٤ ؛ أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٨٤ .

تحقق سلام بلدانها[١]. ((وأن أذفنش ــ لعنه الله ــ نسي تلك الرؤيا ، وأخذ في جمعه وحشده ، وتأهب للقاء المسلمين ، واحتفل في الاستعداد ، وخرج ومعه ثمانون ألف فارس ، لابسين الدروع دون غيرهم ، حتى انتهى الى فحص الزلاقة . وكان عسكر المسلمين يناهز خمسين ألف فارس ، أربعة وعشرون ألفا من فرسان الاندلسيين ما بين مدرع ولابس ، ومثلها أو أكثر منها مرابطين، وأهل العدوة))[٢] ، عسكر الجيشين المتحاربين على أميال من بطليوس في سهل تتخلله الاحراش ، وتسميه الرواية العربية بالزلاقة[٣] ويفصل بين الجيشين نهر صغير تسميه الرواية العربية بنهر حجير ، وعسكر الامير يوسف وراء ربوة عالية منفصلا عن معسكر الاندلسيين[٤] ، وعسكر الاندلسيين أمام عسكر فرسان النصارى الذي لاتدرك نهايته الأبصار[٥] . ومن ثم أرسل الامير يوسف الى الفونسو كتابا يدعوه فيه : الى الجزية أو الاسلام أو الحرب ، فلما وصل كتابه الى الفونسو داخله الكبر وقال للرسول : قل للأمير لا تتعب نفسك أنا اصل اليك . فارتحل الفونسوا السادس حتى نزل بالقرب من بطليوس ، ونزل الامير يوسف بموضع يعرف بالزلاقة ويسميه الأسبان **(Sagrajau)** ، وتقدم المعتمد وامراء الاندلس فنزلوا بالجهة **الآ**خرى بينهما ربوة حاجزة ؛ ترهيبا للعدو . ويحجز بين الفريقين نهر بطليوس يشرب منه هؤلاء وهؤلاء ، فأقاموا ثلاثة أيام والرسل تختلف بينهم الى أن أتفق رأيهم أن تكون الملاقاة يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رجب سنة (٤٧٩هـ /١٠٨٦م)[٦] ، بعث المعتمد إلى الامير يوسف بن تاشفين يعلمه أن يكون على أهبة واستعداد للحرب ، وان العدو صاحب مكر وخديعة في الحرب ، فلما كان الليل من يوم الخميس العاشر لرجب المذكور عبأ ابن عباد كتائبه وصف جيوشه واستعد للقتـــال ، وجعل على عسكر العدو عيونا على خيل يأتونه بأخبارهم ومـــا يرونه من تحركاتهم ، فلم

---

(١) أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٨٤ .

(٢)مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٥٦ .

(٣) ويسمى ايضا السهلة ، وهو مكان يبعد بضعة اميال عن بطليوس يسميه النصارى سكر الياس . ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٤٦ .

(٤)ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٤٦ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٤٠ .

(٥)أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٨٥ .

(٦) عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ١٩٤ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٤٦ ، ١٤٧ ؛ أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ .

يزل كذلك الى الفجر من يوم الجمعة ، فبينما هو في أخر ركعة من صلاة الصبح وكـــان قد غلس بالصلاة إذ اقبلت القوة التي كانت عيوناً على العدو مسرعة اليه ، فاخبروه ان العدو قد زحف نحو المسلمين في جيوش جرارة[١] .

فأرسل في الحين بالخبر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فوجدوه على أهبة للحرب قد عبأ كتائبه طول ليلته ، فارسل قائده المظفر داوود بن عائشة في جيش عظيم من لمتونة ووجوه وأشياخ المرابطين ليكونوا طليعة له ، وكان داود بن عائشة لا نظير له في العزم والحزم والنجدة . وكان الفونسوا السادس قد قسم عساكره على فرقتين ، فتوجه هو وفرقة نحو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فالتقا في الجيش الذي يقوده داوود بن عائشـــة فاقتتلوا قتالا عظيما ، وصبر المرابطون صبراً جميلاً ، وكانت بينهم مضاربة تفللت فيها السيوف وتكسرت الرماح ، وسارت الفرقة الثانية من عسكر الفونسوا مع البرهانس وابن رذمير نحو عسكرابن عباد ، فهزمته واستمرت الهزيمة على رؤســاء الانـــدلس الى جهة بطليوس ولم يثبت منهم غير ابن عباد وجيشه ، فانهم ثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً وصبروا صبر الكرام لحرب اللئام . فوصل خبر الهزيمة إلى الامير يوسف ، وان المعتمد وداود بن عائشة صابران يقاتلان ، فبعث قائده سير بن أبي بكر في قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر الذين كانوا في عسكره مدداً لداود بن عائشة وابن عباد[٢] ، وســارهو في جيش لمتونة وقبائل المرابطين من صنهاجة قاصدا معسكر الفونسوا السادس حتى اخترقه ، والفونسوا مشغولا بقتال داود بن عائشة فأضرفيه النار واحرقهُ ، وقتل من كان فيه من والرجال والفرسان الذين تركهم الفونسوا ليحرسونه ويحمونه ، وفر الباقون منهزمين نحو الفونسوا ، وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين في أثرهـــم ، وقـــد اثخن فيهم القتل . فقال الفونسوا السادس ما هذا ؟ فاخبر الخبر بحـــــرق عسكره ونهبه وقتل حمايته وسبي حريمه ، فرد وجهه الى قتاله وصمم أمير المسلمين نحوه ، فنشبت بينهما حروب عظيمة لم يسمع قط بمثلها واختلط الفريقان ؛ فأظهر الأمير يوسف بن تاشفين واصحابه من

---

(١) عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ١٩٤ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٤٦ ، ١٤٧ ؛ أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٨ / ٤٤٧ ؛ عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ١٩٥ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٤٧، ١٤٨ ، ١٤٩ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٤٢ ، ٤٣ .

الصبر وحسن البلاء والثبات مالم يكن يحسبه المعتمد ، وهزم الله العدو ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم في كل وجه ، ونجا الأذفونش ــ لعنه الله ــ في تسعة من أصحابه ، وقد أصيب الأذفونش في احدى ركبتيه ؛ فكانت وقعة الزلاقة احد الفتوح المشهورة بالأندلس ، أعز الله فيه دينه وأعلى كلمته وقطع طمع الأذفونش عن شبه الجزيرة ، وكانت هـــذه الوقعة المباركة يوم الجمعة الحادي عشر من رجب سنة (٤٧٩هـ الموافق الثالث والعشرون من اكتوبر سنة ١٠٨٦م)[١] . وقد فقد الفونسو في الزلاقة القسم الاعظم من جيشه ، ولم يفقد المسلمين من قواتهم إلا االقليل[٢] ، وأنصرف أمير المسلمين راجعا إلى إشبيلية بعد هذا النصرالعظيم[٣] ، وكتب بالفتح الى بلاد المغرب ، والى تميم صاحب المهدية[٤] ، فعمت الفرحة في جميع بلاد إفريقية وبلاد المغرب والاندلس ، واجتمعت كلمة الاسلام ، واخـــرج الناس الصدقات ، واعتقوا الرقاب ؛ شكرا لله تعالى على نصره وفضله[٥] .

ــ أهم نتائج معركة الزلاقة

إنّ أهم نتائج معركة الزلاقة تحرير مدينة سرقسطة وحمايتها من السقوط في أيدي القشتاليين الذين كانوا يحاصرونها عندما نزلت قوات المرابطين بالأندلس ، كما أنقذت طرطوشة من حصار سانشوراميرث لها ، وكذلك بلنسية التي كان برنجار ريمـــوند يتأهب لغزوها[٦] . فضلا عن فداحة الكارثة التي حلت بقوات الفونسوا ومن ساندها ، والفتح

---

[١] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٨ / ٤٤٧ ؛ عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ١٩٥ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٤٧، ١٤٨ ، ١٤٩ ؛ الناصري ، الاستقصا : ٤٢ ، ٤٣ .

[٢] عبدالله بن بلقين ، التبيان : ١٣٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٧ / ١١٨ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب :١٤٩ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام : تح: احمد مختار العبادي : ق٣/ ٢٤٥ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٦٣ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٩٣ .

[٣] عبدالله بن بلقين ، التبيان : ١٣٤ .

[٤] **المهدية** : مدينة صغيرة بالمغرب استحدثها المهدي القائم وسماها بهذا الأسم وهي في نحر البحر وتحول اليها من رقادة القيروان في سنة (٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) وهي من القيروان مرحلتين ، وهي كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة منيعة ، يحيط بها البحر من ثلاث جهات . ابن حوقل ، صورة الأرض : ٧١ .

[٥] ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب :١٤٩ .

[٦] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٤٦ ؛ حسين ، حمدي عبدالمنعم محمد ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصرالمرابطين ، دار المعرفة الجامعية ــ ١٩٩٧م : ٦٠ ؛ الخليفة ، حامد محمد ، انتصارات يوسف بن تاشفين (٤٠٠هـ/١٠٠٩م ــ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) بطل معركة الزلاقة وقائد المرابطين موحد ومنقذ الاندلس من الصليبيين ، ط١ ، مكتبة الصحابة ــ الامارات ــ الشارقة ــ ٢٠٠٤م : ١٥٥ ، ١٥٦ .

المبيـــن الـذي احـرزه المسلمون بعد أن تحلـوا بـروح الجهـاد تحت قيـادة كـفؤة متفانيـة فـي العمل لخدمة الاسلام والمسلمين ، كمـا سُرّ أهل الانـدلس بـالمرابطين وارتفعت معنويـاتهم ، واظهـروا التـيمن بـأمير المسـلمين يوسـف بـن تاشـفين وكثـر الـدعاء لـه فـي المسـاجد وعلـى المنـابر، وذلك أن الانـدلس كانـت قبلـه بصـدد استيلاء النصـارى عليهـا وأخذهم الاتـاوة من ملوكها فلما قهر الله عدوها وهزمه على يد أمـــير المسلمين أظهـر النـاس إعظامـه ونشـأ لـه الود بالصدور، ونستنتج ذلك من قول الامير عبدالله بن بلقين عندما يتحدث عن اللقاء مع الامير يوسف بن تاشفين وعن المشـاعر فـي تلك المرحلـة فيقول : ((ورأنيـا من إكرامـه لنـا وتحفيـه بنـا مـا زادنـا ذلـك رغبـة فيـه ولـو اسـتطعنا أن نمنحـه لحومنـا فضـلاً عـن أموالنا))[١] . بعد أن فرغ الأمير يوسف من معركة الزلاقة عاد الى إشبيلية ودعا رؤساء الاندلس إلى اجتماع عام وطلب منهم الاتفاق والاتحاد ضد عدوهم المشترك الذي استغل تشتتهم، فأجابه الجميع بقبول وصيته وتحقيق رغبته[٢] ، ينظر خارطة شكل رقم (٣) .

بعد ذلك تـرك الاميـر يوسـف بـن تاشـفين الانـدلس وهـو مطمـئن ، ولاسيما بعد ان استولى على الجزيرة الخضراء وبذلك وثق الصلة بين المغرب والاندلس ، وترك القائد سير بن ابي بكر على رأس جيش من المرابطين لمواصلة معركة الجهاد[٣] . وفي نشوة النصر الكبير رحل الامير يوسف بن تاشفين الى المغرب ، دون ان يجني ثمار ذلك النصر ، علـى الاقل استرجاع مدينـة طليطلـة ، وهنـاك عدة اسباب حملت الاميـر يوسـف للعـودة السريعة الى المغرب ، **اولها** : حين بلغــه نبأ وفـاة ابنه الاميرابي بكر في الشهر نفسه الذي كان مريضا والـــذي استخلفه في سبتة ، فعـاد الـى العدوة الإفريقيـة مسرعا بعد أن أذهلتـه نكبتـه فـي ابنـه عـن الاسترسـال فيمـا كـان ماضيا فيـه[٤] . **ثانيهما** : خوفـه مـن عمـل يقـوم به ابراهيم بن الامير ابي بكر بن عمر الذي كـــان واليا على سجلماسة من قبل ابيه إذ قـــام

(١) عبدالله بن بلقين ، التبيان : ١٣٢ .
(٢) عبدالله بن بلقين ، التبيان : ١٣٢ .
(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٧ / ١١٩ .
(٤)ابـن ابـي زرع ، الأنـيس المطـرب: ١٥٢؛ الناصـري ، الاستقصـا : ٤٥ ؛ دنـدش ، عصـمت عبـد اللطيف ، أضواء على المرابطين ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ــ بيروت ــ ١٩٩١م : ٧٢ ؛ مؤنس ، حسين ، سبع وثائق جديدة عن دولـة المرابطين وأيـامهم فـي الانـدلس ، ط١ ، مكتبـة الثقافـة الدينيـة ــ بورسعيد ــ٢٠٠٠م : الوثيقة الثانية / ١٩ .

خارطة تبين جهود الأمير يوسف بن تاشفين في توحيد الأندلس بعد ملوك الطوائف ـ صورة من الانترنيت



خارطة شكل رقم (٣)

بمحاولات فاشلة لانتزاع الملك من الامير يوسف ، فيذكرابن عذاري[٣] أنه : ((وفي سنة تسع وستين واربعماية وصل ابراهيم من الصحراء يطلب ملك ابيه ونزل بخارج أغمات في خلق كثير من اخوانه لمتونة ، فسمع بذلك أمير المسلمين فبعث اليه الامير مزدلي[٢] فقال له : ((ما الذي تريد يا ابراهيم ؟ قال : اطلب ملك ابي الذي غصبنا فيه عمي يوسف قال مزدلي : ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء)) والله تعالى قد خص هذا الرجل بالملك دوننا ، فان كنت عاقلا فاطلب منه ان يعينك بمال وخيل ترجع بها الى بلدك ...)) .

وصل الامير يوسف الى المغرب واستقر بعاصمته مراكش حتى ربيع الآخر من سنة (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) ، ثم خرج الأمير يوسف يتجول في انحاء مملكته يتفقد احوالها ويصلح من شؤونها وينظر في امور الرعية ، ويتقصى أخبار عماله والقضاة[٤] .

ثالثهما : اخبار وردته من المغرب باضطراب الاحوال على الحدود الشرقية لدولته إذ تحالف بنو حماد الصنهاجيين مع عرب بني هلال وحاولوا غزو المناطق الحدودية التابعة للدولة المرابطية مغتنمين فرصة وجود الامير يوسف مع اكثرية جيشه في الاندلس مما حدا بالأمير يوسف اجراء اتصال مع انسابه بني حماد وعمل على استرضائهم[٥] .

ثالثا: العبور الثاني للمرابطين الى الاندلس سنة (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) :

في ربيع الاول من سنة (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) ، عبر الامير يوسف بن تاشفين الى الجزيرة الخضراء بجيش ضخم ، واعدّ المعتمد بن عباد ما يجب لاستقباله ؛ وكان سبب عبور الأمير يوسف الثاني للجزيرة هو أن المعتمد بن عباد ضاق ذرعا من الاوضاع السيئة في شرق الاندلس والمؤذنة بخطر جسيم أن لم يتداركوه اتسع الرتق ، ولاسيما ان المعتمد كان اكثر امراء الاندلس خوفاً من هذا الخطر النصراني المحدق بالجزيرة ، وفي ذلك يذكر

---

(٢) **مزدلي :** هو أبو محمد مزدلي بن سولنكان من كبار قادة المرابطين ، وهو ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وله جهود كبيرة في الدور الاول من التاريخ المرابطي قبل دخول الاندلس ، استولى على بلنسية سنة (٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) ثم تولى تلسمان سنة (٤٩٧هـ/ ١١٠٣م) وفي سنة (٥٠٥هـ/ ١١١١م) عين على قرطبة . ابن عذاري ، البيان المغرب : تح : أحسان عباس :ج٤/٦٠ .

(٣) البيان المغرب ، تح : أحسان عباس : ج٤/٢٩ .

(٤) محمود ، قيام دولة المرابطين : ٩٨ نقلا عن الذخيرة : مخطوط بغداد القسم الثاني :١٠٦ .

(٥) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٢ .

صاحب الحلل الموشية[١] فيقول : ((ثم أن ابن عباد تحرك من إشبيلية في خاصته ، وجاز البحرإلى يوسف بن تاشفين ، فتلقاه بالمعمورة على حلق وادي سبو ، وقابله بالسلام والترحيب ، بوجه طلق ، وصدر رحب ، واكرام جم ، وقال له : ما السبب الذي دعاك إلى الجواز الينا ، وهلا كتبت بحاجتك ، فقال له : جئتك احتسابا وجهادا ، وانتصارا للدين ، وقد أجرى الله الخير على يديك ، وخظك مما جئت به الحظ الاوفر، وقد اشتد ضرر النصارى المستولين على حصن لييط ، وعظم أذاه بالمسلمين ، لتوسطه في بلادهم ، ولاجهاد أعظم منه أجرا ، ولا أثقل في الميزان وزنا ، فتلقى أمير المسلمين مقصده بالقبول ، ووعده بالحركة والجواز)) . وفي هذه الغزوة الثانية لأسبانيا رأى الأمير يوسف أن يسير من مالقة[٢] الى مرسية [٣] حيث كـــان المسلمون يومئذ في أشد المأزق من جراء غارات النصارى . وأمر الامير يوسف جميع أمراء الاندلس أن يوافوه بقواتهم إلى إقليم مرسية عند حصن لييط[٤] ليجتمعوا هنالك بجيش المرابطين[٥] .

---

[١] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٦٨ .

[٢] **مالقة :** بفتح اللام والقاف، كلمة أعجمية تدل على مدينة بالأندلس من أعمال كورة رية بين الجزيرة الخضراء ومدينة المرية، عليها سور صخر والبحر في قبلتها، وهي حسنة عامرة آهلة، كثيرة الديار وفيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها، وهي تحمل إلى مصر والشام والعراق، ولها ربضان كبيران وهي من تأسيس الأول . الحميري، صفة جزيرة الأندلس : ١٧٧، ١٧٨ ؛ الشريف ، خالد بن عبدالله بن حسن آل زيد ، مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها دراسة سياسية اقتصادية ، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي غيرمنشورة (جامعة أم القرى ـــ كلية الشريعة والدراسات الاسلامية) السنة الدراسية ــ ١٤٢٥ ـــ ١٤٢٦م : ١٦ .

[٣] **مرسية :** وهي قاعدة تدمير ، بناها الامير عبدالرحمن بن الحكم ، واتخذت دارا للعمال ، وقرارا للقواد ، وهي على نهر كبير يسقى جميعها كنيل مصر ، ولها جامع جليل وحمامات واسواق عامرة ، وهي راخية اكثر الدهر رخصيرة الفاكهة ، كثيرة الشجر والاعناب واصناف الثمار ، وبها معادن فضة غزيرة ، ومن مرسية ابو غالب تمام المعروف بابن التباني اللغوي المرسي صاحب الموعب ، ولها ربض عامر اهل ، ومنها الى بلنسية خمس مراحل والى قرطبة عشر مراحل . الحميري، صفة جزيرة الأندلس : ١٨٢ ، ١٨٣ .

[٤] **حصن لييط** : وهو حصن حصين على رأس جبل شاهق ، بينه وبين لورقة نصف يوم يملكه العدو ، إذ كان معقل المقاومة النصرانية في الجنوب الشرقي ، وكانت سراياه تغير شرقا وغربا ، إذ كان في متوسطة بلاد المسلمين . مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٦٧ .

[٥] ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٢ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية: ٦٢ ؛ أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٩٥ .

((فلم يأته ممن كتب اليه من أمراء الاندلس غير ابن عبدالعزيز صاحب مرسية والمعتمد ابن عباد فنزلا معه الحصن وشرعوا في القتال والتضييق عليه ، وشن الامير يوسف الغارات على بلاد الروم في كل يوم فدام الحصار على لييط اربعة اشهر، لا يفتر عنه القتال ليلا ولا نهاراً الى ان دخل فصل الشتاء ووقع بين ابن عبد العزيز أمير مرسية وبين ابن عباد أمير إشبيلية نزاع وتنأان ، فشكا المعتمد الى أمير المسلمين يوسف ابن عبدالعزيز، فدعا الامير يوسف قائده سيري بن ابي بكر وأمره بالقبض على ابن عبدالعزيز ، فقبض عليه ووثقه بالحديد وسلمه للمعتمد ، فاختلت المحلة بسبب ذلك))[١] .

ـــ الخلاف بين المعتمد بن عباد وعبدالعزيز بن رشيق أمير مرسية

وكانت من أهم الخصومات السياسية التي دارت بين الأمراء المشاركين في حصار حصن لييط الخلاف الذي حدث بين المعتمد بن عباد وابن رشيق[٢] ، إذ يذكر صاحب الحلل الموشية[٣] فيقول : ((وكان من جملة من وصل من رؤساء الأندلس ابن رشيق[٤] ، صاحب مرسية ، الثائر بها على المعتمد ابن عباد ، فشكا ابن عباد بابن رشيق لأمير المسلمين ، وذكر انتزاءه عليه ، وأنه دفع جبايتها مصانعة للطاغية أذفنش ، فحر ابن رشيق ، واستفتى يوسف بن تاشفين في أمرهما الفقهاء ، فوجب الحكم على ابن رشيق ، فأمريوسف بن تاشفين بالقبض عليه ، واسلامــه في يد ابن عباد ، ونهاه عن قتله ، فثقفه ابن عباد ، فهرب للحين أصحاب ابن ر شيق وقر ابته ، وجميع محلته إلى مرسية ، وانتزوا بها ، ومنعوا الميرة عن المحلة ، فاختلة أمورها ، ووقع الغلا ء بها ، وارتفع السعر فيها ، فضاقت بالناس الا حوال .)) وكـــان ابن رشيق صاحب مرسية متحـــالفاً مع الفونسو سرّاً ، الامر الذي أدّى الى الصدام بينه وبين المعتمد بن عباد . وقد كان الامير يوسف بن تاشفين يبتغي من استدعاء امراء الاندلس لأجل توحيد الجهود للانقضاض على حصــن لييط معقل

(١) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٢) عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٣٣٦ .
(٣) مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٦٩ ، ٧٠ .
(٤) بينما يسميه مؤلف الأنيس المطرب ابن عبد العزيز . ينظر : ابن ابي زرع : ١٥٣ .

المقاومة النصرانية في الجنوب الشرقي[١]. واتجهت جموع القوى المتحدة صوب حصن لييط الذي يقع على مسيرة نصف يوم من مدينة لورقة[٢] . وكان الجنود القشتاليون الذين اعتصموا بالحصن يغيرون على ما جـــاوره من البلاد ، فيسلبون وينهبون ، ثم يأوون اليه معتصمين إذا احدق بهم الخطر[٣] ، وقد فشـــل المسلمون في اقتحام الحصن وظهر لهم من مناعته ما آيسهم عنه ، ولجأت حاميته الى الحيلة ، فكانت تنيره ليلاً وتبث الاشاعات بين المسلمين ، بمجيء الفونسو لإنقاذهم[٤] ، بعدها فرّ جيش مرسية من المعركة ومنع الميرة عن الجيش المرابطي ومن معه من الاندلسيين الذين يحاصرون الحصن ، فاضطربت الاحوال ووقع الغلاء وارتفعت الاسعار[٥] ، وأصبح وضع المحاصرين حرجا ولاسيما وانهم على ابواب فصل الشتاء ، وعندما علم الفونسوا بخلافات المسلمين الداخلية حشـد جيشا ، وسارع لإنقاذ اتباعه ، فاضطر الامير يوسف الى رفع الحصار عن الحصـن[٦] ، فهو لا يريد أن يخوض مع الاسبان معركة غير مأمونة النتائج ولاسيما بعد الذي رآه من حكام الاندلس وتآمرهم وأخرج من نجا من الموت وكان عددهم مئة فارس وألف راجل[٧] . ويذكر منتغمري وات[٨] فيقول : ((أن الفونسوا رأى ان الدفاع عن الحصن غدا مستحيلا من كل الوجوه فهدمه الى الارض وحقق بذلك الامير يوسف هدفا مهمّا)) .

---

[١]ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٢ ؛

[٢]**لورقة :** من بلاد تدمير وهي على ظهر جبل ، كثيرة الزرع والضرع ، وبها اسواق وربض اسفل المدينة ،وبينها وبين مرسية اربعون ميلا . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٧١ .

[٣] ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٢ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٦٨ ، ٦٩ ؛ أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٩٥ .

[٤] عبدالله بن بلقين ، التبيان : ١٤٠ .

[٥]مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية :٧٠ .

[٦]ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٢ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية: ٧٠ ؛ أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٩٦ ؛ توفيق ، عمر ابراهيم ، صورة المجتمع الاندلسي في القرن الخامس للهجرة (سياسيا واجتماعيا وثقافيا) ، ط١ ، دار غيداء للنشر والتوزيع ــ عمان ــ ٢٠٠٩م : ١٨٣ .

[٧] ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٣ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٣٣٦ .

[٨] في تاريخ اسبانيا الاسلامية ، مع فصل في الادب بقلم بيير كاكيا ، ط٢ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشرـ بيروت ــ ١٩٩٨م : ١١٠ .

ــ الخلاف بين المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح أمير المرية[١] :

كانت أمارة المرية تحت حكم المعتصم بالله أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي ، وقد تغلبت هذه الأسرة على المرية منذ سنة (٤٣٣هـ/ ١٠٤١م)[٢] ، وبدأ حكم المعتصم بالله بن صمادح منذ سنة (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) واستمر حتى سنة (٤٨٣هـ/١٠٩٠م) أي أن ملكه دام أكثر من أربعين سنة ، كان ينظم الشعر الذي يصف فيه مجالس شرابه وندماءه ، ولم يزل على تلك الحال من الفضلة حتى دهمته قوات المرابطين ؛ لتحالفه مع أمير غرناطة ، ولتخلفه عن لقاء أمير المسلمين مع أمراء الأندلس في غرناطة ، مما أوجب العمل على عزله قبل المعتمد بن عباد ، وكان ابن عباد والمعتصم بن صمادح يوقع كل منهما في حق صاحبه لدى أمير المسلمين ، ويتهم بمختلف التهم[٣] ، وكان خبر خضوع غرناطة للمرابطين واستسلام أميرها قد وقع على ابن صماح وقوع الصاعقة ، فمرض منذ ذلك الحين ؛ لما علم من سوء العاقبة واقتراب ساعة الحساب ، ولما شعر بدنو أجله ، استخلف ابنه الملقب عزالدولة ، واوصاه قائلاً : استمسك بإشبيلية ما استطعت فإن رأيت ابن عباد قد خرج فلا تتربص ساعة واحدة ، وانج بنفسك إلى القلعة وادخل البحر بما قدرت عليه من ذخائرك ؛ إذ لا مطمع لك في البقاء بعده[٤] ، بعد ذلك رجع الامـــير يوسف الى لورقة وترك اربعة آلاف مرابطي بقيادة القائد داوود بن عائشة للمحافظة على منطقة مرسية ، وتحرك أمراء الاندلس كل إلى بلده ، وسار الامير يوسف الى المرية ثـم الجزيرة الخضراء ، ثم عبر عائدا الى المغرب ، وقد تغيرت نفســه على أمراء الاندلس[٥] .

---

[١]**المرية :** مدينة محدثة بالأندلس ، أمر ببنائها أمير المؤمنين ، الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م) ، وفيها يقول الشاعر :

قالوا المرية صفها ‏ ‏ ‏ فقلت نط وشيــح
وقيـــل فيها معاش ‏ ‏ ‏ فقلت إن هب ريح

وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها ، وهي اليوم أشهر مراسي الاندلس وأعمرها وعليها سور حصين منيع بناه أمير المؤمنين عبدالرحمن ، والبحر بقبلي مدينة المرية ، وقصبتها بجوفيها ، وكانت المرية في أيام الملثمين مدينة الاسلام وكان بها من كل الصناعات كل غريبة ، وكان بها من فواكهه واديها الكثير الرخيص ؛ وكانت تقصدها مراكب التجار من الاسكندرية والشام ولم يكن بالأندلس أكثر من اهلها مالا . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٨٣ ، ١٨٤ .

[٢] ابن عذاري ، البيان ، تح : ليفي بروفنسال : ج٣/ ١٦٧ ، ١٦٨ .

[٣] عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٣٣٦ .

[٤]خليفة ، انتصارات يوسف بن تاشفين : ١٩٤ .

[٥] ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٣ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٧٠ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : ٣٣٧ .

لقد كانت حملة حصن لييط اكبر درس للأمير يوسف بن تاشفين لكشف الطيب من الخبيث في الجزيرة ، ومن نتائج هذه الحملة أن أمير المسلمين ازداد يقيناً بأن أمراء الطوائف غير مخلصين في جهادهم ، وهم غير معنيين بمصير المسلمين في الاندلس، وإنّما كان همهم وعنايتهم تدور في فلك المحافظة على عروشهم ، وما يؤمن لهم الظهور بمظهر الملوك والأمراء وتحت أيّ راية كانت ، هذا ما أكده الامير يوسف عند رجوعه الى مراكش فيذكر عبدالواحد المراكشي[١] فيقول : ((ورجع أمير المسلمين إلى مراكش وفي نفسه من أمر الجزيرة المقيم المقّعد ؛ فبلغني أنّه قال لبعض ثقاته من وجوه أصحابه : كنت أظن أنّي قد ملكت شيئاً ، فلما رأيت تلك البلاد صغُرت في عيني مملكتي ؛ فكيف الحيلة في تحصيلها)) .

رابعا: العبور الثالث للمرابطين الى الاندلس سنة (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) :

ففي أوائل سنة (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) أعد الأمير يوسف بن تاشفين عدته للجواز إلى شبه الجزيرة للمرة الثالثة ، بعد أن فرغ من تفقد احوال بلاد المغرب ومتابعة سيرة الولاة والقضاة والتأكد من تمسكهم بمنهاج الكتاب والسنة ، كما اعتاد أن يفعل ذلك في كل سنة خدمة للامة وتنفيذا لأوامر الدين وتحريا للعدل وتأدية الحقوق[٢] ، ولم يكن جوازه في تلك المرة تلبية لدعوة أو استغاثة من أحد ، من أمراء الأندلس ، كما حدث في المرتين السابقتين لكنه انتهى إلى قرار بالغ الخطورة هو الاستيلاء على الأندلس ، وقد اختلفت الروايات في تصوير البواعث ، التي حملت الأمير يوسف على اتخاذ هذا القرار ، وثمة عدة أمور دفعت الأمير يوسف على هذا القرار ، منها أن الأمير قد تأثر منذ البداية بما شهده من اختلال أحوال أمراء الطوائف ، وضعف عقيدتهم الدينية ، وانهماكهم في مجالي الترف والعيش[٣] ،الناعم ، وما يقتضيه ذلك من إرهاق لشعوبهم بالمغارم الجائرة ، وثمة بواعث اخرى منها شعورهم بتغير الأمير يوسف عليهم الأمر الذي دفع ملوك الطوائف إلى قطع المدد والمؤن

---

[١] المعجب : ١٩٩ .

[٢] خليفة ، انتصارات يوسف بن تاشفين : ١٧٦ .

[٣] ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٣ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام : تح : احمد مختار العبادي ؛ محمد ابراهيم الكتاني : ق٣ / ٢٥٠ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٧١ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج٢/ ٤٨ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي :٣٣٧ ، ٣٣٨ .

عن عساكره ومحلاته التي تركها بالأندلس ، فساءه ذلك ، ومنها ما وقف عليه الأمير يوسف من رجوع بعضهم إلى مصادقة الفونسو ملك قشتالة وممالأته ، بل واستعدائه على محاربة الأمير يوسف نفسه ، وإمداده لذلك بالاموال والهدايا ، وكان هذا بالذات موقف عبدالله بن بلقين صاحب غرناطة ، ثم كان فيما بعد موقف المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، ثم أن الأمير يوسف لم يتخذ قراره الخطير بافتتاح الأندلس فجأة ، ولكنه عمد إلى دراسته ومشاورة الزعماء والفقهاء في أمره ، وقد تلقى في ذلك فتاوي الفقهاء من المغرب والأندلس ، بوجوب خلع ملوك الطوائف ، وانتزاع الأمر من أيديهم ، بل تلقى مثل هذا الرأي من أكابر فقهاء المشرق ، وفي مقدمتهم الإمام الغزالي ، وأبي بكر الطرطوشي نزيل مصر[١].

وبعد أن تبين الأمير يوسف اتصال عبدالله بن بلقين بالفرنجة وصانعهم ودفع الجزية لهم ، ولم ينكر عبدالله نفسه هذه الصلة ، ولم يحاول أن ينفيها ، بل حاول أن يبرر موقفه بحجج واهية ملتوية[٢] ، كما أراد الامير يوسف أن يجعل من عبدالله بن بلقين أمير غرناطة عبرة لملوك الطوائف ، ليوقع الرعب في صفوفهم ويفت في عضدهم ، ولما قفل من غزو طليطلة عمد الى غرناطة فنازلها وكان صاحبها عبدالله بن بلقين ابن باديس بن حبوس قد صالح الاذفونش وظاهره على أمير المسلمين وبعث اليه بمال واشتغل بتحصين بلده[٣].

ولما انتهى أمير المسلمين الى غرناطة تحصن منه صاحبها عبدالله بن بلقين واغلق ابوابها دونه فحاصره أمير المسلمين نحو شهرين ولما اشتد عليه الحصار أرسل يطلب الامان فأمنه أمير المسلمين وتسلم منه البلاد فملكها وبعث بعبدالله وأخيه تميم بن بلقين صاحب مالقة الى مراكش مع حريمهما وأولادهما فأقاما بها واجرى عليهما الانفاق الى ان ماتا بها ، ولما خلع أمير المسلمين بني باديس وملك غرناطة ومالقة وما اضيف اليهما خاف منه المعتمد بن عباد وانقبض عنه ويقال : ان ابن عباد طمع في غرناطة وان أمير المسلمين

---

(١) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٣ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام : تح : احمد مختار العبادي ؛ محمد ابراهيم الكتاني : ق٣ / ٢٥٠ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٧١ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج٢/ ٤٨ ؛ عنان ، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي :٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(٢) عبدالله بن بلقين ، التبيان : ١٥٥ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٧١ .

(٣) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٣ .

يعطيه اياها فعرض له بذلك فاعرض عنه أمير المسلمين فخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عليه ، ثم سعى بينهما الوشاة فتغير عليه أمير المسلمين وعبر الى العدوة في رمضان سنة (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) ، ولما انتهى الى مراكش ولي على الاندلس قائده سير بن ابي بكر اللمتوني وفوض اليه جميع امورها كلها ولم يأمره في ابن عباد بشيء فسار القائد سير بن ابي بكر نحو إشبيلية وهو يظن ان ابن عباد اذا سمع به يخرج اليه ويتلقاه على بعد ويحمل اليه الضيافات على العادة فلم يفعل وتحصن منه ولم يلتفت اليه ! فراسله سير ابن ابي بكر أن يسلم اليه البلاد ويدخل في طاعة أمير المسلمين فامتنع ابن عباد فعند ذلك تقدم سيرالى حصاره وقتاله وبعث بعض[1] ، عساكر المرابطين حتى فتحها يوم الاربعاء ثالث صفر من سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) ، وقتل صاحبها المأمون بن المعتمد ثم فتح بياسة وأبدة وحصن البلاط والمدور والصخيرة وشقورة ، ولم ينقض شهر صفر حتى لم يبق لابن عباد بلد إلا وقد ملكه المرابطون ما عدا قرمونة وإشبيلية ثم ارتحل سير بن ابي بكر الى قرمونة فنازلها حتى دخلها عنوة زوال يوم السبت السابع عشرمن ربيع الاول من السنة المذكورة ، فاشتد الامرعلى ابن عباد[2] .

وطال عليه الحصار فبعث الى الاذفونش لعنه الله يستغيث به على لمتونة ويعده باعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد ان هو كشف عنه ما هو فيه من الحصار فبعث اليه الاذفونش قائده القومس في جيش من عشرين الف فارس واربعين الف راجل . فلما علم القائد سير بن ابي بكر بقدوم الفرنج اليه انتخب من جيشه عشرة الاف فارس من اهل الشجاعة والنجدة ، وقدم عليهم ابراهيم بن اسحق اللمتوني وبعثه للقاء الفرنج فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المــــدور فكانت بينهم حروب شديدة مات فيها خلق كثير من المرابطين ومنحهم الله النصر فهزموا الفرنج وقتلوهم حتى لم يفلت منهم الا القليل ، ثم شد سير ابن ابي بكر في الحصار والتضييق على إشبيلية حتى اقتحمها عنوة وقبض على

---

(١) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٤ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٧١ ، ٧٢ ؛الناصري ، الاستقصا : ج٢/ ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٤ ؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب : ج٢٣/ ٢٦٩ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٧١ ، ٧٢ ؛الناصري ، الاستقصا : ج٢/ ٤٨، ٤٩ .

المعتمد وجماعة من اهل بيته فقيدهم وحملهم في السفينة وبعث بهم الى أمير المسلمين بمراكش ، فامر أمير المسلمين بأرسال المعتمد الى مدينة اغمات فسجن بها واستمر في السجن الى أن مات به لأحدى عشرة ليلة خلت من شوال من سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)[١] . ورثاهم الاديب ابو محمد عبد المجيد بن عبدون (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) بقصيدته التي يقول في أولها :

الدّهرُ يفجعُ بعد العين بالأثرِ فما البكاءُ على الأشباح والصُور
أنهاك أنهاك لا آلوك معذرةً عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهرُ حربُ وأن أبدا مُسالمة والبيضُ والسمرُ مثلُ البيض والسمُر[٢] .

وهي قصيدة غريبة في موالها وموضوعها عدد فيها اهل النكبات ومن عثر به الزمان بما يبكي منه الجماد وتستشرف لسماعه الانجاد والوهاد . لكن المعارك لم تنتهي بسقوط إشبيلية ، واستمرت المقاومة بقيادة ولدي المعتمد المعتد في مارتلة[٣] والراضي في رندة[٤] ، وقد كان ثباتهما في المقاومة سببا للتضيق على ابيهما في محبسه واثقاله بالحديد واعناته بالوان من المشقات لا طاقة له باحتمالها ، حتى اضطر سوء ما يلقى الى الكتابة لهما يدعوهما الى الاستسلام برًّا به وعطفا عليه ، كما انّ ولدا ثالثا للمعتمد واسمه عبدالجبار ــ ثار بأركش[٥] ـ معقل كان مجاورا لإشبيلية ، فسار نحوه القائد سير بن ابي بكر فعل ولده ــ ويتظلم ويتوجع ويتألم ويقول : عرض بي للمحن ، ورضي لي ان امتحن ،

---

[١]ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٨/ ٤٦٩ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٢٠٣ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٤ ، ١٥٥ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج٢/ ٤٨ ، ٥٠ .
[٢] ابن خاقان ، قلائد العقيان : م١/ ١٢٣ ؛ ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ١٠٣ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج٢/٥١ .
[٣] **مارتلة :** مدينة على نهر بطليوس بجزيرة الاندلس ، ومنها الزاهد موسى بن عمران الماترلي . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٧٥ .

[٤]**رندة :** مدينة بالأندلس من مدن تاكرنا ، وهي مدينة قديمة بها آثار كثيرة وهي على نهر ينسب اليها ، وبقرب مدينة رندة عين تعرف بالبراوة ، تجري بأول الربيع الى آخر الصيف . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٧٩ .

[٥]**أركش** : حصن بالاندلس على وادي لكه ، وهي مدينة أزلية قد خربت مراراً وعمرت ، وعندها زيتون كثير . الحميري ، صفة جزبرة الاندلس : ١٤ .

، فما زال يقاومه أشهرا وهو ممتنع بحصنه لا يبلغ منه مبلغا ، وجعل المعتمد يشـــتكي من وواله ما ابكي الا انكشاف من اتخلفه بعدي ، وقد لقي هذا الثائر مصرعه ، كما لقي اخواه بمارتلة ورندة ، وللمعتمد شعر كثير في رثاء ولديه المأمون والراضي منه :

يقولون صبر ، لا سبيل إلى الصبر سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري

هوى الكوكبان الفتــح ثم شقيقه يـزيدُ ، فهل بعد الكواكب من صبر[١]

ثم ملك المرابطون بعد ذلك ما بقى من بلاد الاندلس الى ان خلصت لهم ولم يبق لملوك الطوائف بها ذكر . وفي ذلك يقول ابن أبي زرع[٢] : ((وفي سنة خمس وثمانين أمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائده ابن عائشة أن يسير الى دانية ، فسار اليها وملكها وملك شاطبة ، وكان صاحبها ابن منقذ ، ففــر عنها ودخلها المرابطون ، ثم سار قائده ابن عائشة الى مدينة شقورة فملكها ، وسار الى بلنسية وكان بها القادر بن ذي النون ، والحاكم فيها جمع من النصارا يجبون خراجها ، ففر عنها ودخلها القائد ابن عائشة وكتب بالفتح الى أمير المسلمين ـ وفي سنة ست وثمانين وأربعمئة فتح المرابطــون مدينة أفراغ من بلاد شرق الاندلس ، ولم يزل أمير المسلمين يبعث جيوشه وقواده اليها برسم الجهاد للروم وخلع أمرائها المتغلبين عليها حتى ملك جميع بلاد الاندلس واستوثق له أمرها .)) .

فبسط المرابطون لواءهم على املاك الامراء بالأندلس ، وتم لهم تحقيق ما ارادوا من توحيد الجبهة الاسلامية بتوحيد الشعب الاندلسي بزعامتهم ، بعد أن اخفقوا في التأليف بين ملوك الطوائف والجمع بين صفوفهم في جبهة متحدة .

خامسا : العبور الرابع للمرابطين الى الاندلس سنة (٤٩٦هـ/ ١١٠٣م) :

في سنة (٤٩٦هـ/ ١١٠٢م) ، كان جواز الامير يوسف بن تاشفين ، برسم التجوال في الاندلس ، والنظر في مصالحها ، وكان معه ابناه الاميران ابو طاهر تميم ، وابو الحسن علي ، ولي عهده ، وكان ابو الحسن علي اصغر سنا ، ومع أن عليا كان أصغر من أخيه فقد اختاره الامير يوسف لولاية عهده إذ كان يتفوق على أخيه تفـــوقا كبيراً في المـــواهب والخلال اللازمة لحكم شعوب وأمم كثيرة ، ولما جال في بلادها ، وتطوف على اقطارها ،

---

[١] عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٢٠٢ ، ٢٠٤ .
[٢] الأنيس المطرب : ١٥٦ .

شبهها بعقاب رأسه طليطلة ومنقاره قلعة رباح ، وصدره جيان ، ومخالبه غرناطة ، وجناحه الايمن بلاد الغرب ، وجناحه الايسر بلاد الشرق[١] .

وسرعان ما كشف الامير يوسف عن قصده في العبور الى الجزيرة ، وذلك أنه بعد أن وقف على حسن سير الإدارة في الولايات ، وشكر القادة والولاة على غيرتهم في تنفيذ أوامره ؛ دعا القادة والولاة إلى الاجتماع في قرطبة ، وكانت قد عادت يومئذ قاعدة الحكم في اسبانيا المسلمة ؛ ودعى الى هذا الاجتماع الحافل أيضا كبراء الاندلس في مختلف الولايات ، وكذلك زعماء القبائل المغربية التي تدين بالطاعة للأمير يوسف ؛ وأفضى الامير يوسف إلى الجماعة بعزمه في تعيين ولده الأصغر علي لولاية الحكم من بعده وأمرهم أن يؤدوا إليه يمين الولاء والطاعة باعتباره أميرهم في المستقبل ؛ وعهد الامير يوسف إلى كاتبه الوزير الفقيه أبو محمد بن عبدالغفور ، وكان رحمه الله علم بالبلاغة في عصره ، بوضع وثيقة تتضمن شرح النقاط الاساسية المتعلقة بولي العهد وما يسند إليه من قسط في الحكم ؛ وأهم ما جاء فيها ،هو أن[٢] أمير المسلمين ناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين بعد أن أنعم النظر والتدبر في كلّ شي ألفى ابنه الأصغر أبا الحسن عليا أكثر أهلية وصلاحية للاضطلاع بجليل الأمور وخطيرها وراه أكثر اقتداراً على تلقي أعباء الحكم ، ومن ثم فقد اثره واصطفاه وعينه ورفعه إلى مقام الملك ، وأولاه العرش وذلك بعد أن تشاور من قبل مع أعلم الناس وأعقلهم وأقدرهم في انحاء المملكة ، وبعد أن اتفقوا جميعا مع زعماء المملكة وقادتها على الاعتراف بملء حريتهم دون إكراه ما ، بأنّهم راضون عن هذا الأمير النابه وأنّهم يقبلونه ويبايعونه مختارين ، ما دام والده قد اعتزم ذلك وأقرّه ، وهم يقبلون عليّاً ويقرونه على هذا الشرط دون سواه ؛ وهو أن يكون والده أمير المسلمين قد اختاره حقا وراه أهلا لتبوء الملك . وأما فيما يختص بالأندلس فقد أشترط الأمير يوسف على ولي عهده علي حسبما ذكر مؤلف أندلسي[٣] : ((وكان من الشروط في تقديمه للعهد التي اشترطها عليه أبوه ترتيب سبعة عشر ألف فارس بالأندلس ، موزعة على

---

[١] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٧٧ ، ٧٨ ؛ فكري ، احمد ، قرطبة في العصر الاسلامي تاريخ وحضارة ، مؤسسة شباب الجامعة ــ الاسكندرية ــ ١٩٨٣م : ١٣٤ .
[٢] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٧٨ .
[٢] الحلل الموشية : ٨٠ .

أقطار معلومة ، يكون منها بإشبيلية سبعة آلاف فارس ، وبقرطبة ألف فارس ، وبغرناطة ألف فارس ، وفي الشرق أربعة آلاف فارس ، وباقي العدد على ثغور المسلمين للذب والمرابطة في الحصون المصاقبة للعدو)) . ووضع الكاتب وثيقة أخرى جاء فيها أن الجماعة كلّها أقرت هذا وشهد على ذلك الحضور بالأصالة عن أنفسهم وبالنيابة عن الغائبين ، وبعد أن أقرّ الأمير الشروط الموضوعة لولاية العهد وقبلها أمضى له الكاتب أشهادا بذلك وكان إعلان هذه البيعة في شهر ذي الحجة سنة (٤٩٦هـ/ ١١٠٣م)[١] .

ثم خاطب سائرأهل مملكته لمبايعة ولده علي[٢] . وأما فيما يختص بالأندلس فقد أمر الأمير يوسف ولده عليا بما يأتي : ألا يعين في مناصب الحكام والقضاة في الولايات والحصون والمدن إلا المرابطين من قبيلة لمتونة ، وأن يحتفظ في الاندلس بجيش دائم الأجر من المرابطين قوامه سبعة عشرألف فارس يطعمون في المدن بلا مقابل ويوزعون كما يأتي : أربعة آلاف في ولاية سرقسطة وسبعة آلاف في إشبيلية وثلاثة آلاف في غرناطة وآلف في قرطبة والباقي وقدره آلفان يحتلون قلاع الحصون كحامية[٣] .

ويحسن أن يعهد إلى مسلمي الاندلس بحراسة الحدود النصرانية ومحاربة النصارى فهم أكثر خبرة ودربة على مقاتلة النصارى من المغاربة ، ويجب لإذكائهم الاندلسيين أن يُكافأ المتفوقون في الحرب منهم بالخيل والسلاح والثياب والمال ، ونصح الأمير يوسف أخيراً أن يعامل أهل قرطبة المعروفين بالكبر وحب الشغب باللين والرفق ، وأن توثق أواصرالصداقة مع بني هود أمراء سرقسطة وهم طليعة الأندلسيين في محاربة النصارى[٤].

ولما انتهى الأمير يوسف بن تاشفين من تنظيم شؤون الاندلس عاد الى المغرب حيث تولى الحكم بضعة أعوام أخرى وذلك بالرغم من سنّه المتقدمة وضعفه المتزايد ؛ وأخيرا بلغ به ضعف الشيخوخة مبلغه فتوفى في قصره بمراكش في المحرم سنة(٥٠٠هـ/١١٠٦م) وقد بلغ من العمر نحو مائة عام بعد حياة طويلة وحكم حافل بجلائل الاعمال، قضى منها

---

(١) أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ١١٨ .

(٢)ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبارغرناطة ، تح : محمد عبدالله عنان ، ط١ ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٩٧٤م : ج٢/٥٢٠ .

(٣) مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ٨٠ .

(٤)أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ١١٩ .

في الملك سبعة واربعون سنة ، كانت من أسعد أيام المغاربة ، ولم يبق في عصره نفاق ولا ظلم ولا سرقة ، فكانت المرأة تسير وحدهـــا حاملة الذهب في جميع أقطار المغرب ولاتجد من يعترض سبيلها[١] . ((فلما قربت وفاته أوصى ابنه وولي عهده أبا الحسن عليا وصايا : الوصية الاولى : ألا يهيج أهل جبل درن (الاطلس الكبير) ومن من ورائه المصامدة وأهل القبلة ، الثانية : أن يهادن بني هود بالأندلس ، وأن يتركهم حائلين بينه وبين الروم ، الثالثة : أن يقبل من محسن أهل قرطبة ، ويتجاوز عن مسيئهم ، وقد مات في مستهل شهر محرم سنة خمسمائة ، ودفن بحضرة مراكش))[٢].

وقد وصف ابن الخطيب[٥] الأمير علي بن يوسف بقوله : ((وكان الأمير علي بن يوسف ملكاً كبيراً فاضلاً معتدلاً ، عظم في أيامه الملك واتسق العز ، وملك جميع بلاد المغرب الى بجاية الى الارض الاندلسية والجزر الجوفيـــة وبلاد القبلة بأسرها وخطب له على اكثر من ألفي منبر ، وسلك طريق أبيه في أموره كلها ، وامتنع عليه ابن أخيه يحيى بمدينة فاس ثم انقاد له فاستقام أمره وكانت له على الروم وقائع كبيرة منها وقعة اقليج[٣]قتل فيها ولد الطاغية الاذفونش ، وكانت ثانية الزلاقة ، وجاز الى الاندلس برسم الجهاد ، ففتح مدينة طلبيرة[٤]عنوة ودخل جملة من حصون طليطلة وحاصر مدينة طليطلة شهرا))

---

[١] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٩٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٧/ ١٢٣ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : تح : احسان عباس : ج٤/ ٤٨ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٥٧ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية :**٨٣** ؛ كنون ، عبدالله ، مشاهير رجال المغرب في العلم والادب والسياسة ، ط١ ، مركز التراث الثقافي المغربي ـ دار ابن حزم ـ الدار البيضاء ـ ٢٠١٠م : ج٣/ ١٤٧٩ .

[٢] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية :**٨٢** ، ٨٣ .

[٣] **وقعة اقليج :** تقع أقليج أو أقليش شرق طليطلة وكانت الوقعة سنة (٥٠١هـ/ ١١٠٨م) وتسمى ايضا بوقعة الامراء السبعة لأنه ؛ قتل فيها سبعة من اقطاب الدولة القشتالية الى جانب ولي عهدها دون سانشو . ابن الخطيب ، اعمال الاعلام :تح :احمد مختار العبادي : ق٣ / هامش ص٢٥٣ .

[٤] **طلبيرة :** بفتح أوله وثانيه ، وكسر الباء الموحد ، ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ، وراء مهملة : مدينة بالأندلس ، من اعمال طليطلة ،كبيرة قديمة البناء على نهر تاجة وكانت حاجزاً بين المسلمين والفرنج ، وكان قد استولى عليها الخراب ، فاستجدها الخليفة عبدالرحمن الناصر ولطبيرة حصون و عدّة نواحي ، وينتسب الى طلبيرة عدد كبير من أهل العلم ، مما يدل على عمرانها العظيم . ياقوت الحموي : معجم البلدان : ج٤/٣٧، ٣٨ ؛ ارسلان ، شكيب ، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ (د٠ت) :ج٢/ ٤٣ .

[٥] اعمال الاعلام :تح :احمد مختار العبادي : ق٣ / ٢٥٣ ،٢٥٤ .

الفصل الثاني

النزاعات الداخلية في الأندلس في عصر المرابطين

المبحث الأول : الثورات في وسـط الأندلس
أولاً : ثورة مدينة قرطبـــة سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م) : ثالثا : الثورة في مدينة جيان :
ثانياً : ثورة العامة بقرطبة سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) :

المبحث الثاني : الثورات في غرب الأندلس
ــ ثورة ابن قسي والمريدين في سنة(٥٣٩هـ/١١٤٤م) : ــ أصل حركة المـــــريدين :
ــ التصوف النشأة والتطور : ــ الصوفية في الاندلس في القرن السادس الهجري :
ــ مرحلة مطاردة السلطة المرابطية للمريدين : ــ أندلاع الثورة :
ــ أسباب فشل حركة المريدين

المبحث الثالث : الثورات في شرق الأندلس أولاً : ثورة بلنسية : ثانياً : ثورة مرسية :

المبحث الرابع : الثورات في جنوب الأندلس

اولاً : ثورة غرناطة : ثانيا : ثورة مالقة : ثالثا : ثورة رندة :

رابعاً : ثورة شريش وأركش : خامساً : ثورة قادش

المبحث الخامس : الصراع بين المرابطين والموحدين على السلطة

ــ العبور الأول للموحدين الى الاندلس سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) :

ــــ تمرد الثوار في الاندلس على السلطة الموحدية :

ــ أسباب ضعف المرابطين وانهيار دولتهم :

المبحث الأول : الثورات في وسط الأندلس (ثورة القضاة)

أولاً : ثورة مدينة قرطبة سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م) :

احتلت مدينة قرطبة مكانة كبيرة في بداية عصر المرابطين بين مدن الأندلس ، بالرغم من أن مدينة غرناطة كانت الحاضرة الأثيرة لدى المرابطين ، وفي مدينة قرطبة دعا الأمير يوسف بن تاشفين شيوخ لمتونة وأمراءها وفقهاء المرابطين وقادتهم ، وتلا عليهم عقد البيعة لابنه علي ، وانتهى الأمر بتوقيعهم على عقد البيعة وتعهد على بن يوسف أمام الحاضرين بالتزام شروط العقد ، كان ذلك في ذي الحجة سنة (٤٩٦هـ/ ١١٠٢م)[١] . ومنذ ذلك الحين أصبحت قرطبة مركز الثقل لدولة المرابطين في الأندلس ، وفيها كان يقيم ولي العهد ، وظلت تتمتع بهذه المكانة المرموقة إلى سنة (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م) عندما وقعت فيها حادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين[٢] للإمام أبي حامد الغزالي ، فمن المعروف أن المذهب المالكي كان المذهب الرسمي لدولة المرابطين ، فلما وصل كتاب الإحياء إلى المغرب والأندلس نظر فيه رجال الفقه والدين ، فرأوه محشواً بما لاعهد لهم به من أراء المتكلمين ، كما أن الإمام الغزالي ذكر في هذا الكتاب نزعات الفقهاء في دراساتهم الفقهية وحرصهم على الدنيا ، وطمعهم في الحصول على المناصب الرفيعة[٣] ، فكان من الطبيعي أن يسخط فقهاء المرابطين على آراء الإمام الغزالي

---

(١) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب : ١٦٥ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الأعلام : تح : ليفي بروفنسال : ٢٤٧؛ ابن الخطيب ، الإحاطة : ج٢/ ٢٢٠ ، ٢٢١ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ــ الإسكندرية ــ ١٩٩٧م : ج١/ ١٤٢، ١٤٣ .

(٢) **كتاب إحياء علوم الدين** : للإمام أبي حامد محمد الغزالي الشافعي المتوفي بطوس (٥٠٥هـ/ ١١١١م) ، وهو من أجل كتب المواعظ واعظمها حتى قيل فيه انه لو ذهبت كتب الاسلام وبقى الأحياء لا غنى عما ذهب وهو مرتب على اربعة أقسام ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات في كل منها عشرة كتب ، كما عرف عن الكتاب أنه صوفي وروحي ، ويسير على منهج فلسفي ينكرها المالكية ، والكتاب يسير على المذهب الشافعي ، وقال الإمام الذهبي : أما ((الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير لولا ما فيه من أداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية ...)) . الذهبي ، الامام الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، سير اعلام النبلاء ، شعيب الأرنؤوط ، ط٤،مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٩٩٦م : ج١٩/ ٣٣٩ ، ٣٤٠ ؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله ، (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م) ، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ، دار أحياء التراث العربي ــ بيروت ــ (د٠ت) : ج١/ ٢٣ .

(٣) عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٢٣٧ ؛ مجهول ، بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة والوراقة ــ الرباط ــ١٩٧٢م : ٣٤ ؛ ليفي بروفنسال ، - الاسلام في المغرب والاندلس : ترجمة : السيد عبد العزيز سالم ؛ محمد صلاح الدين حلمي ، القاهرة ــ ١٩٥٨م: ٢٥٢ .

فكان أبو القاسم بن حمدين[1] قاضي قضاة قرطبة من أشد الفقهاء إسرافا في ذلك ، حتى أنه قال بتكفير من قرأ كتاب الإحياء ، الأمر الذي حدى بالقاضي ابن حمدين ومعه فقهاء قرطبة برفع الأمر إلى الأمير علي بن يوسف ، وأجمعوا على ضرورة جمعه وأحراقه ، وقد تم إحراق نسخ عدة من الكتاب بقرطبة في الميدان الصغير أمام الباب الغربي من أبواب الجامع في محضر من الفقهاء في بداية سنة (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)[2] ، وكان هذا العمل استجابة لطلب ابن حمدين دون مراعاة ما كان قائماً بين الإمام الغزالي وبين الأمير يوسف بن تاشفين من المودة والمكاتبات التي جرت بينهما ، وثناء الإمام الغزالي على الأمير يوسف بن تاشفين ، حتى أنه هم بزيارته ، ووصل إلى مدينة الإسكندرية في طريقه إلى المغرب إلا أنه علم بوفاة الأمير يوسف فعاد إلى بلاده[3] . وكان الأمير علي بن يوسف لا يقطع في أمر من أمور دولته دون مشاورة الفقهاء ، ولذلك ازداد نفوذهم في عهده وعظمت منزلتهم وسمت مكانتهم ، وهذا النفوذ الزائد الذي تمتع به الفقهاء في زمنه إنما هو نتيجة طبيعية ترجع إلى طبيعة دولة المرابطين منذ نشأتها الأولى ، فإليهم يرجع الفضل في قيام هذه الدولة ، إذ كان الأمام عبدالله بن ياسين ورفاقه أول من أختط سياسة هذه الدولة ، وقد سموا في نفوس المغاربة وارتفعوا في نظرهم إلى مرتبة الزعماء[4] .

وبالرغم من قرار احراق الكتاب كان شبه اجماعي في المغرب والأندلس ، إلا أن نفراً من الفقهاء المغاربة عارضوا ذلك أمثال علي بن محمد الجذامي البرجي المري

---

[1] **ابن حمدن** : هو **أبو** جعفر، حمدين بن محمد بن علي بن حمدين ، ينتمي إلى بيت عربي عريق ، وقد تلقى العلم بقرطبة واشتغل بسلك القضاء حتى وصل إلى منصب قاضي قضاة قرطة في شعبان سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) ، بعد مقتل قاضيها أبي عبدالله بن الحاج ، وقد اختلف ابن حمدين مع حكام المرابطين فعزل سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) وتعطل منب القضاء أكر من سنة فترك المرابطون اختيار القاضي للشعب الي لم يتردد في اختيار ابن حمدين ، فعين قاضياً للمرة الثانية سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١م) ، وظل يشغل هذا المنصب الخطير حتى قام بالثورة في أواخر سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) ، توفي بمالقة سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) . ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة : ج١/٢٣٥ .

[2] ابن القطان ، نظم الجمان : ج٦/ ٧٠ ،٧١ ؛ ابن عذاري ، البيان ، تح: احسان عباس : ج٤/ ٥٩ ؛ ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة : ج١/١٤٥ ، ١٤٦ ؛ شبانة ، محمد كمال ، الدويلات الاسلامية في المغرب ، ط١ ، دار العالم العربي ـ القاهرة ـ ٢٠٠٧م : ٤٦ .

[3] ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس : ١٠٦ .

[4] البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب : ١٦٤ ، ١٦٥ ؛ النباهي ، المرقبة العليا : ٩٧ ، ٩٩ .

(ت٥٠٩هـ/ ١٠١٥م) الذي أوجب تأديب كل من أحرق هذا الكتاب ؛ وكذلك أبو الفضل بن النحوي نزيل فاس وصاحب قصدية " المنفرجة " المشهورة ، وروي عن عالم أخر بناحية مراكش وهو عبدالله الرجراجي الأغماتي الأوريكي (ت قبل ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) أنه لما أفتى الفقهاء بمراكش بإحراق كتاب علوم الدين للغزالي ... سأل أبو محمد عن الذين أفتوا بإحراقه ، فكان كلما سمي له واحد منهم دعا عليه ... وظلت الدولة المرابطية طوال عهد الأميرعلي بن يوسف وولده تاشفين توجه اهتمامها إلى مصادرة كتب الإمام الغزالي[١] ، والحقيقة أن حملة الفقهاء على كتاب الأحياء ، لم تكن راجعة لأمور تتعلق بالعقيدة أو لأنه مخالف للدين في شيء ، بل كانت ترجع قبل كل شيء إلى ما ورد فيه من حملة لاذعة على علماء الفروع ، والتنويه بجهلهم ، وسخف مجادلاتهم السطحية ، ووصف الغزالي لهم بأنهم ((مجانين)) ، وكونهم يجهلون علم الأصول ، الذي ينوه الغزالي بأهميته وعظيم قدره . وقد سبب إحراق الكتاب في قرطبة إلى سخط أهلها على واليهم المرابطي[٢] ؛ لعل هذا السخط كان قائماً منذ بداية دخول المرابطين قرطبة ، عندما قتل المرابطون أميرها المأمون بن المعتمد بن عباد سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)[٣] ، ولكن أهل قرطبة أخفوا هذا السخط مدة ، إلى أن فاض بهم الأمر فكشفوا عنه بطريقة غير مباشرة في معاملاتهم لعمال المرابطين وذلك منذ السنوات الأولى لإمارة الأميرعلي بن يوسف ، ونستدل على ذلك من الرسالة التي وجهها الأمير علي بن يوسف إلى أهل قرطبة ، وكان لا يكف عن توجيه النصح لهم بالتزام الطاعة وعدم الخوض في أي شأن من شؤون بلدهم . عُرف أهل قرطبة بطبيعتهم الثائرة المتقلبة منذ أيام بني أمية ، إذ ثاروا على الأمير الأموي الحكم الربضي في سنتي (١٨٩هـ/٨٠٤م) و(٢٠٢هـ/ ٨١٧م) ، وهم الذين حركوا الفتنة الكبرى التي إطاحة بالخلافة الأموية ينظر خارطة شكل رقم (٣) ، وهم الذين انقلبوا على بني جهور وأيدوا المعتمد بن عباد ، ثم انقلبوا عليه بعد ذلك ، وهللوا لابن ذنون ، ثم اعلنوا من جديد ولاءهم للمعتمد بن عباد ، ثم رحبوا بالمرابطين ،

---

(١) عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ؛ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٧٨ ، ٧٩ ؛ حسين ، أسامة عبد الحميد ، فقهاء الدولة المرابطية وإحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، بحث منشور ، مجلة سر من رأى ــ العدد الأول ــ ٢٠٠٥م : م١/ ٩٤ .

(٢) عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٧٩ .

(٣) عبدالواحد المراكشي ، المعجب :١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠١.

الأندلس في عصرها الذهبي عصر الخليفة عبدالرحمن الناصر والحكم المستنصر (الخلافة الأموية) ـ صورة من الانترنيت



خارطة شكل رقم [٣]

ولذلك فأن أهل قرطبة لم يألفوا قط حياة الاستقرار والتمسك بالولاء لأمير أو حاكم عليهم ، ويبدو أن الأمير علي بن يوسف كان يستشعر وجود وميض نار تحت الرمـــاد ، إلى أن تفجرت الثورة في أواخر سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م) [١] .

فقد ذكر ابن الأثير[٢] أنه ((في هذه السنة ، وقيل سنة أربع عشرة كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين علي بن يوسف وبين أهـــل قرطبة ، وسببها أن أمير المسلمين استعمـــل عليهـــا أبا بكر يحيى بن رواد ، فلما كان يوم الأضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد أبي بكر يده إلى أمرأة فأمسكها فاستغاثت بالمسلمين فأغاثوها فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فأدركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر إلى الأمير أبي بكر فاجتمع اليه الفقهاء والأعيان فقالوا : المصلحة أن تقتل واحداً من العبيد الذي أثاروا الفتنة ، فأنكر ذلك وغضب منه وأصبح من الغد وأظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد . فركب الفقهاء والأعيان والشبان من أهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا إليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر وأحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة ، واتصل الخبر بأمير المسلمين فكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناته والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر إليهم سنة خمس عشر وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله أهلها قتال من يريد أن يحمي دمه وحريمه وماله ، فلما رأى أمير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا في الصلح فأجابهم إلى ذلك على أن يغرم أهل قرطبة المرابطين ما نهبوه من أموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم)) .

---

[١] سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة : ج١/ ١٤٦ .

[٢]الكامل في التاريخ : ج١٨٧/٩ ، ١٨٨ ؛ ينظر : النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) ، نهاية الارب في فنون الادب ، ط١، تح : عبدالمجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ٢٠٠٤م : ج٢٤/ ١٥١ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين :٨٢ ، ٨٤ ؛ أبو الفضل ، محمد أحمد ، شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥هـ ــ ٦٨٦هـ/ ١١٢١ ــ ١٢٨٧م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، دار المعرفة الجامعية ــ الإسكندرية ــ ١٩٩٦م : ٦٤ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة : ج١/ ١٤٣، ١٤٤ .

أن أهل قرطبة بحكم طبيعتهم وما تميزوا به من إباء وشمم لم يقبلوا تهديد المرابطين لهم وأثروا أن يمتنعوا داخل أسوار مدينتهم ، كما أنهم تأهبوا للقتال إذ اضطرّ الأمر إلى ذلك ذوداً عن الحريم والدماء والأموال ، كما أن الأميرعلي بن يوسف لم يشأ أن يقتحم المدينة عنوة وكان بإمكانه أن يفعل ذلك ولاسيما أنه كانت لديه الإمكانات لتحقيق ذلك ، ولكنه جنح للسلم حقناً للدماء وأثر أن ينهي الموضوع سلميا تجنبا لما قد يترتب عليه من نتائج قد تثير العصبية الأندلسية على البربر وتفضي إلى أمور لا يحمد عقباها ؛ ولذلك تقبل الأميرعلي وساطة الفقهاء وشفاعتهم لإنهاء المشكلة سلمياً . وانتهت المفاوضات بالاتفاق على أن يلتزم أهل قرطبة برد ما نهبوه من ديار المرابطين وحاميتهم(١) .

ويبدو أن أمير المسلمين توخا من هذا الحل السلمي أن يحل الوفاق محل العداوة والبغضاء ؛ ليتفرغ المرابطون في الأندلس لمهمتهم في الجهاد . ولاشك أن هذه الثورة التي قام بها أهل قرطبة ضد الحكم المرابطي ، كانت رد فعل لسياسة العنف والبطش التي مارسها المرابطون في حكمهم العسكري للأندلس ، فضلاً عن سياسة التقشف التي لم يعتاد عليها أهل الأندلس ، والتسلط الفكري الذي فرضه المرابطين على أهل البلاد . ويمكن أن نلتمس مما سبق أن المرابطين لم يوفقوا منذ أن امتد سلطانهم على الأندلس في أعقاب موقعة الزلاقة في إقامة حكما مدنياً ، فظل أهل الأندلس يعانون تسلطهم وغلظتهم ، إذ كانت حاميات المرابطين تعامل المدنيين من الأهالي بجفاء وغلظة ؛ الأمر الذي أثار نقمة هؤلاء المدنيين وحقدهم عليهم ، وفضلاً عن ذلك لم يغب عن أذهان أهل الأندلس الفتنة البربرية الغاشمة التي طحنت الأندلس طخناً في أعقاب سقوط الخلافة الأموية بقرطبة .

(١)ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ج١٨٨/٩؛ النويري ، نهاية الإرب في فنون الأدب : ج١٥١/٢٤ ؛ أبو الفضل ، شرق الأندلس في العصر الإسلامي : ٦٤ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة : ج١/ ١٤٤.

ثانياً : ثورة العامة بقرطبة سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) :

لم تكن ثورة قرطبة سنة (٥١٤هـ/ ١١٤٤م) خاتمة الثورات على حكم المرابطين ، فقد تبعتها ثورة أخرى بعد مضي عشرين سنة على الثورة الأولى ، وذلك عندما امتدت نيران الثورة الصوفية إلى قرطبة ، رحب أهلها بهذه الثورة لا بقصد التخلص من حكم المرابطين فحسب ، وإنّما اشباعاً لطبيعتهم الثائرة المتقلبة ، ففي رمضان سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) ثار العامة في قرطبة على الأمير أبي عمر اللمتوني ، واستطالت الأيدي لضعف قاضيها إذ ذاك أحمد بن رشد (الحفيد) (ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) وخلعوا طاعة المرابطين بعد أن خرج أبو زكريا يحيى بن غانية المسوفي كبير قواد المرابطين لمواجهة الثوار في النواحي الأخرى ، واتفقوا على مبايعة القاضي أحمد بن حمدين ، الذي كانت نفسه تضطرم بأطماع كثيرة ، فنادى بنفسه في المسجد الجامع أميراً على قرطبة وتلقب بأمير المسلمين وناصرالدين[١] ، والمنصور بالله[٢] . وطارد أهل قرطبة المرابطين الموجودين بالمدينة ، واستباحوا دورهم ، فلما بلغ ابن غانية ذلك ، عاد أدراجه مسرعاً بعد أن فك حصار المريدين[٣] بلبلة[٤]، وفي واقع الأمر كانت قرطبة منشقة على نفسها فبعض أهلها كانوا يؤيدون ابن حمدين ويقرون برئاسته ، والبعض الأخر مازال

---

[١] ابن الخطيب ، اعمال الأعلام : تح : ليفي بروفنسال : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ؛ ليفي بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس : ٢٥٢ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة : ج١/١٤٥ ، ١٤٦ .

[٢] ابن الآبار ، التكملة : ج١/ ١٠٠ ، ١٠١ برقم (٢٨٧) ؛ النباهي ، ابو الحسن بن عبدالله بن الحسن المالقي الاندلسي ، (ت القرن الثامن الهجري) ، تاريخ قضاة قرطبة والمسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تح : لجنة احياء التراث العربي ، ط٥ ، دار الافاق الجديدة ــ بيروت ــ ١٩٨٣م : ١٠٣ .

[٣] **المريدون** : هو لقب يطلق في الاندلس على أتباع شيوخ الجماعات الصوفية المرابطة التي كثرت إذ ذاك ، ومصدر الحركة كلها المرية وشيخها الكبير ابو العباس بن العريف ، وباستثناء الشيخ الامام ابن العريف ابن العريف وكبار اتباعه ، تحولت بقية الجماعات الصوفية الى جماعات من المحاربين اللذين يطلبون الملك ، ومنهم ابن قسي وابن المنذر وابن حمدين ، وصرفوا همهم في محاربة المرابطين ، وقد قضى الموحدون على هذه الجماعات . ابن الابار ، الحلة السيراء:ج٢/ هامش٢٠٤ .

[٤] **لبلة :** هي مدينة قديمة غرب الأندلس ، وتعرف لبلة بالحمراء وفيها اثأر للأول كثيرة ، ولبلة مدينة حسنة أزلية ، ولها سور منيع ، وبها أسواق وتجارات ،كثيرة الزيتون والشجر ، وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ١٦٨، ١٦٩ ؛ البكري ، المسالك والممالك ، تح : جمال طلبة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ٢٠٠٣م : ج٢/ ٣٨١ .

على ولائه للمرابطين ، وهناك من كـــان له حرص على دعوة ابن قسي[١] ورغبة فيه ، وهم المريدون بالربض الشرقي وعلى رأسهم أبو الحسن بن عتيق بن مؤمن[٢] ، وفريق أخر كان يرى أن سيف الدولة بن هود[٣] خير ممثل للزعامة الأندلسية العريقة ، وكان سيف الدولة قد اتفق مع ملك قشتالة على تحريض أهل الأندلس على المرابطين ، وقد نجح في تحريض أهل قرطبة ، وإغرائهم بالوعود والعطايا للتخلي عن دعوة ابن حمدين ، وأمده ملك قشتالة بقوة من النصارى[٤] . ، فوصل إلى قرطبة قبل قوات ابن قسي التي انصرفت خائبة[٥] ، فهرع أهل قرطبة إلى تأييد سيف الدولة ، وقد سحرتهم نسبته الملوكية وثروته الطائلة ، فسهلوا له دخول قرطبة ،وخلعوا ابن حمدين فاضطر للفرار إلى حصن فرنجولش[٦] المنيع الواقع شمال غربي قرطبة ، وبقي فيه يترقب الأحداث ، بينما نودي

---

[١] **ابن قسي** : هو أحمد بن الحسين بن قسي ، أول الثائرين بالأندلس ، وهو رومي الاصل من بادية شلب نشأ مشتغلا بالأعمال المخزنية أي الحكومية ، ثم تزهد ــ بزعمه ــ وباع ماله وتصدق بثمنه ، وساح بالبلاد ولقي أبا العباس بن العريف بالمرية ، واقبل على قراءة كتب ابي حامد الغزالي في الظاهر ، وله كتاب (خلع النعلين) ، وابتنى رابطة بقرية جلة من قرى شلب ، محرضا على الفتنة وداعيا الى الثورة في الباطن ، ثم ادعى الهداية مخرقة وتمويها على العامة ، وتسمى بـ **(الإمام)** ، وابتدع كثيرا من الخوارق والشعوذة فافتتن به الجاهلون الذين اعتمد عليهم في ثورته ، وكان مقتله في سنة (٥٤٦هـ/ ١١٥١م) . ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ١٩٧ ، ٢٠٢ .

[٢] **أبو الحسن بن عتيق** : هو ابن الصوفي الكبير أبي بكر بن عتيق صديق ابن العريف والذي خصه بعدد كبير من رسائله ، وكان أبو الحسن قد تتلمذ على عدد من شيوخ المريدين منهم ابن يوسف ، وأبو الحسن بن القابلة وغيرهم ، وكان محدثا راوية ، حاضر الذكر للآداب والتواريخ وماهرا في علم الكلام والطب . ابن عبدالملك المراكشي ، الذيل والتكملة : ج٥/ ق١/ ٢٥٦ ، ٢٦١ .

[٣] **بن هود :** هو أبو جعفر أحمد بن عبدالملك بن هود الملقب بسيف الدولة المستنصر بالله كان ابن عماد الدولة أخر ملوك بني هود ، والمعروف بالمصادر الغربية باسم **Zafadola** ، أخر حكام سرقسطة من بني هود ، ولم يكن يحكم سوى مدة يسيرة ، إذ دب الخلاف بينه وبين أهل سرقسطة بسبب محالفته للنصارى وانضوائه تحت لوائهم ، وحينما شدد عليه المرابطون ، تنازل عن قلاعه الحصينة ومنها حصن روطة الذي كان يقيم فيه لالفونسو ريمندس ملك قشتالة ، توفي في شعبان سنة (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م) . ابن الخطيب ، إعمال الإعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ١٧٦ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

[٤]أشباخ ،، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٢٢٠ .

[٥]ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة : ج١/ ٢٣٥ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة في إخبار غرناطة : ج٤/٣٤٥ ، ٣٤٦ .

[٦]**حصن فرنجولش** : وهو حصن بالاندلس بقرب حصن المدور ، وفرنجولش مدينة جليلة كثيرة الكروم والاشجار ، وعلى مقربة منها معادن الذهب والفضة بموضع يعرف بالمرج . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٤٣ .

بسيف الدولة أميراً على قرطبة باسم المستنصر بالله[١] . لم يدم الأمر لسيف الدولة بن هود ، إذ سرعان مـــا تغير عليه القرطبيون ، فلم يطيقوا منظر الجند النصارى ، ولا عسف وزيره ابن الشماخ ، فهاجموا قصر الإمارة ، وفتكوا بوزيره وعدد كبير من أصحابه ، فلما رآى سيف الدولة ما قام به أهل قرطبة وما حل بأصحابه ، فرّ ناجيا بنفسه ، ولم يكن قد مضى عليه في إمـــارة قرطبة سوى اثني عشر يومـــا ، واتجه إلى مدينة جيان[٢] التي تغلب عليها القاضي يوسف بن عبد الرحمن بن جزي[٣] وتلقب بالرئيس ، وقد استطاع ابن هود الاستيلاء على جيان وطرد ابن جزي منها[٤] .

ولا شك أن الفريق الموالي للقاضي ابن حمدين كان له دور كبير في إثارة الناس على سيف الدولة وجنده النصارى ، كما أن أنصار ابن قسي كانوا يحاولون استدعائه للاستيلاء على قرطبة ، ولاسيما بعد أن رفع ابن غانية حصاره عن لبلة ، إلا أن قوات ابن حمدين كانت أسرع في الوصول إلى قرطبة ، فدخلها قبل قوات ابن قسي ، واستقام الأمر لابن حمدين فدون الدواوين ، وجند الأجناد ، ورسم الخطط ، وخاطب الثائرين بالأندلس ، فاستقلوا ببلادهم، فاعترفوا ببيعته ، واستمر حكمه أحد عشر شهرا ، ثم دبر حساده المكائد عليه ؛ فكتبوا إلى أبي زكريا يحيى بن غانية وهو في إشبيلية ، فتحرك إليهم في جمادي الآخرمن سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، والتقى بجيش ابن حمدين في احواز[٥]

---

[١] أشباخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٢٢٠ .

[٢] **جيان :** مدينة بالأندلس ، وهي كثيرة الخصب ، كثيرة العسل واللحوم ، رخيصة الأسعار ، وبها جنات وبساتين ومزارع ، وجيان في سفح جبل عال جدا ، وقصبتها محصنة ، وهي أغر المدن ، وفي داخلها عيون وينابيع منها عين ثرة عذبة ، وجامع جيان من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم ، وبكورة جيان أقاليم عدة . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس :٧٠ ، ٧١ .

[٣] **بن جزي :** هو يوسف بن عبدالرحمن بن جزي الكلبي ، من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحكم روي عن أبيه أبي بكر وعم أبيه أبي الوليد بن جزي وعن أبي الحسن بن الباذش ، وأبي الحسن بن أضحى ، وأبي بكر بن العربي ، وأبي الفضل عياض ، كان من أهل العلم والفضل والصلاح ، حدث عنه ابنه أبو العباس وغيره . ابن الآبار ، التكملة : ج٤/ ٢١٥ برقم (٦٠٢) .

[٤] ابن الخطيب ، اعمال الأعلام : تح : ليفي بروفنسال : ٢٥٣ ، ٢٥٩ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة : ج١/١٤٦ ، ١٤٧ .

[٥] ابن الخطيب ، إعمال الإعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٥٣ ؛ أشباخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٢٢٠ ، ٢٢١ .

استجة ، ونجح في إلحاق الهزيمة به ثم دخل ابن غانية قرطبة في الثاني عشر شعبان من سنة (٥٤٠هـ /١١٤٥م) ، وفر ابن حمدين إلى بطليوس[١] . بعد أن غـــادر ابن حمدين قرطبة بصحبة حلفائه النصارى لجأ إلى حصن فرنجولش ولبث فيه مدة قصيرة ، آملا أن يتطور الوضـــع في قرطبة لصالحه ، فلما يئس من تحول الأمور ، عبر البحر إلى المغرب وقابل عبد المؤمن طالبا منه معونة الموحدين ، فحصل على وعود غير أنها لم تنفذ . فعاد إلى الاندلس ونزل بمـــالقة في كنف حليفه القاضي أبي الحكم بن حسون[٢] ، وحاول من هناك أن يسترد سلطانه إلا أنّه أخفق ، فاستقر بمالقة بعد أن فقد الأمل في استعادة قرطبة وتوفي هناك سنة (٥٤٦هـ/ ١٠٩٣م) ، فلما استولى الموحدون على مالقة نبشوا قبره واخرجوا جثمانه وصلبوه[٣] . ودخل النصارى قرطبة ، وعاثوا في مسجدها الجامع ، وربطوا خيولهم في أروقته ، وأقاموا قداسا حافلا ، وتناولوا بأيديهم المصحف العثماني ، فأثاروا بذلك غضب أهل قرطبة ، ويبدو أن السبب في ذلك أن السليطين الفونسوا السابع ريموندس طالب ابن غانية بمدينة قرطبة كتعويض لمساعدته له ولكن ابن غانية صالحه على ان يعطيه بياسة[٤] وتحفاً كثيرة ، ويرسل إليه جزية سنوية ، فخرجوا منها بعد عشرة أيام من دخولها[٥] .

---

[١] ابن الخطيب ، إعمال الإعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٥٣ ؛ أشباخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ج١/ ٢٢٠ ، ٢٢١ .

[٢] **بن حسون** : هو الحسين بن الحسين بن عبدالله الكلبي ، ينتمي إلى أعرق البيوت علما ونسباً ، ولي قضاء مالقة سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م)عندما عمي قاضيها أبي محمد الوحيدي ، وفي ١٣ رمضان سنة (٥٣٩هـ/١١٤٥م) خطب لنفسه وثار بمدينته ، فحاصر المرابطين فسلموا له القصبة صلحاً ، ودخلها أبو الحكم بن حسون شعبان سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) ، واتخذها مقراً لحكمه وتلقب بالأمير ، وجمع في يده سلطة القضاء والإمارة وعين أخاه أبا الحسن قائد للجيش الذي استعان بملك قشتالة ليدفع له المال من أهل مالقة على شكل مغارم ، فنقموا عليه ، فاتفقوا مع قائد الحرس فقتل أبا الحسن ، وانتحر بن حسون ومات بعد يومين في ربيع الاول من سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م) فصلبت جثته . ابن الخطيب ، أعمال الاعلام : تح : ليفي بروفنسال : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

[٣]ابن الخطيب ، إعمال الإعلام، تح : ليفي بروفنسال : ٢٥٤ .

[٤]**بياسة** : مدينة بالأندلس ، مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة ، وهي ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات ، ومستغلات الزعفران بها كثيرة ، وفي سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) ملك الروم بياسة ، ومن أهل بياسة الأديب التاريخي أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم البياسي ، مصنف كتاب الإعلام لحروب الإسلام ، وغيره من تصانيفه . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ٥٧ ، ٥٩ .

[٥] ابن الخطيب ، إعمال الإعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٥٣ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس : ج١/ ١٤٨ .

ثم تشاور ابن غانية مع أهـــل قرطبة عن شخص يتولى رئاسة المدينة ، فاختاروا محمد بن عامر صاحب شلب ، ولكن الوالي الجديد اضطر إلى التخلي عن الإمارة ، فعين ابن غانية مكانه يحيى بن علي ابن عائشة ، وسار هو إلى غرناطة ، وكانت جيوش الموحدين بقيادة إبراهيم بن براز المسوفي قد اقتربت من قرطبة وحاصرتها ، فأضطر واليها المرابطي يحيى بن علي بن عائشة إلى تسليمها إليهم في سنة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) ، فدخلتها جيوش الموحدين[١] . كان لاضمحلال سلطـــان المرابطين بالمغرب وتفـــوق القوى الأندلسية عند اتحادها ، والعون الذي تلقاه ثوار الغرب من ملك البرتغال ، ثم العاصفة التي ينذر باضطرامها مقدم الموحدين إلى الأندلس ، قد حملت ابن غانية على الموافقة على الصلح مع النصارى والحصول على معاونتهم[٢] .

يتبين لنا مما سبق أن أمير المسلمين علي بن يوسف قد أتبع سياسة حكيمة مع الذين ثاروا ضد حكمه ، فلم يحاول القضاء على معارضيه بطريقة قمعية تعسفية ، بل كان يتبع معهم اسلوب الصفح لاحتوائهم وحقن الدماء ، وكان يميل الى تحقيق رغباتهم بتوليتهم على ولايات مهمة ، ثم يوجههم الى الجبهات الساخنة مع النصارى مثل سرقسطة وبلنسية ليستغل طاقاتهم لصالح الاسلام والمسلمين .

ثالثا : الثورة في مدينة جيان :

ثار القاضي عبد الرحمن بن جزي في مدينة جيان اقتداء بزملائه القضاة في قرطبة ، وغرناطة ، ومالقة ، ومرسية وغيرها ، ونجح في ثورته ، إذ استطاع أن يهزم الحامية المرابطية ، وأن ينشئ حكومة مستقلة ، غير أن حكمه لم يدم طويلا ، إذ غلبه على أمره سيف الدولة بن هود ، في أواخر سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٠م)[٣] .

---

[١] ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب : ١٩١؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس : ج١/ ١٤٨.

[٢] ابن الخطيب ، الإحاطة في إخبار غرناطة : ج٤/٣٤٦ .

[٣] ابن الخطيب ، إعمال الإعلام، تح : ليفي بروفنسال : ٢٥٩ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٢٠ ، ٣٢١ . ولم تذكر المصادر تفاصيل شافيه عن مدة حكمه .

المبحث الثاني : الثورات في غرب الأندلس

ـ ثورة ابن قسي والمريدين في سنة(٥٣٩هـ/١١٤٤م) :

ـ أصل حركة المريدين :

أن الأندلسيون شعب متقلب كثير الشغب ، ومع ذلك فلم يذكر عن المرابطين أنهم تعرضوا للأندلسيين في حياتهم العامة والخاصة ، إذ كان شغلهم الشاغل هو الجهاد في سبيل الله وطلب الدعاء من الأندلسيين وإخلاص النية ، والتضرع لله وسؤاله النصر والمعونة ؛ لعله يعفو عما انغمس فيه الأندلسيون من مفاسد(١) .

ويتضح لنا ذلك من خلال الرسائل التي أرسلها الأمير علي بن يوسف ، إلى ولاته إذ لم يغفل عن تذكيرهم ما بين الفينة والأخرى بضرورة التزام الحق والعدل في سياسة رعاياهم ، ومداومة السهر على مصالح الرعية ، ومنها الرسالة التي أرسلها إلى ولده الأمير تاشفين في سنة (٥٢٦هـ / ١١٣١م) التي يوصيه فيها بتقوى الله والعدل بين الرعية وممّا جاء فيها : ((... ثم اعتمد المعدلة في عباد الله فإنما أنت واحد منهم ، وكلنا عبيد الله إلى تراب انتسابنا والى الحساب مآبنا ، والناس كلهم سواء ... وإنما يتميزون بالمساعي والأعمال ...))(٢) .

وواقع الأمر أن العبء الأكبر من هذا التدني والانحدار يقع على العلماء ؛ لأنهم انشغلوا بالأمور الفرعية وأغفلوا الأساسية وطرقوا أموراً وتركوا أموراً أولى وأهم منها ، إذ أخذوا يؤلفون المؤلفات ، ويعقدون المناظرات ، ويقسمون التقسيمات في أمور لا ينبني عليها عمل كثير ، ولا جدوى منها ؛ بينما أغفلوا أموراً ما يصح لهم أبدا أن يتركوها أو يغفلوها ، وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي(٣) : ((ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم الفروع ـ أعني فروع مذهب مالك ـ فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب ، وعمل بمقتضاها، ونبذ ما سواها ، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله (ﷺ) ؛ فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان

(١) دندش ، عصمت عبداللطيف ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (٥١٠ ــ ٥٤٦هـ/ ١١١٦ــ ١١٥١م) ، ط١، دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ ١٩٨٨م : ٤٩، ٥٠ .

(٢)ابن عذاري ، البيان المغرب : تح : ليفي بروفنسال : ج٨٧/٢ ، ٨٨ .

(٣) المعجب : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

يعتني بهما كل الاعتناء، ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام ، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام ، وكراهة السلف له ، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه ، وأنه بدعة في الدين)) .

وكان منهج العلماء في ذلك الوقت التعمق في الفروع وأهمال الأصول ، ونتج عن هذا التوجه الخاطئ ، وذاك التعمق في الفروع ، وعزلة العلماء عن مجتمعاتهم ، إذ لم يعد يشغلهم حال الناس ، ولم يعودوا يعرفون شيئاً عمّا يدور في مجتمعاتهم ، وما يحل بها من مصائب وذنوب ، فتوسعت الهوة كثيرا بينهم وبين مجتمعاتهم وحدث لهم عزل خطير في العصر الأخير للمرابطين ؛ فكانت الخمور تباع وتشترى ، بل وتصنع في البلاد ، وكانت الضرائب الباهظة ــ غير الزكاة ـــ تفرض على الناس وبغير وجه حق ، وكان الظلم متفشياً ، وكانت النساء تخرج سافرات بلا حجاب ، والعلماء لا هون بالحديث عن المرجئة(١)، وغيرها من أمور الجدال العميقة والفرقة المقيتة(٢) .

وذكر الدكتور حسين مؤنس(٣) : وعندما استولى المرابطون على الأندلس عاد الفقهاء في ظلهم إلى ما كانوا عليه من النفوذ ، فقد كان الأمراء المرابطون متمسكين بالدين شديدي الإجلال لرجاله ، ووجدوا في الأندلس طلبتهم من الفقهاء ذوي العلم الغزير ، فرفعوهم إلى مراتب الرئاسة ، واستغل الفقهاء هذه الفرصة فبلغوا في ظلال المرابطين مطامحهم في التصدر والسلطان ، وأصبح القضاة في بعض النواحي حكام للأقاليم ، وأصبح الفقيه المشاور حاكمً مدنياً إلى جانب القائد المرابطي الذي كان حاكما عسكريا .

---

(١)**المرجئة** : ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء في الايمان وبالقدر على مذاهب القدرية المعتزلة : كعيلان ، وأبي شمر ، ومحمد بن شبيب البصري ، وهؤلاء داخلون في مضمون الخبر الوارد في لعن القدرية ، والمرجئة يستحقون اللعنة من وجهين ، وصنف منهم قالوا بالإرجاء بالأيمان، وبالجبر في الاعمال ، على مذهب جهم بن صفوان ، والصنف الثالث : خارجون عن القدرية والجبرية ، وهم فيما بينهم خمس فرق : اليونسية ، والغسانية ، والثوبانية ، والتومنية ، والمريسية . وإنما سموا مرجئة لانهم أخروا العمل عن الإيمان ، والإرجاء بمعنى التأخير . الأشعري ، أبي الحسن علي بن اسماعيل (ت٣٣٠هـ/٩٤١م) ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٥٠م : ج١/ ١٩٧ ؛ ينظر : البغدادي ، أبي منصور عبد القاهربن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م) ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تح: محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ــ القاهرة ــ ١٩٨٨م :١٧٨ .

(٢)المراكشي ، المعجب : ٢٤١ ؛ السرجاني ، راغب ، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ، ط١، مؤسسة اقرأ ــ القاهرة ــ ٢٠١١م : ٥٢٧ ، ٥٢٨ .

(٣) سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس: الوثيقة الثالثة / ٢٤ .

وبالرغم من هذا الانحلال نجد أن فريقاً من هؤلاء العلماء لجأ إلى الزهد[١] والتصوف[٢] بعيدا عما يجري في المجتمع من مفاسد ، وذلك طلباً للسلامة ، جرياً على عادة السلف الصالح من هذه الامة الذين كانوا في إقبال على الدين والزهد ، والإعراض عن الدنيا ومباهجها ، لعلمهم أن مآلها إلى الزوال ، وأن الآخرة خير وأبقى مصداقا لقوله تعالى : (**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فأولئك كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**)[٣] ، وقد كان قدوة المسلمين في ذلك رسول الله (ﷺ) ، الذي كان مدرسة في النسك والزهد نهل المسلمون منها ، وعلى هذا الأساس نرى أن الزهد قيمة من قيم ديننا الإسلامي ، دعا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية في مواضع عدة . ويبدو ماسبق أن أغلب هذه التعريفات اتفقت على أن التصوف عزوف عن الدنيا والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله[٤] ،

---

(١) **الزهد** : الزهد والزهادة والزهد ضد الرغبة ، ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة ، والزهد : ضد الرغبة والحرص على الدنيا ؛ والزهادة في الاشياء كلها : ضد الرغبة ، والتزهيد في الشيء وعن الشيء : خلاف الترغيب فيه ، ويقال : خذ زهد ما يكفيك أي قدر ما يكفيك ، كما وردت بمعنى الامتناع عن الشيء والإعراض عنه لاحتقاره ، ويقال : زهد في الدنيا : ترك حلالها مخافة حسابه ، وترك حرامها مخافة عقابه ، وقد زهد الانبياء والصحابة والتابعين في الدنيا . احمد بن حنبل ، احمد بن محمد بن هلال بن اسد ، (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م) ، كتاب الزهد ، تح : محمد جلال شرف ، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨١م : ٢٤ ؛ ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم (٧١١هـ/ ١٣١١م) ، لسان العرب ، تح : نخبة من العاملين بدار المعارف ، دار المعارف ـ القاهرة ـ (د. ت) : م٣/ ١٩٦ ، ١٩٧ ؛ ابن تيمية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام عبدالله الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) ، الزهد والورع والعبادة ، ط١، تح :حماد سلامة ؛ محمد عويضة ، مكتبة المنار ـ الزرقاء ـ ١٩٨٧م : ٥٠.

(٢) **التصوف** : الصوف للشاة ، والصوفة اخص منه ، ويقال أخذت بصوف رقبته ، ويقال أيضا : أعطاه بصوف رقبته ، كما يقال : أعطاه برمته ، وأصله من صاف أي عدل ، كالمضيق من ضاق . وصوف : الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح ، وهو الصوف المعروف ، والباب كله يرجع اليه ، يقال كبش أصوف وصوف وصائف وصاف ، ويقولون : أخذ بصوفة قفاه ، إذا أخذ بالشعر السائل في نقرته وهي ثقب القفا في الرأس . أما كلمة صوفية فهي كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة . الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت نحو ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ط٢ ، تح : احمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٩م : ج١٣٨٨/٤،١٣٨٩؛ ابن فارس ، ابوالحسن احمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) ، مقاييس اللغة ، تح : عبدالسلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٧٩م :ج٣/ ٣٢٢ ؛ المقري ، احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت بعد ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) ، المصباح المنير ، مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ١٩٨٧م : ج١/١٣٤.

(٣) سورة الإسراء: الآية: ١٩ .

(٤) الصابوني ، محمد علي ، النبوة والانبياء ، ط٣ ،مكتبة الغزالي ـ دمشق ـ١٩٨٥م : ٣٧ ؛ زعرب ، بهاء حسن سليمان ، أثر الفكر الصوفي في التفسير دراسة ونقد ، رسالة ماجستير غير منشور (الجامعة الاسلامية ـ كلية أصول الدين ـ قسم التفسير وعلوم القران ـ غزة ـ ٢٠١٢م) : ١٩ .

والإعراض عن زخرف الحياة الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الناس من مال وجاه والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة. **ويمكن تعريف التصوف اصطلاحا** : بأنّه حركة دينية انتشرت في العالم الاسلامي في القرن الثالث الهجري تدعو للزهد وشدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للانغماس في الترف ، ثم تطور حتى صار طرقا مميزة ، تبنت مجموعة من العقائد المختلفة ، والرسوم العملية المخترعة ، تكوّنت من مناهج كثيرة[١] .

ـ التصوف النشأة والتطور :

لقد عرف الزهاد بالأندلس منذ دخول الإسلام إليها ، وكتب التاريخ والطبقات تلوح بإشارات إليهم ، وقد حمل بعض الذين دخلوا الأندلس معهم تيارا للزهد وشغفا خاصاً بالتحنث والتعبد . وأهم من ينعت بذلك التابعي حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن فهد الصنعاني (ت١٠٠هـ/ ٧١٨م) ، ثقة يكنى أبا رشدين ، كان مع الإمام علي بن أبي طالب(ﷺ) بالكوفة وقدم مصر بعد مقتل الإمام ، وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت(ﷺ) ، والأندلس مع الوالي موسى بن نصير(ﷺ) وكان فيمن ثار مع ابن الزبير(ﷺ) على الخليفة عبد الملك بن مروان فعفا عنه ؛ روى عن رويفع بن ثابت الأنصاري(ﷺ) ، وعبد الله بن عباس (ﷺ)، والإمام علي بن أبي طالب(ﷺ) ، حدث عنه الحارث بن يزيد وسيار بن عبد الرحمن (ﷺ) وغيرهم كثير ، كان بسرقسطة وأسس جامعها وبها مات وقبره معروف بها إلى اليوم عند باب اليهود غربي المدينة[٢] . وفي القرن الرابع الهجري تبلورت حركة الزهد وتحولت إلى تيار صوفي معتدل ، وذلك من خلال التزام اتباعه بالقرآن والسنة

---

[١] ابن عجيبة ، عبدالله احمد ، (ت ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م) ، معراج التشوف الى حقائق التصوف ، تقديم وتحقيق : عبدالمجيد خيالي ، مركز التراث الثقافي المغربي ـ الدار البيضاء ـ (د.ت) : ٢٥ ، ٢٦ ؛ جادالله ، منال عبدالمنعم ، التصوف في مصر والمغرب ، منشأة المعارف ـ الاسكندرية ـ ١٩٩٧م : ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ؛ الموسوعة الميسرة في الآديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة : الجهني ، مانع بن حماد ، ط٤ ، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ١٤٢٠هـ : ٢٤٩ ؛ السهلي ، عبدالله بن دجين ، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها ، ط١ ، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ٢٠٠٥م : ١٠ .

[٢] ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (ت٤٠٣هـ/ ١٠٢١م) ، تاريخ علماء الأندلس ، ط١ ، تح : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ـ تونس ـ ٢٠٠٨م : م١/ ١٨٣ ـ ١٨٦ ؛ المزي ، الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ط٢ ، تح : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٨٥م : ج٧/ ٤٢٩ ـ

٤٣١ ؛ غرميني ، عبد السلام ، المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري ، ط١ ، دار الرشاد ـ الدار البيضاء ـ ٢٠٠٠م : ٢٦ .

وأخلاق السلف الصالح[١] ، والابتعاد قدر الإمكان عن الخوض في القضايا الفلسفية الشائكة ، حيث نجد أن جل نشاطاتهم قد تركزت خلال عهد حكم بنو عامر على خدمة القضية الوطنية الأندلسية ، وذلك من خلال المرابطة بالثغور المتاخمة للمالك النصرانية والجهاد مع المنصور بن أبي عامر (٣٦٦ـ ٣٩٢هـ/ ٩٧٦ ـ ١٠٠١م) في حملاته المتكررة على الممالك النصرانية ، وأشهر من مثل هذا الاتجاه محمد بن الطاهر القيسي التدميري الذي يعد من كبار الزهاد الراحلين إلى المشرق ، فعلى الرغم من طيب المقام هناك ، إلا أنه قرر العودة إلى الأندلس والاستقرار في إحدى ثغورها مجاهدا بنفسه إلى جانب المنصور بن أبي عامر ، إلى أن أستشهد سنة (٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)[٢] . أي أن هذه الفئة من الزهاد قد اشتروا الحياة الدنيا بأبدية الحياة الآخرة. إلى جانب هذه الفئة نجد زهادا آخرين أثروا الرحلة إلى المشرق والسياحة في الأرض مسلكا لحياتهم من أمثال محمد بن شجاع[٣] ، إلا أن عددهم قليل مقارنة بالفئة السابقة الذكر ، وقد طبعت هذه الفترة خاصية هي كثرة نظم أشعار الزهد من قبل الزهاد الذين استعانوا بها قصد الحث على التقوى والتحذير من غرور الدنيا وتقلبها ، وأهم من مثل هذا الاتجاه في الأندلس الزاهد أبو إسحاق الألبيري[٤] ، الذي انقطع للنظم في هذا الغرض حتى صار له ديوان في الزهد والمواعظ ، ومن نظمه في هذا المجال قوله :

تغازلني المنية من قريب ... وتلحظني ملاحظة القريب
وبدّلت التثاقل من نشاطي ... ومن حسن النضارة بالشحوب
هي الأقدار والآجال تأتي ... فتنزل بالمطبب والطبيب [٥] .

---

(١) بوتشيش ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين : ١٣١ .
(٢)الضبي، بغية الملتمس: ج١/ ١١٥ ، ١١٨ .
(٣) **بن شجاع** : هو أبو عبد الله محمد بن شجاع الصوفي ، كان رجلاً صالحاً مشهوراً على طريقة قدماء الصوفية المحققين ، وذوي السياحة المتجولين ، كان حيا في حدود سنة (٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) . الحميدي ، ابو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله ، (ت٤٨٨هـ/١٠٥٦م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصري للتأليف والترجمة - ١٩٦٦م : ج١/٦١ ، ٦٢ .

(٤)**الألبيري** :هو إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي ، كنيته أبو إسحاق ، اشتهر بالنسبة إلى مدينته إلبيرة ، تتلمذ على يد أبي عبد الله بن زمنين ، انتقل إلى غرناطة ، وهناك جلس للإقراء والرواية ،

اشتهر بالزهد والتنسك ، توفي سنة (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) . ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي ، تح : محمد رضوان الداية ، ط٢، دار قتيبة ــ دمشق ــ ١٩٨١م :٧ ، ٨ .

(٥) ديوان أبي إسحاق الأ لبيري : ٣٤ .

الى جانب هذا الاتجاه برز اتجاه آخر ، اتصف بالباطنية والإغراق في التأويل والإشارات ممثلا هذه المرة في شخصية القرطبي محمد بن مسرة[١] الذي كـون مدرسة صوفية أندلسية التي كانت من أوائل المدارس الناشئة بالأندلس والتي انتشرت تعاليمها في أرجـاء الأندلس ، واقتبست بعض الآراء الشيعية في الإمامة ، ولاسيما العقائد الباطنية إذ قضى ابن مسرة (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م) مدة من حياته الدراسية في القيروان ، في المدة التي بلغ نشاط الدولة الفاطمية الفتية أوجها من الناحية السياسية والدعوية ، ومن تعاليم الباطنية ؛ لابن مسرة قول : إنّه من الممكن اكتساب النـبوة وانها ليست اختصاصاً أصلاً[٢] ، فضلاً عن أن تصوفه كان مزيجاً من تعاليم المعتزلة والاتجاهات الاسلامية وافكار امباذوقليس[٣][٤] . ويذكر المؤرخون أن اول من اشتهر بإدخال الحكمـة الى

---

(١) **بن مسرة** :هو محمد بن عبدالله بن مسرة بن نجيح ، من أهل قرطبة يكنى أبا عبدالله ، ينتسب الى أسرة متواضعه النسب من الموالي ، كان أبوه من أهل البيع والشراء ، وكان يهوى آراء المعتزلة ، وكان صديقا لخليل الغفلة ، سمع من أبيه ومن مشايخه محمد بن وضاح (ت٢٨٧هـ/ ٩٠٠م) من مدرسة الحديث ، خرج الى المشرق في آخر أيام الامير عبدالله ، اتهم بالزندقة فخرج فاراً ، وتردد بالمشرق مدة ، واشتغل بملاقاة اهل الجدل واصحاب الكلام والمعتزلة ، ثم انصرف الى الاندلس فاظهر نسكا وورعا ، واغترّ الناس بظاهره ، واعتزل في جبال قرطبة مع تلاميذه ، فقيل إنّه كان يلقن تلاميذه بدعة الاعتزال ثم ظهر الناس على سوء معتقده وقبح مذهبه ، توفي ابن مسرة في قرطبة سنة (٣١٩هـ/ ٩٣١م) ، وقد ضاعت كتب ابن مسرة كلها ، ولم يصل الينا إلا اثنين منها هما : كتاب التبصرة ، وكتاب الحروف . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس : ج٢/٦٥٠ ، ٦٥٣ ؛ ٦٨٧ ، ٦٨٩ ؛ ٧٠٩ ، ٧١٠ ؛ ينظر : بالنثيا ، انخل جنثالث ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة ــ ١٩٥٥م : ٣٢٦ ــ ٣٣٠ ؛ أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، دار المعرفة الجامعية ــ الاسكندرية ــ ١٩٩٢م : ٤١٥ ، ٤١٧ .

(٢) مكي ، محمود علي ، التشيع في الاندلس إلى نهاية ملوك الطوائف ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ــ ١٩٥٤م : المجلد الثاني : ١٦ .

(٣) **امباذوقليس** :هو الفيلسوف اليوناني امباذوقليس الأكر جاسي ، (٤٨٣ــ٤٢٣ ق . م) كان مولده في مدينة أكرا غاس من جزيرة صقلية وفي أسرة غنية ، فيلسوفا وشاعرا وسياسيا وطبيبا ، وكان يرى أن الحياة الحقيقية هي الوجود الالهي المتسامي فوق عالم المادة ، أما حياتنا الدنيا فهي عقاب لنا (على ماكنا قد أسلفنا من ــ في دور سابق من حياتنا ــ من السيئات) . فروخ ، عمر ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط٤ ، دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٨٣م : ٧٨، ٨٠ .

(٤) هنري كوربان بالتعاون مع حسين نصر وعثمان يحيى ، تاريخ الفلسفة الاسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد سنة (١١٩٨م / ٥٩٥هـ) ، ترجمة : نصير مروة ؛ حسن قبيسي ، راجعه وقدم له :

الامام موسى الصدر ؛ عارف تامر ، ط٢ ، عويدات للنشر والطباعة ــ بيروت ــ ١٩٩٨م : ٣٢٩ ؛ العلام ، خالد سعد ، مصادر تجربة ابن مسرة الصوفية ، بحث غير منشور ــ جامعة عمر المختار ــ كلية الآداب ــ قسم التفسيرــ (د. ت) : ٢ .

الاندلس هو محمد بن عبدالله بن مسرة القرطبي (٢٦٩ ــ ٣١٩هـ/ ٨٨٢ ـ ٩٣١م) ، وقد اسس مدرسته الفلسفية في مكان منعزل يقع بجبال قرطبة ، ولم يكن قد ناهز الثلاثين الا قليلا ، ومن تلاميذه : رشيد بن فتح الدجاج القرطبي ، والياس بن يوسف القرطبي ، وخليل بن عبدالملك ومحمد بن عبدالملك بن عمر[١] . وقد خمد ذكر مدرسة ابن مسرة في الوســط الاسلامي بعد موته في جبال قرطبة سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) ، ومن ثم رأيناها تنهض على يد ابرز رجالها وأوفاهم لابن مسرة وتعاليمه اسماعيل بن عبدالله الرعيني الذي كـــان معاصرا لابن حزم(ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) وقد نسب اليه ما نسب الى ابن مسرة ، بل كان هو المصدر البارز لحمل هذه الآراء[٢] ، ومن بعده قام بنشر هذه الطريقة ابو بكر الميورقي في غرناطة ، وابن برجان في إشبيلية وكلاهما توفيا في حدود سنة (٥٣٦هــ/ ١١٤١م) واستمر في حمل الرسالة بعدهما ابن قسي مؤلف كتاب (خلع النعلين)[٣] .

ــ الصوفية في الاندلس في القرن السادس الهجري :

انتشرت الفرق الصوفية في جل المدن الأندلسية في القرن السادس الهجري وكانت الفرق الصوفية بها تشكل حزاما يمتد من شرق الأندلس إلى غربها ، وظهرت في الشرق فرق عدّة كان من أشهرها وأهمها مدرسة المرية ، التي ترأسها الصوفي الكبير أبو العباس بن العريف[٤]، وترجع شهرتها إلى موقعها الجغرافي ، إذ تعد أهم موانئ شبه الجزيرة ،

---

(١) الفيومي ، محمد ابراهيم ، تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب والاندلس ، ط١، دار الجيل ــ بيروت ــ ١٩٩٧م : ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٢) ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ط٢ ، تح : محمد ابراهيم نصير ؛ عبدالرحمن عميرة ، دار الجيل ــ بيروت ــ ١٩٩٦م : ج٤/ ١٣٨ .

(٣) هلال ، ابراهيم ، الفلسفة والدين في التصوف الاسلامي ، دار نور ــ دمشق ــ ٢٠٠٩م : ١٢٤ .

(٤) **ابن العريف :** هو ابو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المريي المعروف بابن العريف ؛ وسمي بابن العريف ؛ لان أصل ابيه من طنجة وكان صاحب حرس الليل ، وعريف القوم ، ثم انتقل أبيه الى المرية وكانت ولادة ابنه احمد هناك ، واراد له ان يتعلم الحياكة ، ولكن الصبي اتجه الى الدراسة ونبغ في علوم الفقه والادب ، وكانت المرية مركز الصوفية بالأندلس إذ ذاك ، كان من كبار الصالحين والاولياء المتورعين ، وله كتاب المجالس ، وبينه وبين القاضي عياض اليحصبي مكاتبات حسنة ، وكان العباد واهل الزهد يألفونه ويحمدون صحبته ، وكان سعي به الى

الامير علي بن يوسف ، فأحضره إليه فمات سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١م) بمراكش واحتفل الناس بجنازته ، وظهرت له كرامات ، فندم الامير على استدعاه . ابن الابار ، معجم اصحاب الصدفي: ١٨، ٢٢ ؛ ينظر : ابن الابار ، الحلة السيراء :ج٢/ هامش ١٩٧ .

فكانت ملتقى لكثير من الآراء والتيارات الفكرية [(١)] . ويبدو أن ابن العريف كان متعاطفا مع امراء المرابطين ؛ وذلك لقربه منهم عندما مارس عمله كمحتسب وعاين سلوك هؤلاء الامراء واحساسه الدائم بخطر القيام على اولي الامر ، واشتعال فتنة تأتي على تضامن المسلمين في مواجهة الاخطار المحدقة بهم ، وتعرض النصارى المستمر وهجومهم على المدن الاسلامية ، فوجد أن الافضل للمسلمين الدعوة للجهاد ، وانشغال كل شخص بنفسه[(٢)] . كان من ابرز صوفية المرية وأصحاب ابن العريف ، الزاهد الكبير ابن الاقليش[(٣)]، وأبو بكر بن نمارة [(٤)] ، وابو القاسم عبدالجبار البجاني

---

(١) مؤنس ، حسين ، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ــ مجلة المعهد المصري بمدريد ــ العدد الثالث ــ ١٩٥٥م : وثيقة رقم١/ ١١٣ ؛ دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين : ٥٠ ، ٥١ .

(٢) ابن العريف ، ابوالعباس احمد بن محمد الصنهاجي (ت٥٣٦هـ /١١٤١م) ، مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ، جمعه : ابو بكر عتيق بن مؤمن ، تح: عصمت عبداللطيف دندش ، ط١، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ــ ١٩٩٣م : ٣٥ .

(٣)**ابن الاقليش :** هو أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الزاهد يعرف بابن الاقليشي ويكنى أبا العباس ، أصل ابيه من أقليش وسكن دانية رحل الى بلنسية فاخذ العربية والآداب وسمع الحديث ، ورحل الى المشرق لا داء فريضة الحج وجاور بمكة سنين وسمع بها جامع الترمذي من ابي الفتح الكروخي ، كان عالما ، عاملا متصوفا شاعرا مجودا مع التقدم في الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا واهلها والاقبال على العلم والعبادة وله تصانيف كثيرة مفيدة منها : كتاب الكوكب والنجم من كلام سيد العرب والعجم ، وكانوا يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله وأنه كان يضع يده على وجهه فيبكي حتى يعجب الناس من بكائه إذا قرأ القارئ : وانشد ابو العباس الاقليشي لنفسه يقول :

**أسير الخطايا عند بابك واقف		له عن طريق الحق قلب مخالف**
**قديما عصى عمدا وجهلا وغرة		ولم ينهه قلب من الله خائف**
**تزيد سنوه وهو يزداد ضلة		فها هو في ليل الضلالة عاكف .**

ينظر : ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة : ج١/ ٦٥ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ، الوافي بالوفيات ، تح : احمد الارناؤوط ؛تركي مصطفى ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ــ بيروت ــ ٢٠٠م : ج١١٩/٨ .

(٤)**ابو بكر بن نمارة :** هو محمد بن أحمد بن عمران بن نمارة الحجري من ذرية أوس بن حجر التميمي شاعرها في الجاهلية ، نشأ بالمرية ، سمع الحديث ، وصحب أبا العباس ابن العريف ، وكان من أهل الاتقان في تجويد القران ، مع تمام العناية بشأن الرواية وحفظ المسائل والاشراف على الخلاف والاعتناء بالأثار والبصر بالآداب والاخبار، عني بلقاء الشيوخ والاخذ عنهم كثيرا ، امتحن بالسجن سنة (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) ، وكتب هنالك (شرح مقدمة ابن باب شاذ) ، وكان آخر من اسند

القراءات عن ابن النخاس تلاوة ، توفي سنة (٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) . ابن عبدالملك ، الذيل والتكملة : ج١٦/٦، ١٧ .

الاستاذ العددي(١) ، وامتدت مراكز الصوفية فشملت مرسية(٢) . وبلنسية(٣) ، وجزيرة شقر(٤) ، ومالقة(٥)، وجيان(٦) ، وغرناطة التي كان بها أحد شيـــــوخ المريدين الكبار وهو أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي(٧) ، أمـــا قرطبة فقد كثر بها الصوفية ، منهم

(١) **الاستاذ العددي** :هو عبدالجبار البجاني الاستاذ العددي يكنى ابا القاسم ، يحمل عن ابي العباس ابن العريف وابي اسحاق الخفاجي وغيرهما ، روى عنه الاديب ابوالقاسم ابن البراق وقفت عليه في تسمية شيوخه بخطه وكان حيا بعد سنة (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) . ابن الزبير، أبو جعفر احمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاندلسي الحافظ النحوي (ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) ، صلة الصلة ، تح : ليفي بروفنسال ، مكتبة نباط ـ بيروت ـ ١٩٣٧م : ٣٨ .

(٢)أشتهر في مرسية القاضي ابو محمد بن الحاج اللورقي ، وقد استدعاه الامير علي بن يوسف للكتاب بحضرة مراكش سنة (٥٢٨هـ/ ١١٣٣م) الا انه استعفى بعد قليل ، وانصرف الى مرسية هاجرا خدمة الامراء ، ومواصلا صحبة الفقراء زاهدا في الدنيا ، وراغبا في الاخرة . ابن الابار ، معجم اصحاب الصدفي : ٢٣٣ .

(٣) وكان بها محمد بن ابي بكر بن ابي الخليل التميمي ، روى عن ابي بكر بن العربي ، وابي العباس بن العريف ، وصحبه ونحا طريقه ، وكان من اهل الفهم والتيقظ ، حسن الخط ، مشاركا في الادب ، فصل عن بلده فأوطن بعض جهات بلنسية ، توفي سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦١م) . ابن عبدالملك ، الذيل والتكملة : ج١٣٩/٦ .

(٤) وكان بها ابو بكر أحمد بن محمد بن سفيان الذي عرف بالعابد لكثرة إيثاره وطول صحبته للفقراء وإكبابه على الاعمال الصالحة ، وداره بجزيرة شقر من اعمال بلنسية وهي مدينة على جزيرة في مصب نهر شقر الذي يسمى وادي شقر . ابن الابار، الحلة السيراء: ج٢٦٧/٢ .

(٥) وبرز في مالقة ابو ذر محمد بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن عثمان الخزرجي : روى عن ابي اسحق بن رشيق وبن النفيس وابي الحجاج بن يسعون وابن وضاح وابن ابي الخصال ، وابي العباس بن العريف ، واجاز له ابو الطاهر السلفي ، كان حافظا للقراءات ذكراً اصولها ، مقرئا مجودا محدثا راوية ، اخذ الناس عنه كثيرا ، كان حيا سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) توفي بمالقة . ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ج٣٨٩/٦ .

(٦)أشتهر بجيان الفقيه الزاهد محمد بن احمد بن ابراهيم بن جامع الانصاري الجياني ، ويعرف بالبغدادي لطول سكناه إياها ، روى عن ابي علي الغساني وابي محمد عتاب ورحل حاجا فلقي ابا الحسن الطبري وابا طالب الزيني ، وابا بكر الشاشي ، وكان فقيها مشاورا حدث عنه ابو عبدالله النميري ، توفي بمدينة فاس سنة(٥٤٦هـ/ ١١٥١م) . ابن الابار ، التكملة : ج٩/٢ ، ١٠ .

(٧)**الميورقي** : هو محمد بن الحسين بن احمد بن يحيى بن بسر الانصاري الخزرجي ، ابو بكر الميورقي روى بالأندلس عن ابي بكر عبدالباقي الحجاري وابي مروان الباجي ، ورحل الى المشرق وحج ، واخذ بمكة عن ابي ثابت وابو الحسن وغيرهما ، وبمصر والاسكندرية عن ابي بكر بن الوليد الطرطوشي ، وابوي عبدالله وغيرهم ، وقفل الى الاندلس ، فحدث بغير بلد منها لتجوله فيها ، روى عنه ابن رزق ، وكان محدثا واسع الرواية عرافا بالحديث وعلله واسماء رجاله ، مشهورا بالإتقان والضبط ، ثقة في ما نقل وروى ، دينا ذكيا متأملا ، فاضلا متقللا من الدنيا ، ظاهري المذهب ، يغلب عليه الزهد والصلاح ، وامتحن من قبل الامير علي بن يوسف ، فحمل اليه صحبة ابي الحكم بن

برجان وابي العباس بن العريف ، وضرب بالسوط عن أمره ، وسجنه وقتا ثم سرحه ، وعاد الى الاندلس واقام بها يسيرا ، ثم انصرف الى المشرق ، فتوفي رحمه الله بالجزائر في سنة (٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) . ابن عبدالملك ، الذيل والتكملة : ج٦/ ١٦٩ ، ١٧٠ ؛ ينظر : المالكي ، عباس بن ابراهيم المراكشي (ت١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م) ، الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ، ط١، المطبعة الجديدة ـ فاس ـ ١٩٣٧م : ج٣/ ٣ ، ٥ .

شيخ الصوفية في وقته ابو الحسن بن غالب(١) ، أما صوفية الغرب الاندلسي فيبدو أن شيخها كان أبا محمد بن اسماعيل بن خلف(٢) ، وكان يقطن لبلة ، وقد لازم ابن برجان(٣) ، وابن العريف وأخذ عنهما ، كما رحل اليهما مرارا(٤) ، وكان الغرب يضم عددا من زعماء المريدين ولاسيما في مدينة شلب كأبي القاسم ابن قسي(٥) ، ولكن من هو الامام او القطب لجماعة المريدين في جميع الاندلس والذي يسير هذا الحشد من الصوفية او الفقراء او المريدين ؟ لقد اتضح من خلال الرسائل ان الامام لم يكن هو ابن العريف كما اعتقد المؤرخ ابن الخطيب(٦) ، فهل كان ابو الحكم بن برجان هو الذي

---

(١) **بن غالب :** هو علي بن خلف ابن غالب الانصاري من أهل شلب يكنى ابا الحسن وهو شيخ الصوفية في وقته قرأ ببلدة شلب وتأدب بها وقرأ الفرائض على الاستاذ ابي العباس بن عمر ثم رحل الى قرطبة واستوطنها وسمع بجامعها على ابي القاسم بن رضا موطأ مالك ، وكان صالحا زاهدا ويلقب بالعارف ، وله تواليف مشهورة منها كتاب الاعتبار وكتاب الايام والحجب ، وكان من المتمسكين بالكتاب والسنة ، وكان ممن جمع الله له محاسن جمة من العلوم والآداب وكان قد بلغ ثمانين سنة وهو في اجتهاده شيخ وقته عالما ورعا اشفق خلق الله على الناس واحسنهم ظنا بهم ، وكان على قيد الحياة سنة (٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) . ابن الزبير، صلة الصلة : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) **بن خلف** : هو عبدالغفور بن اسماعيل بن خلف الكوني من اهل لبلة ، يكنى ابا محمد ، روى عن أبيه وعن ابي الحكم بن برجان وابي العباس بن العريف لازمهما ، وكان من اهل الكرامات واجابة الدعاء ، توفي رحمه الله ببلاد المشرق بعد اداء الفريضة وكانت رحلته الى المشرق في حدود سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) عند ابتداء فتنة المريدين والفقهاء بالأندلس . ابن الزبير، صلة الصلة : ٣٧ .

(٣) **ابن برجان** :هو ابو الحكم عبدالسلام بن ابي عبد الرحمن بن ابي الرجال من اهل إشبيلية كان إماماً في علم الكلام ولغات العرب والادب ، عارفا بالتأويل ، والتفسير نحويا بارعا نقادا ماهرا اماما وقد اخذ من كل علم بأوفر حظ عارفا بمذاهب الناس ، شديد التمسك بالكتاب والسنة جاريا في تأويل ذلك على طريقة الباطنية ، والف كتابه في التفسير ، وكتابه الشهير في تفسير الأسماء الحسنى والف كتاب الارشاد قصد فيه الى استخراج احاديث صحيح مسلم ، وكان يؤثر اعتزال الناس والبعد عنهم ، توفي رحمه الله بمراكش في تغريبه الامتحاني بعد سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١م) بيسير . ابن الزبير ، صلة الصلة : ٣١ ، ٣٣ .

(٤)ابن الزبير، صلة الصلة : ٣٧ .

(٥)ابـن الابـار ، الحلـة السـيراء : ج٢/ ١٩٧، ٢٠٢ ؛ ابـن الخطيـب ، اعمـال الاعـلام : تـح : ليفـي بروفنسال : ٢٤٨ ، ٢٥٢ .

(٦) اعمال الاعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٤٩ .

يقصده ابن العريف في رسائلـــه بعبــارة (الشيخ الامام) و(العالم) .؟ قال ابن الزبير[١] عن ابن برجـان أنـه كـان : ((إماما في كل ما ذكر ، لا يماثل بقرين)) ، ووصف كتبه وتفسيره بالغموض والابهام ، فلا يصل إلى مقصودة إلا من فهم كلامه)) . وذكر الامام الشعراني[٢] أنه خُطب لابن برجان في حوالي مائة وثلاثون بلدة . أي أنه بويع إماما في كل هذه البلاد . ولم تفصح رسائل ابن العريف عن شخصية الامام صراحة ، ولكنه خص ابن برجـان وحده دون جميع مراسليه بمخاطبته بـ (الشيخ الامام) و (الشيخ الفاضل الامام) (الشيخ إمامي وكبيري) ، أن ابن برجان هو الوحيد الذي يدعو له ابن العريف ، ويستحلفه في رسائله بقولـــه : (وانت يا إمامي بحرمة الشيب اذكرني) وطلب منه أن يدعو له بالتوبة[٣] .

يتضح مما سبق أن ابن برجان هو شيخ صوفية الاندلس وإمامهم ، وقد اتخذ من مدينة إشبيلية مقرا ومقاما له ، وكان من المقربين إليه بإشبيلية أبو محمد الاشبيلي المعروف بابن الخراط[٤]، وكان المريدون على ما يبدو مذاهب مختلفة في الآراء والافكار فغالبية هؤلاء الصوفية كانوا من انصارالالتزام بالكتاب والسنة ، وكـــان على رأس هؤلاء ابن العريف[٥] ، وأبي الحسن بن غالب[٦] . اما المذهب الثاني فكان يميل الى المذهب الظاهري ويتزعمه ابو بكر محمد بن الحسين الميورقي[٧] .أما أصحاب المذهب المتطرف

(١)صلة الصلة : ٣٢ .

(٢) الامام عبدالوهاب (ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) ، الطبقات الكبرى ، تح : احمد عبدالرحيم السايح ؛ توفيق علي وهبة ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة ــ ٢٠٠٥م : ج١/ ٣٥ .

(٣)ابن العريف ، مفتاح السعادة : ١٠٨ ، ١١٠ .

(٤) **ابن الخراط** : هو عبدالحق بن عبدالرحمن بن عبدالله الازدي الاشبيلي ، روى عن أبي الحسن: شريح ، وابن برجان ، وأبي حفص : عمر بن ايوب ، نزل بجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس ، عند انقراض الدولة اللمتونية ، فنشر بها علمه ، وصنف ، وولي الخطبة والصلاة بجامعها ، وكان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله عارفا بالرجال ، موصوفا بالخير والصلاح ، والزهد والورع ولزوم السنة ، والتقلل من الدنيا ، مشاركا في الادب ، وقول الشعر وصنف في الاحكام نسختين صغرى وكبرى ، وله الجمع في الصحيحين وكتاب في الجمع بين المصنفات الستة ، وكتاب في معتل الحديث وكتاب في

الرقائق ، وله في اللغة كتاب حافل ضاهى به كتاب الغريبين للهروي ، توفي في بجاية سنة (٥٨١هـ/ ١١٥٨م) . ابن فرحون ، المالكي (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تح: محمد الاحمدي ابو النور ، دار التراث ـ القاهرة ـ (د. ت) : ج٢/٥٩ ، ٦٠ .

(٥)ابن العريف ، مفتاح السعادة : ١٨١ ، ١٨٢ .

(٦)ابن الزبير، صلة الصلة : ٩٩ ،١٠٠ .

(٧)ابن عبدالملك ، الذيل والتكملة : ج٦/١٧٠ .

فكان يتزعمه صوفية الغرب وعلى رأسهم ابن قسي ، وهؤلاء يملون إلى المذهب الباطني[١] [٢] . وقد حاول الشيخ الامام ابو الحكم بن برجان أن يوفق بين هذه الآراء المتعارضة ، ويكبح جماح المتطرفين الى حين ، وذلك بعدم التعمق في الباطنية ، او الانتصار السافر للظاهرية[٣] .

ـ مرحلة مطاردة السلطة المرابطية للمريدين :

تعرض المريدون وشيوخهم للمراقبة الشديدة من جانب السلطة المرابطية ولاسيما في سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) ، يبدو ذلك من خلال رسائل ابن العريف ، وأصبحت تحركاتهم محسوبة عليهم ، تخضع لرقابة رجال السلطة واستفساراتهم وتعرض البعض منهم للملاحقة والسجن ، فسجن الصوفي المعروف ابو الحسن سيد المالقي[٤] ، وامتحن صاحب وصديق ابن العريف ابو بكر بن نمارة بالسجن ، وغرب الشيخ ابو عبدالله بن الشبوقي عن الاندلس وسجن بمراكش[٥] ، ولما شعر ابن قسي أن السلطات المرابطية كشفت أمره وهمت بمطاردته وقبض على جماعة من أصحابه ، وأخذوا الى إشبيلية ، هرب الى جهة مرتلة[٦]، واختفى هناك بقرية الحوزة عند قوم يعرفون بالسنة [٧] . ولكن ما هو الحدث الذي ادى الى سخط السلطة على المريدين ؟ ، نشط الامير تاشفين بن

---

(١)**المذهب الباطني : أ**وما يعرف بالباطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ، نشأ مذهبهم في منتصف القرن الثالث الهجري ، وضعه قوم أسرب في قلوبهم بغض الدين وكراهية النبي الكريم ، من الفلاسفة والملاحدة والمجوس واليهود ليصرفوا الناس عن دين الله تعالى وكانوا يبعثون دعاتهم إلى الأفاق لدعوة الناس لمذهبهم المشؤوم . ومن دعاتهم ميمون بن ديصان القداح الثنوي ، فظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر . الطبري ، التبصير في معالم الدين ، ط١ ، تح : علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ـــ الرياض ـــ ١٩٩٦م : ١٠٧ ؛ الديلمي ، محمد بن الحسن (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من كتاب قواعد عقائدآل محمد ، عني بتصحيحه : رشد وطمان ، مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (د .ت) : ٣ ، ٤ .

(٢) ابن الخطيب ،اعمال الاعلام ، تح: احمد مختار العبادي : ٢٤٩ .

(٣) ابن الزبير، صلة الصلة : ٣٢ .

(٤) ابن العريف ، مفتاح السعادة : ١٨٠ ، ١٨١ .
(٥) ابن عبدالملك ، الذيل والتكملة : ج٦ /١٧ ، ١٨٢؛ دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين : ٦١ .
(٦) **ميرتلة :** مدينة بالأندلس شرقي مدينة باجة ،بينهما اربعون ميلاً ، وهي على وادي أنه ، وبمقربة من شاطئ البحر ، وهو حصن اولي فيه آثارا قديمة . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٩١ .
(٧) عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٠٧ .

علي في سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) ، في جهـــــاده ضد النصارى ، ووفق في معظم حروبه ، فاحبه أهل قرطبة ، خواصها وعوامها، فبعد صيتـــــه ، وعلا ذكره ، وساس أهل الاندلس سياسة طار بها ذكره من الاستقامة واتباع امور الشريعة ، ويبدو ان امور استجدت حتى ان الاميرعلي بن يوسف طلب من ابنه تاشفين أن ينتقل الى قرطبة ويتخذها مقرا له ، ويســـــهر جيدا على امور البلاد والعباد ، ويأخذ حذره ويستعين بحسن المشورة في مواطن الاشتباه[١] ، فقد حدثت في قرطبة حادثتين كانتا سبباً لتعرض المريدين وشيوخهم للمراقبة كانت **الحادثة الاولى** اغتيال القاضي أبي عبدالله محمد بن الحاج[٢] ، قاضي الجماعة بقرطبة . وقد وصف ابن عذاري[٣] الحادث بشي من التفصيل إذ قال : ((أكب عليه رجل وهو في المسجد الجامع ، وهو في السجدة الاولى من ركعتي الجمعة ، فضرب بخنجر فصرخ ، وقطعت الصلاة ، وبطش بالضارب ، وحز رأسه ، فرفع على عصا ، وشهر رجل أخر سيفا فقتل به ، والحق بصاحبه ، وهرج الناس بالجامع ، لا يعلم اكثرهم ما حدث فيه ، ثم انزعجوا الى المقصورة فسدت ابوابها ومنعوا فيها ، وشهر المرابطون اسلحتهم ، واخرجوا أميرهم تاشفين على باب الساباط ، وحمل القاضي في نعش ، فقضى عند العصر)) ، ويبدو مما سبق ان الجاني لم يكن وحده ، وانما كان هناك من يحميه او يحاول ان يسهل له الفرار ، الا انه قتل عندما شهر سيفه ، ومن المحتمل ان يكون هناك اكثر من هذين الشخصين؟ فلما فشلت المحاولة هرب الجميع منتهزين الاضطراب والهرج الذي حدث[٤] . فهل كان المقصود بالاغتيال قاضي

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب ،تح : احسان عباس : ج٤/ ٧٩ ، ٨٧ ؛ دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين : ٦٢ .
(٢)**بن الحاج** : هو محمد بن احمد بن خلف بن ابراهيم التجيبي ، المعروف بابن الحاج ، قاضي الجماعة بقرطبة ، يكنى أبا عبدالله روى عن ابي جعفر احمد بن رزق الفقيه ، وتفقه عنده ، وقيد الغريب واللغة والادب عن ابي مروان عبدالملك بن سراج ، وكان من جلة الفقهاء وكبار العلماء ، معدودا في المحدثين والادباء ، بصيرا بالفتيا ، راسما في الشورى ، وكانت الفتوى في وقته تدور عليه ، لمعرفته وثقته وديانته ، وكان معتنيا بالحديث والاثار ، جامعا لها ضابطا لأسماء رجالها ، عالما

بمعاني الاشعار والسير والاخبار ، قال ابن بشكوال قيد العلم عمره كله ، وكان له مجلس بالجامع بقرطبة ، وتقلد القضاء بقرطبة مرتين وكان في ذاته لينا ، صابرا ، طاهرا ، حليما ، متواضعا وكان كثير الخشوع ، والذكر لله تعالى ، قتل ظلما بالمسجد الجامع بقرطبة وهو ساجد ، سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) تغمدنا وإياه برحمته . النباهي ، المرقبة العليا : ١٠٢ .
(٣) البيان المغرب ، تح : احسان عباس : ج٤/ ٩٣ .
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب ، تح : احسان عباس : ج٤/ ٩٣ .

الجماعة بقرطبة ابن الحاج ؟ ام ان المقصود كان الامير تاشفين بن علي ؟ لقد انتهز الجاني فرصة سجود جميع المصلين وقام بطعن القتيل ، فربما التبس عليه المقصود بالقتل ، وقد ضاعت الحقيقة بمقتل الجاني وصاحبه ، وفرار الآخرين إذا كان هناك اخرون ، ومهما يكن من امر فقد كان لهذا الحادث رد فعل قوي في قرطبة وغيرها من مدن الاندلس(١) .

أما **الحادث الثاني** الذي تسبب في مراقبة وملاحقة المريدين في الاندلس حدث بعد حادثة اغتيال القاضي أبي عبدالله بن الحاج بأسابيع قليلة ، عندما ثارت العامة في قرطبة سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) على الحي الذي يقطنه اليهود فاقتحموا منازلهم ونهبوا اموالهم ، وقتل عدد منهم . وقيل ان السبب في هجوم العامة هو العثور على جثة شخص مقتول بينهم ، وبالرغم من عدم التأكد مما اذا كان هذا الشخص قتل خارج حي اليهود والقيت جثته فيه ، ام انه قتل فعلا في حي اليهود ، فقد شكل هذا الحادث خطورة على الامن في قرطبة التي تعود اهلها على الشغب ، وفي الوقت نفسه حدث حادث له دلالاته وهو الاعتداء على القاضي أبي بكر ابن العربي(٢) قاضي الجماعة بإشبيلية ، إذ هاجمه البعض واعتدوا عليه ، وقيل ان سبب الاعتداء ، تشدد ابن العربي في معاقبة الجناة ومطادرة الفاسدين(٣) . فهل كان حادث الاعتداء على القاضي ابن العربي له صلة بالمريدين ؟ لقد عرف عن القاضي ابن العربي ميله الى المرابطين وسيره في ركابهم .

(١) الأندلس في نهاية المرابطين : ٦٤ .
(٢)**أبو بكر بن عربي** : هو محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد العربي المعافري ، المكنى بأبي بكر من أهل إشبيلية ، رحل الى المشرق سنة (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) ، فدخل الشام ، لقي بها أبا بكر الطرطوشي وتفقه عنده ، ورحل الى الحجاز في موسم سنة (٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م) ودخل بغداد مرتين ، وصحب أبا بكر الشاشي ، ، وأبا حامد الطوسي الغزالي وغيرهم فأخذ عنهم ، ثم عاد الى الاندلس سنة (٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) وكان من أهل التفنن في العلوم ، استقضى بمدينة إشبيلية ؛ فقام بها باجمل قيام ، وكان من أهل السرايا في الحق ، والشدة والقوة على الظالمين ، والرفق بالمساكين ، ثم صرف عن القضاء وأقبل

على نشر العلم وبثه توفي بالعدوة ، ودفن بمدينة فاس . الطرطوشي ، الامام الزاهد أبي بكر محمد بن الوليد الفهري ، (ت٥٢٠هـ / ١١٢٦م) ، سراج الملوك ، تح: محمد فتحي أبو بكر ؛ تقديم : شوقي ضيف ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ــ القاهرة ــ ١٩٩٤م : ٢٩؛ النباهي ، المرقبة العليا : ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٣) البيان المغرب ، تح : احسان عباس : ج٤/ ٩٣ .

ويبدو ان حدة الصراع قد اشتدت بين مذاهب المريدين بسبب تورط البعض في احداث تسببت في مطاردة السلطة لهم ، وقد كثر الحديث بين المتطرفين الذي تزعمهم ابن قسي بشأن تغيير نظام الحكم واستعمال القوة في ذلك ، أذ كان ابن قسي في الواقع يتخذ الصوفية قناعا لمشاريع يضمرها ، ويدعو إلى الثورة في الباطن سراً (١) .

ــ أندلاع الثورة :

بوفاة الإمام شيخ الصوفية ابو الحكم بن برجان ، والإمام ابو العباس بن العريف ، والإمام ابو بكر الميروقي وفي السنة نفسها التي أشخصوا فيها الى مراكش(٢) ، تخلص المرابطون من أكبر زعماء المريدين ، غير أن الميدان أصبح خاليا أمام مدعي التصوف والتزهد ، بل أمام الفئة المتطرفة من المريدين وعلى رأســـهم ابو القاسم احمـــد بن قسي ، فصفى له الجو ، وأصبح شيخ الصوفية في الاندلس بغير منازع ، فجمع حوله الاصحاب والاتباع ، وجذبت مواهبه النادرة إليه كثيرا من المريدين الذين كانوا على شاكلته ، اوالمريدين الذين انخدعوا في أرائه ومظهره ، فكانوا في الظاهر طائفة دينية ، او فرقـــة صوفية ، وفي الحقيقة أداة سياسية استخدمها ابن قسي في تحقيق مطامعه للوصول إلى الحكم . وكان ابن قسي متأثرا الى حد كبـــير بمهدي الموحدين محمد بن تومرت(٣) ،

(١) ابن خلدون ، العبر : ج١/ ٢٠٠ ؛ / ٢٠٠ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٠٧ .

(٢)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ هامش ١٩٧ ؛ ابن عبدالملك ، الذيل والتكملة :ج٦/ ١٦٩،١٧٠ .

(٣)**ابن تومرت** : هو محمد بن عبدالله ابن تومرت ، المنحدر عن قبيلة هرغة إحدى بطون مصمودة ، القاطنة بالسوس الأقصى بجبال الأطلس في المغرب الأقصى والمرجح أن ابن تومرت ولد في (٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م) بقرية ايجلي ، حيث تلقى دراساته الاولية بكتاتيبها ، قبل أن يشد الرحال طلبا للعلم نهاية القرن الخامس الهجري ، حيث حل بقرطبة ودرس على القاضي أبي جعفر أحمد بن محمد بن حمدين (ت٥٤٦هـ/ ١١٥١م) ، ومنها شد الرحال الى المهدية ، درس على الامام أبي عبدالله المازري ، ثم ارتحل الى مصر وحل بالإسكندرية ، وأخذ عن عالمها أبي بكر الطرطوشي ، ومنها قصد مكة لا داء فريضة الحج وطلب العلم وبعدها توجه إلى بغداد وأخذ عن الأمام الغزالي ، وقد تلقى ابن تومرت بالمشرق علوما متنوعة ، بعدها شرع المهدي في العودة إلى مسقط رأسه في رحلة دامت أربع سنوات ، كان خلالها يتوقف بالمدن والقرى التي كان يمر بها فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، متشددا في إنكار الحال الذي كان عليه أمرائهم ؛ وقيل أنه لما اثقل عليه المرض وايقن بالموت دعا عبد المؤمن بن

علي فأوصاه بما احب وأوصاه باخوانه خيرا ، واعطاه كتاب الجفر الذي صار اليه من قبل الامام ابي حامد الغزالي ، وامره ان يخفي امر موته اياما لحين تجتمع كلمة الموحدين ، وامره بما يكفنه فيه من الثياب ، وان يتولا غسله بيده ، ويتقدم للصلاة ويدفن بجامع تينمل ، وتوفي الخميس ٢٥رمضان من سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) . عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٢٤٥ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٨٠ ؛ الزركشي ، أبي عبدالله محمد بن ابراهيم (ت٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م) ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، المكتبة العتيقة ــ تونس ــ ٢٠٠٢م : ٣، ٤ .

وتسمى بالمهدي والامام ، فتتابع الناس اليه بالرحيل ، وكثر اتباعه والمعجبين به ، وكثرت مخاريقة ، وزعم أنه حج من ليلته ويناجي بما يشاء[1] . ولما دخلت سنة (٥٣٩هـ/ ١١٣٤م) ، أشار ابن قسي من موضع استخفائه على أصحابه المريدين أن يسيروا مع محمد بن يحيى الشطليشي المعروف بابن القابلة ، وكان يسميه ابن قسي بالمصطفى ؛ لاختصاصه الكلي بكتابته ، واطلاعه على أموره ، ثم قتله بعد ذلك وأمرهم أن يستولوا على قلعة ميرتلة وهي من القلاع المنيعة بغرب الاندلس في الوقت الذي قتل فيه الامير تاشفين بن علي ، فكمنوا بالربض وهم نحو من سبعين رجلا وتغلبوا عليها ليلة الخميس الثاني عشر من صفر سنة (٥٣٩هـ/١١٣٤م) ، بعد أن قتلوا بواب القلعة ، واظهروا دعوة ابن قسي ، وأقاموا على ذلك الى ان وصل ابن قسي في غرة شهر ربيع الاول في جمع وافر من المريدين شعارهم التهليل والتكبير[2] . وأخذ يبث عقيدته ، وتسمى إماما ، وكتب الى البلاد يحرض الناس إلى الثورة ، واتصل به الاشرار، وأجزل العطاء من غير عمل ولا خراج ، وكان إذا أعطى يحثو بيده من غير عدد ؛ فكان أصحابه يقولون للناس إن المال عنده لا ينفد[3] . فاستجاب له أغلب أهل غرب الاندلس ، إذ سرعان ما دخلت في طاعته شلب ، وميرتلة ولبلة ويابرة ، وثار أهل يابرة بزعامة عميدهم سيدراي بن وزير ، وخلعوا طاعة المرابطين ، وحذا حذوهم أهل شلب ، بقيادة زعيمها محمد بن عمر بن المنذر ، وكان ابن المنذر هذا ينتمي إلى بيت قديم من بيوتات المولدين بشلب ، وكان من علمائها ونبهائها ، وقد درس في إشبيلية ، وبرع في الفقه والادب ، وولي خطة الشورى ببلده ، ثم تزهد مثل ابن قسي ، واتبعه عند ثورته ، واستقر برابطة على شاطئ البحر تعرف برابطة الريحانة ، وتصدق بماله ، ثم سار الى حصن مرجيق وهاجم الحامية المرابطية وفتك بعدد كبير من رجالها واستولى على الحصن ، ولما علم جنود المرابطين بمدينة باجة[4] بما حدث لزملائهم بحصن مرجيق فروا الى مدينة إشبيلية

---

(١) ابن الخطيب ،اعمال الاعلام ، تح : احمد مختار العبادي : ٢٤٩ .
(٢)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج١٩٨/٢؛ ابن خلدون ، العبر : ج٦/ ٣٠٨ .
(٣) ابن الخطيب ،اعمال الاعلام ، تح: احمد مختار العبادي : ٢٥٠ .
(٤) **باجة :** مدينة بالأندلس من اقدم مدائنها ، واولها اختطاطا ، واليها انتهى يوليش قيصر ، وهو الذي سماها باجة ومعانها في كلام العجم الصلح ، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ ، وهي من الكور المجندة ، نزلها جند مصر ، ومنها الامام القاضي ابو الوليد الباجي سليمان بن خلف ، شارح الموطأ ، ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ٣٦ .

(حاضرة غربي الاندلس) فسار ابن المنذر الى باجة واستطاع الاستيلاء عليها بمعاونة سدراي بن وزير الذي أمده بطائفة من شجعان المريدين على رأسهم أخوه أحمد وخاله عبدالله بن الصميل ثم اتجه ابن المنذر وابن وزير إلى إمامهما ابن قسي وجددا له البيعة ، فأقر ابن المنذر على إمارة شلب ، وابن وزير على إمارة باجة ، ومن هذا أخذ ابن قسي يشعر بسلطانه وقوة دعوته ، فأضحى لا يخشى بطش المرابطين الذين أخذت شمس دولتهم تؤذن بالمغيب ولكن انتصارات عبد المؤمن وتطلعه الى الاندلس التي هي جزء من دولة المرابطين أخذ يقض مضجعه(١) .

ويبدو أن ابن قسي حاول في تلك المدة ، أن يتصل بالموحدين لأول مرة ، فأرسل اليهم رسولا يحمل رسالة تشتمل على معاني كريمة ، ولكن ابن قسي لقب نفسه فيها بلقب الإمام المهدي فأنكر عبد المؤمن عليه هذا الادعاء ؛ لأن الإمامة والمهدية منحة خص الله بها المهدي ابن تومرت فقط في نظر الموحدين ، ولذلك لم تحقق الرسالة الغرض المقصود ، وهو ايجاد صداقة بين ابن قسي وعبد المؤمن بن علي ، بل حققت عكس هذا الغرض(٢) .

وكان لانتصار الموحدين في موقعة وهران ومصرع الامير تاشفين بن علي سنة (٥٣٩هـ/١١٣٤م) ، وقع عظيم في الاندلس ، واكبر حافز للعناصر الثائرة ، على أن تمضي قدما في ثورتها(٣) ، فقد أوعز إلى تابعه المخلص الفقيه ابن المنذر أن يضاعف أعمال الجهاد والفتح ، فأمر ابن المنذر بإحضار حشود المريدين وتوجه بهم الى إمامه ابن قسي الذي منحه لقب العزيز بالله . عندئذ خرج ابن المنذر في قواته ، وعبر نهر وادي يانه ، وسار الى مدينة ولبة الواقعة شرقي النهر المذكور، ثم استولى على مدينة لبلة بمعاونة يوسف بن احمد البطروجي ، احد زعماء المريدين في تلك الناحية ثم اشتد

(١) ابـن الابـار ، الحلـة السـيراء : ج٢/ ١٩٨، ١٩٩ ؛ ٢٠٢ ، ٢٠٣ ؛ عنـان ، عصـر المـرابطين والموحدين : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٢) ابن الخطيب ،اعمال الاعلام ، تح: احمد مختار العبادي : ٢٥١ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٠٩ .

(٣) ابن خلدون ، العبر : ج٦/ ٣٠٨ .

طموحه ، فرغب في الاستيلاء على مدينة إشبيلية ، ولكن يحيى بن غانية قائد الجيش المرابطي داهم ابن المنذر قبل ان يدخل إشبيلية وفتك بكثير من جيش المريدين ففر ابن المنذر ناجيا بنفسه الى لبلة ، ثم الى شلب مقر اقامته . وكـــان بإمكان القائد يحيى بن غانية أن يقضي على ثورة المريدين نهائيا لو استمر في مطاردتهم ، ولكنه لم يفعل ؛ إذ ترامت اليه الأخبار بقيام القاضي ابن حمدين بالثورة في مدينـــة قرطبة ، ولما علم ابن قسي بما وقع من اضطرام الثورة في قرطبة ، أمر ابن المنذر أن يحشد قواته ، وأن يسير ومعه ابن القابلة كاتب ابن قسي وصاحبه الأثير الى قرطبة ، ليحاول دخولها ، وبعث الى نفر من انصاره بقرطبة ليعملوا على بث دعوته ، وهم المريدون بالربض الشرقي وعلى رأسهم ابو الحسن بن عتيق بن مؤمن ، وترغيب العامة في قبولها فسار ابن المنذر وصاحبه في عسكر شلب ولبلة ، لكن أهل قرطبة استدعوا لرئاستها سيف الدولة احمد بن عبدالملك بن هود وهو من بني هود ملوك مملكة سرقسطة ، وطردوا ابن حمدين ، فارتدوا خائبين الى الغرب ، وفشلت محاولة ابن قسي في مهدها ، وبذلك تحطمت امال المريدين في الاستيلاء على قرطبة ، كما خاب مسعاهم في الاستيلاء على إشبيلية(١) ، كانت العلاقات قد ساءت بين ابن قسي ، وحليفه السابق سيدراي بن وزير صاحب باجة ؛ لان ابن قسي قد دبر القبض عليه حينما وفد عليه بميرتلة أثناء غيبة المنذر وخلعه ، ثم اطلق سراحه ورده الى ولايته ، ولما عاد ابن المنذر خائبا من حملة قرطبة ، حاول ابن قسي ان يتفاهم مع سيدراي ، ولكن سيدراي ارتاب في مقصده ، وابى الاستجابة له ، فبعث ابن قسي ، ابن المنذر لمحاربته ، فهزمه سيدراي وقبض عليه ، ثم زحف على شلب وانتزعها(٢) ، ثم أستولى على ميرتلة ، وأعلن خلع ابن قسي والدعوة لابن حمدين صاحب قرطبة ، وذلك في شعبان من سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) (٣) ، فلم يجد ابن قسي مناصـــا من الفـــرار لينجو بحياته ، ثم عبر البحر واتصل بالخليفة عبد المؤمن بن علي

تائبا مستغفرا ، فغفر له عبد المؤمن ما بدر منه من ادعاء

(١) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/٢٠٤ـ٢٠٦ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣١٠ .
(٢) ابن الخطيب ،اعمال الاعلام ، تح: احمد مختار العبادي : ٢٥١ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣١٠ .
(٣) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/٢٠٧ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣١٠ .

كاذب للإمامة والمهدية ، وأنزله منزلا كريما ، ويختلف المؤرخون في تعيين الزمان والمكان اللذين قابل فيهما ابن قسي الخليفة عبد المؤمن بن علي ، فابن الابار(١) يذهب الى انهما التقيا في ربيع الاخر سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) وان لقائهما كان بمدينة سلا(٢) . وابن خلدون(٣) يذكر انهما التقيا بمدينة مراكش سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) بعد ان استولى الخليفة عبد المؤمن بن علي على المدينة المذكورة وانهى حكم المرابطين . ومما لاريب فيه أن مقابلة ابن قسي للخليفة عبد المؤمن كانت من اعظم الحوافز التي دفعت الخليفة عبد المؤمن الى الاسراع في ارسال الجيوش الموحدية الى الاندلس لضمها إلى دولته .

ــ أسباب فشل حركة المريدين

ــ فقدان ابن قسي لعصبية قبلية تحميه وتشد من أزره وتقوم بأمره ، على النقيض من حركة الموحدين بزعامة ابن تومرت التي قامت في وسط قبيلة مصمودة التي دافعت عن الحركة وكانت وراء نجاحها .

ــ لم تكن لثورة المريدين برنامج محدد واضح ، أو تخطيط منظم أو حتى شعار لها سوى ما ذكر من قيام المريدين " بالتهليل والتكبير" ولم تذكر أسباب واضحة للقيام على المرابطين كاتهامهم بالخروج عن الدين وتقصيرهم في الجهاد .

ــ تأثير قوة الجيش المرابطي ، وافتقار المريدين إلى التمويل ، فضلاً عن افتقار الحركة للتنظيم والتخطيط .

ــ كان ابن قسي في الواقع يتخذ الصوفية قناعا لمشاريع يضمرها ، ويدعو إلى الثورة في الباطن سراً ، وفي الحقيقة أداة سياسية استخدمها ابن قسي في تحقيق مطامعه للوصول إلى الحكم .

(١) الحلة السيراء : ج٢/ ١٩٩ ، ٢٠٠ .

[٢]سلا : اسمها بالعجمي شلة ، وهي مدينة أزلية بأقصى المغرب فيها آثار للأول ، وهي معروفة بضفة الوادي ، موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذاها البحر والنهر ، فالبحر شماليها ، والنهر غربيها ، وفي غربي هذا النهر اختط عبد المؤمن مدينة سماها المهدية . ياقوت الحموي : معجم البلدان : ج٣/٢٣١ ؛ كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري ، الاستبصار:١٤٠.

[٣]العبر : ج٦/ ٣١٢ .

المبحث الثالث : الثورات في شرق الاندلس (ثورة القضاة)

أولاً : ثورة بلنسية :

تعد بلنسية اهم قواعد المرابطين في شرق الاندلس وذلك ؛ لموقعها الجغرافي والاستراتيجي ، ولذلك اولوها عناية خاصة فعهدوا بولايتها لصفوة من اقربائهم وخاصتهم[١] . كان والي بلنسية في الوقت الذي احتدمت فيه الثورة في غربي الاندلس وفي قرطبة ابو محمد عبدالله بن محمد بن علي اخو يحيى بن غانية ، وقاضيها يومئذ مروان بن عبدالله بن مروان بن عبدالعزيز(ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) ، وقد ولاه الامير تاشفين بن علي هذا المنصب في الرابع والعشرين ذي الحجة سنة (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) ، فلما خلع ابن حمدين طاعة المرابطين في الخامس من رمضان سنة (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) ، اجتمع في الحال واليها المرابطي عبدالله بن محمد بن غانية وقاضيها مروان بن عبدالعزيز ، بالرغم من عدائهما ، لمواجهة الموقف المتفجر، واتفقا في هذا الاجتماع على الائتلاف والتعاون لتهدئة الحال بالمدينة ، ثم جمع القاضي مروان بن عبدالعزيز أهل بلنسية في مسجدها الجامع ، فخطب فيهم وذكرهم بجهاد المرابطين ضد النصارى ، ونصرهم لقضية الأندلس ، وتحريرهم بلنسية من ايدي القشتاليين ، وحثهم على التمسك بدعوة المرابطين ، ثم أعقبه ابن غانية والي بلنسية فحدثهم بمثل ذلك ، وذكر الناس بأيام عمه يحيى بن غانية ، وما كان بينه وبينهم من مودة ، كما ذكرهم بأعماله الجليلة وبكفاءته العالية ودفاعه المشرف عن شرق الاندلس[٢] .

وعلى أثر ذلك هدأت الاحوال نسبيا في بلنسية ولكن هدوءاً مشوبا بالتوتر، ولاسيما أن التفاهم الذي تم بين والي المدينة المرابطي وقاضيها كان في الحقيقة قناعاً زائفاً ، يخفي وراءه عداءاً حقيقياً يضمره احدهما للآخر ، فنمى

من القول الى الوالي عبدالله بن غانية عن القاضي مروان بن عبد العزيز

(١) كان على ولاية بلنسية الامير مزدلي من اكابر المرابطين ، وهو ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي حررها من النصارى منتصف رجب سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠٢م) . ابن عذاري ، البيان المغرب : تح : احسان عباس :ج٤/ ٦٢ ؛ ينظر : عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي: ج٤ / ٣٦١ .

(٢) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/٢١٨ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

وأصحابه ما أوجس خيفته ، فبعث بأهله وأمواله خفية الى شاطبة(١) ليلة الاربعاء الثامن عشر من رمضان سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) ، وبقي هو بولجة بلنسية ، واشتبك أنصاره مع عسكر بلنسية واضطر في النهاية الى أن يلوذ بالفرار في صحبه الى شاطبة(٢) .

ترأس القاضي بن عبدالعزيز بلنسية بعد فرار المرابطين ، وتمت له البيعة في صفر من سنة (٥٤٠هـ / ١١٤٥م) ، أي بعد ايام قليلة من بيعة ابن حمدين بقرطبة ، غير ان بعض القضاة امتنعوا عن بيعته ؛ تمسكا ببيعة المرابطين ، ومن باب التحوط وعدم الدخول في الفتنة ، وعندما طلب القاضي ابن عبد العزيز من القاضي جعفر بن الحسين بن أبي البقاء بن فاخر بن الحسين الاموي شهادته في بيعته رفض قائلا : ((والله لاافعل وبيعة تاشفين في عنقي)) . ثم قال : اللهم اقبضني اليك فتوفي من ليلته ودفن من الغد (٣) . وكان على القاضي ابن عبدالعزيز أن يصد هجمات المرابطين الذين تجمعوا بشاطبة وأخذوا يهاجمون بلنسية وأحوازها ، فولّى عبدالله بن عياض الثغر وما والاه ، وضم إليه ما كان بأيدي اصهاره بني مردنيش قبل ظهورهم ، واستدعى أجناد الثغر ، وطلب النجدة من صديقه قاضي مرسية . أبي جعفربن أبي جعفر . وقد تعاون القاضي ابن عبد العزيز وابن أبي جعفرعلى حصار شاطبة ، وكلاهما يضمر في نفسه الفوز بها ، ويرى أنه أحق بها من الآخر(٤) ، وعندما رأى عبدالله بن غانية توافد القوات لمعاونة القاضي ابن عبد العزيز ، وتشديد الحصار على أهل شاطبة ، أدرك عدم جدوى بها ، فخرج منها ، ولحق بالمرية ، ومن هناك نقله أمير البحر محمد بن ميمون قائد الاسطول المرابطي إلى جزيرة ميورقة ، ليلحق بأبيه الوالي عليها(٥) .

(١) **شاطبة** : مدينة بالاندلس جليلة متقنة حصينة لها قصبتان ، وهي كريمة البقعة كثيرة الثمرة عظيمة الفائدة طيبة الهواء ، وهي قريبة من جزيرة شقر ، وفيها بنيان قديم من عمل الاول وهي حاضرة أهلة بها جامع ومساجد وفنادق واسواق ، وقد احاط بها الوادي ، الحميري ،الروض المعطار: ٣٣٧ .

(٢)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/٢١٨ ، ٢١٩؛عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٥٥

(٣)ابن الابار، التكملة : ج١/ ١٩٥ ؛ النباهي ، المرقبة العليا : ١٦، ١٧ .

(٤)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٢٠ .

(٥)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٢١،٢٢٢ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٥٦ ؛ الأندلس في نهاية المرابطين : ٨٨ .

بعد هروب عبدالله بن غانية ، سلمت قلعة شاطبة صلحا ، وانضمت الى القاضي ابن عبدالعزيز مدينة لقنت(١) وما يجاورها بعد مقتل ابن أبي جعفر بجهة غرناطة ، غير ان القاضي ابن عبدالعزيز لم يكن في مستوى المسؤولية التي تقلدها ، كغيره من القضاة المنتزين ، فلم يلبث أن اصطدم بتمرد الجند ، لقصوره في دفع مرتباتهم ، بعد أن عجز عن جباية الاموال ، وفشل في تقديم المال لما تتطلبه المصالح العامة ، فكرهته رعيته بعد أن ضاقت بكثرة مطالبه ، فراسل جنده عبدالله بن عياض بمرسية ، وطلبوا منه تولي بلنسية ، وفي الوقت نفس حاصروا قصر الإمارة ، إلا أن القاضي ابن عبدالعزيز نجح في الفرار، ولجأ إلى المرية ، واتصل بقائد الاسطول المرابطي محمد بن ميمون لتسهيل خروجه من الاندلس ، غير أن ابن ميمون سلمه لعبدالله بن غانية عدو القاضي ابن عبدالعزيز ، والذي طارده في بلنسية وشاطبة ٠ وكان ابن غانية قد وصل إلى المرية في اسطول ميورقة ، الذي يتجول في هذه المنطقة لمطاردة سفن الممالك النصارى ، فلما قبض على ابن عبد العزيز حمله معه الى ميورقة ، ولبث في السجن أكثر من عشر سنين الى أن خلصه الوزير أبو جعفر بن عطية (٢) (٣) ، فتقلبت به الايام الى ان توفي بمراكش سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)(٤) .

---

(١)**لقنت :** وهي مدينة صغيرة بالاندلس عامرة ، وبها سوق ومسجد ، ويتجهز منها الى جميع بلاد البحر ، وبها فواكهه ، ولها قصبة منيع جدا ، وبينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلا . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٧٠ .

(٢)**أبو جعفر بن عطية :** هو أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي ، من أهل مراكش ، وأصله القديم من طرطوشة ، ثم بعد من دانية يكنى أبا جعفر ، كان كاتبا بليغا ، منقاد القريحة ، سيال الطبع ، أخذ عن أبيه ، وعن طائفة كبيرة من أهل مراكش ، كتب للامير علي بن يوسف بن تاشفين ؛ ولابنه الامير تاشفين بن علي ؛ وأبي إسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف ، وكان أحظى كتابهم ، وكتب للخليفة عبد المؤمن وقلده الوزارة ، لكنه جرت له معه محنة أدت في النهاية إلى مقتله إذ توفي في محنته سنة (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) . ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/ ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧١ .

(3) ابن الابار ، معجم اصحاب الصدفي : ١٧٢ ؛١٩٢ ؛ ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/٢٢٥ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(4) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/٢٢٥ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعــلام ، تح :: ٢٥٦ .

ثانياً : ثورة مرسية :

تقع مرسية في النصف الجنوبي من شرقي الاندلس ، وتعد القاعدة الثانية لشرق البلاد بعد بلنسية ، ، وكانت مركزاً دفاعياً مهماً يماثل ما كانت تحتله بلنسية في النصف الشمالي ، ولذلك نجد صلة وثيقة بين هاتين القاعدتين من احداث وتطورات سياسية وعسكرية ، وقد كان هذا شأنهما حينما اشتعلت نيران الثورة ضد المرابطين وسائر قواعد الاندلس في غرب البلاد وشرقها[1] . كانت الثورة قد شبت في مرسية في الوقت نفس الذي اضطرمت فيه في قرطبة ، وقد ترأس المدينة أحد المريدين المعروفين وهو القاضي ابو محمد بن الحاج اللورقي[2] إذ دعا لابن حمدين ، غير أنه لم يلبث سوى أيام من شهري رمضان وشـــوال من سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) ، بسبب ما تعرض له من متاعب[3] ؛ وهذا أطمع سيف الدولة بن هود في مرسية ، فغادر عندئذ مقره ، وأخذ يترقب الفرص هنا وهناك ، فلما نمى إليه ما وقع في مرسية ، بعث اليها قائدا من قواده يدعى عبدالله بن فتوح الثغري ، فأخرج منها ابن الحاج ودعا لابن هود ، ولكن الثوار أجبروه على الخروج منها ، ونصبوا الفقيه القاضي أبو جعفر محمد بن عبدالله بن أبي جعفر الخشني واليا عليهم ، فــي آخــر شــوال مــن الســنة المــذكورة ، فلبــث فــي منصــبه حتــى اوائــل ســنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م)[4] ، وكان غير راغب بالإمارة ويقول : انها ((ليست تصلح لي ولست باهل لها ، ولكني اريد أن امسك الناس بعضهم عن بعض حتى يجيء من يكون لها أهــلا))[5] . ولمــا ســار القاضــي مــروان بــن عبــدالعزيز أمــــير بلنســية الـــى

---

(1) عنان، عصر المرابطين والموحدين : ٣٥٧ .

(2) **بن الحاج** : هو عبدالرحمن بن جعفر بن ابراهيم بن احمد المعافري ، عرف بابن الحاج ، أديب زاهد عارف ، من اهل بيت جلالة ورياسة وتقدم ، ذو الوزارتين من اهل لورقة سكن مرسية ، وابوه ذو الوزارتين ابو الحسن جعفر ، برع ابو محمد في الاداب وهي بضاعته وصناعته ، استدعي للكتابة بحضرة مراكش سنة (٥٢٨هـ/ ١١٣٣م) ثم استعفي وانصرف الى مرسية مهاجرا خدمة الامراء

ومواصلا خدمة الفقراء زاهدا في الدنيا وراغبا في الآخرة ، توفي بعد سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) . ابن الابار ، معجم اصحاب الصدفي : ٢٣٣، ٢٣٥ ؛ ينظر : الضبي ، بغية الملتمس : ج٢ /٤٧٠ .

(٣)ابن الابار ، معجم اصحاب الصدفي : ٢٣٣ ، ٢٣٥ ؛ ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٢٧ ؛ الضبي ، بغية الملتمس : ج٢/٤٧٠ .

(٤)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/٢٢٧، ٢٢٨ ؛ ابن الخطيب ،اعمال الاعــلام ، تح : احسان عباس : ٢٥٨.

(٥) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٢٨ .

شاطبة لمقاتلة من امتنع بها من المرابطين ، سار الفقيه ابن ابي جعفر في بعض قواته لمعاونته ، ثم سار من مرسية في قواته مرة اخرى لمعاونة القاضي ابن اضحى[١] زعيم الثورة في غرناطة ، على قتال المرابطين ، وروي ان قوات ابي جعفر بلغت في هذه الحمــلة اثني عشر الف مقاتل بين فارس وراجل ، فخرج المرابطون الى لقائه في جموع كثيفة ، ونشبت بين الفريقين في ظاهر غرناطة ، موقعة عنيفة ، هُزم فيها ابن ابي جعفر وقُتل[٢] . الا ان ابن الابار[٣] ، نقل الينا عن ابن صاحب الصلاة رواية اخرى ، خلاصتها ((ان عبدالله الثغري كان قائدا بكونكة[٤] ، فلما سمع بقيام ابن حمدين خرج إليه وأقام لديه ؛ واتفق أن وصلته مخاطبة أهل مرسية يذكرون تقديمهم أبا محمد بن الحاج ، وانه استعفى من ذلك ، فأنفذ إليهم الثغري والياً ، وقدّم أبا جعفر بن أبي جعفر قاضياً ، قال : فورد يوم الثلاثاء منتصف شوال سنة تسع وثلاثين . وظهر من أبي جعفر حب الرئاسة ، فحشد الناس لقتال الملثمين بأوريولة ، وغدر بهم عند نزولهم على الأمان فقتلهم ، ثم داخل أهل بلده مرسية في أن يؤمروه ، ويتقدم للقضاء أبو العباس بن الحلاّل ولقيادة الخيل عبدالله الثغري ، فلم يخالفوه))[٥] .

---

(١) **ابن أضحى** : هو علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن أحمد بن أضحى الهمداني من همدان ، يكنى ابا الحســن ، ولد في المرية سنة (٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م) وولي قضاءها بعد أبي عبدالله محمد بن يحيى بن الفرا الزاهد ، وأعيد ثانية ، كان أبي النفس عالي الهمة فقيها يناظر عليه ، أديبا ، صاحب بديهية ، ولما دعا ابن حمدين لنفسه بقرطبة ، خاطب ابن أضحى يخصه على اتباعه وهو إذ ذاك بغرناطة ، فقام بدعوة ابن حمدين ، وتابعه أهل غرناطة ، وأخرجوا المرابطين من المدينة ، وتوفي ابن أضحى بعد هزيمة ثوار غرناطة أمام المرابطين . ابن الابار ،الحلة السيراء : ج٢/٢١١ ،٢١٢ .

(٢)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٢٨ ؛ عنان ،عصر المرابطين والموحدين : ٣٥٨ .

(٣)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٤)**كونكة**: وتكتب قونكة مدينة من اعمال كورة شنترية ، وكانت كونكة من امنع حصون الثغر الادنى ، ولهذا فأننا نظن ان عبدالله الثغري لأنه كان قائد في هذا الحصن ، وكانت كونكة في اثناء الفتنة تابعة لبلنسية ، وفي عصر الموحدين اشتد الصراع حول كونكة ، أسلمها صاحب بلنسية الى الفونسو الثامن

ملك قشتالة في مقابل سكوته عنه ، وكان ذلك في سنة (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) ثم أصبحت مدار حرب طويلة بين مملكتي أراغون وقشتالة . ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/هامش ٢٢٨ .

(٥)**أوريولة** :هي احدى المدائن السبع التي عاهد عليها تدمير ، كان حصن أوريولة قاعدة تدمير، ومدينة أوريولة قديمة أزلية وكانت قاعدة العجم وموضع مملكتهم ، وتفسيرها باللطيني (الذهبية) ، ولها قصبة في نهاية الامتناع على قمة جبل ، ولها بساتين وجنات كثيرة ، وبينها وبين مرسية اثنا عشر ميلا ، ولي قضائها القاضي ابو الوليد الباجي . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس: ٣٤ .

وبعد انعقاد البيعة لابي جعفر نبذ طاعة ابن حمدين ، ودعا لنفسه ، واقتصر لقبه على (الامير الناصر لدين الله) واسقط منه لقب (الداعي لإمام المسلمين) وهو اللقب الذي اتخذه لنفسه القاضي ابن حمدين، وقبض على الثغري فسجنه وصهريه ابني مسلوقة ، وصير قيادة الفرسان لزعنون احد وجوه الجند ، ثم توجه الى شاطبة معينا للقاضي ابن عبد العزيز في حصار المرابطين الممتنعين بقصبتها ورئيسها أذ ذاك عبدالله بن محمد بن غانية فثارت العامة بمرسية عند غياب ابن ابي جعفر عنها ، واطلقوا سراح الثغري وصهريه ، فلحق بها وأطفأ العداوة والحقد التي وقعت بين القوم ، وهرب الثغري الى كونكة ، وعاد ابن ابي جعفر الى حصار شاطبة طمعا في الاستيلاء عليها ، الى ان هرب عبدالله بن غانية منها ، فلحقه ابن أبي جعفر، ولما تغلب القاضي ابن عبدالعزيز على شاطبة ، عاد ابن ابي جعفر الى مرسية وذلك في صفر سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) . توجه بعد ذلك ابن ابي جعفر الى غرناطة مغيثا اهلها ، فلقيه المرابطون بخارجها فهزموا جموعه وقتلوه سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)(١) .

(1)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج2/ 229 ، 230 .

المبحث الرابع : الثورات في جنوب الاندلس (ثورة القضاة)

اولاً : ثورة غرناطة :

كانت غرناطة في البداية مقر الحكومة المرابطية بالأندلس ، ثم رآى الأمير علي بن يوسف أن ينقل مركز الحكم إلى قرطبة ، وذلك حينما أصدر مرسوما في سنة (526هـ/ 1131م) بتعين ولده الأمير تاشفين ، متولياً شؤون الاندلس، واليا لقرطبة ، وأن يجعلها مقّر للحكم[1] .

اندلعت الثورة في مدينة غرناطة في سنة (539هـ/ 1144م) في الوقت نفسه الذي قامت فيه ثورة قرطبة ، وربما اقتدت غرناطة بقرطبة في ثورتها ، وكان على رأس ثوار غرناطة القاضي ابو الحسن علي بن عمر بن أضحى ، ولما انقضت دولة المرابطين في سنة (539 هـ/ 1144م) كان ابن حمدين يطمع في الاستيلاء على غرناطة بعد جلاء المرابطين عنها ، أذ أوعز الى ابن أضحى زعيم الثوار بها ، بأن يدعو له ويتبعه ، موهما إياه أن ذلك هو الوسيلة الوحيد لنجاح الثورة ، وقد اشتبكت قوات ابن أضحى مع قوات المرابطين داخل غرناطة ، وكان على رأس القوات المرابطية علي بن ابي بكر المعروف بابن فنو[2][3] ، وقد هزم ابن فنو قوات الثوار وشتت شملهم ، فاضطر ابن أضحى الى الاستنجاد بابن حمدين ثم بصديقه ابن جزي قاضي جيان ، وبالرغم من أن ابن حمدين أنجده بقوة على رأسها ابن أخيه المعروف بابن أم العماد فإنّ هذه النجدة لم تغير من تفوق المرابطين مما جعل الثوار يتشككون في كفاءة قيادة الثورة ، لهذا طلبوا إسناد القيادة الى سيف الدولة ابن هود الذي تغلب على جيان وغيرها من البلاد بعد فراره من قرطبة ، فقبل ابن أضحى هذا الرأي عن طيب خاطر ، ولكن استقدام ابن هود الى غرناطة قد أغضب ابن حمدين الذي كان يطمح الى الاستيلاء على غرناطة ، واستغلال ضعف ابن أضحى في تحقيق هذه الأمنية ، ثم أشترك سيف الدولة ابن هود وابن أضحى في العمل

ضد المرابطين ، ولكن استعانة الثوار بابن هود لم تغير الموقف ، فقد نشبت معركـــة بين الثوار بقيادة ابن هود وبين المرابطين، وكان ذلك في التاسع عشر من ذي الحجة من سنة

---

[١]عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣١١ .

[٢]**فنو** : هي ابنة يوسف بن تاشفين ، وقد تزوجت من ابن عمها أبي بكر بن يحيى بن ابي يحيى ابن تاشفين وانجبت منه عليا المذكور اعلاه . ابن الابار ، الحلة السيراء :ج٢/هامش٢١٢ .

[٣]ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢١١ ،٢١٢ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣١٦ .

(٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) ، وتبع الهزيمة موت ابن أضحى حتف انفه ، وإصابة الامير عماد الدولة ابن سيف الدولة بجرح خطير أودى بحياته ، مما فت في عضد سيف الدولة وزهده في قيادة الثورة ، ثم حمله على الفرار ، وقد اضطر الثوار أن يقدموا طاعتهم للقائد المرابطي ميمون بن بدر بن ورقاء الذي خلف ابن فنو[١] . وهكذا فشلت ثورة غرناطة كما فشلت الثورة بقرطبة ، واستمر المرابطون قابضين على زمام الامور في هاتين المدينتين اللتين تُعدّان اعظم مدن الاندلس .

ثانيا : ثورة مالقة :

قامت الثورة في مدينة مالقة ضد الحكم المرابطي بزعامة القاضي أبي الحكم بن حسون الكلبي في الوقت الذي اشتعلت فيه ثورة قرطبة وغرناطة ، ولم يكن ابن حسون في ثورته تابعا ولا داعيا لغيره إذ دعا فيها لنفسه ، واستطاع أن يقهر المرابطين بعد أن حاربهم ستة أشهر ، وأن يؤسس إمارة مستقلة ، وتسمى بالقاب الامارة ، وعين أخاه أبا الحسن قائدا لقواته ، وأسند اليه ولاية قرطمة وما إليها وهي من أعمال رية[٢]. ولكن المرابطين استمروا في مهاجمته ومضايقته في أنتقيره وهو حصن بين مالقة وغرناطة شمال غربي مالقة ، وغيرها من الحصون المجاورة ، مما جعله يلقي نفسه في أحضان النصارى ، فكان بفعلته كالمستجير من الرمضاء بالنار، ثم أنه بتحالفه مع النصارى أفقد نفسه كثيرا من ثقة الناس به ، ووضع نفسه أمام التاريخ في مصاف أمراء المسلمين الخائنين ، الذين آثروا الدنيا على الدين ، وزاد الطين بلة أن ابن حسون بتحالفه الجديد ، اضطر إلى إثقال كاهل الناس بالضرائب ليفي بالمطالب العسكرية المفروضة عليه ، فكرهه الناس وتآمروا عليه ، وقام بتنفيذ المؤامرة قائد حرسه الخاص ويدعى اللوشي فاستطاع المتآمرون أن يملكوا قصبة مدينة مالقة دون مشقة ، وأن يحاصروا قصر ابن حسون ، فـــدافع عن

نفسه بأقصى ما يستطيع ، فلما نفدت جهوده ، وقتل أخاه ، وايقن بالهلاك ، ودخـــل داره واراد ، أن يقتل نسائه وبناته ؛ صونا لشرفهن ، ولكنهن اعتصمن منه ، فعمــد إلى إتلاف

---

(١)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢١٢ ، ٢١٣، ٢١٥ ؛عنان ،عصر المرابطين والموحدين: ٣١٦ .
(٢) **رية** : وهي مدينـــة محصنة ، تقع غرب مالقة ، كورة من كور الأندلس ، في قبلي قرطبة ، نزلها جند الاردن من العرب . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ٧٩ .

كتبه وخزائنه وذخائره ، ثم تناول سمّا فلم يقتله لفوره ، فتحامل على نفسه ، وطعن نفسه طعنة قاتلة ، فمات بعدها بيومين في ربيع الاول من سنة (٥٤٧هـ/ ١١٥٢م) ، فاجتز أعداؤه رأسه ، وبعثوا به الى عبد المؤمن بمراكش وبيعت نساؤه وبناته ، فكانت نهايته من اشد النهايات إيلاما ونكالا بالرغم من أنه نجح في ثورته واستطاع أن يحافظ على استقلال مالقة نحو ثمان سنوات[١] .

ثالثا : ثورة رندة[٢] :

تزعم ثورة رنده الاديب المعروف أخيل بن ادريس الرندي[٣] واستطاع أن يطرد المرابطين وأن ينشئ حكومة مستقلة ، ولكن حساده سعوا الى اسقاطه ، إذ اتصلوا سرا بأبي الغمر السائب بن عزون الذي ينتمي الى بني غانية صاحب شريش[٤] ، وأوحوا إليه بالاستيلاء على رنده فاستطاع أبو الغمر بخداع أخيل وأن يستولي على قصبة رنـــده الشهيرة المنيعة دون قتال ، كما استولى على امواله ، وخــلع طاعة ابن حمـــدين ، ودانت له المعاقل المتصلة به ، وقيل سجن أخيل ثم سرحه ، فكان عند أبي الحكم بن حسون بمالقة ، ومنها أبحر الى المغرب ونزل في كنف عبد المؤمن ،واتصل بأبي جعفر بن عطية الوزير ، وعلى يديه أعيد ماله ، ولم يزل هناك مكرما ، ولما استولى الموحدون على الاندلس قلدوه قضاء قرطبة ، ثم نقلوه الى قضاء إشبيلية حيث توفي بها سنة (٥٦١هـ/ ١١٦٥م)[٥] .

---

(١)ابن الخطيب ، اعمال الاعـــلام ، تح : احسان عباس : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ؛ عنان ،عصر المرابطين والموحدين : ٣١٩ ، ٣٢٠ .
(٢) **رندة** : بالأندلس من مدن تاكرنا ، وهي مدينة قديمة ، بها أثار كثيرة ، وهي على نهر ينسب اليها ، وبقرب مدينة رندة عين تعرف بالبراوة ، وتجري من أول الربيع إلى أخر الصيف . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ٧٩ .
(٣)**أخيل الرندي** : هو أخيل بن إدريس الرندي ، كان كاتبا وشاعرا واديبا ، كتب في بداية حياته للمرابطين ، وكان سمحا ، جوادا ، بليغا ، مدركا ، وكان وثيق الصلة بابن حمدين منذ كان متوليا لقضاء قرطبة ، فلما قام ابن حمدين دخل في خدمته وكتب له ، فلما استرجع ابن غانية قرطبة وخرج

ابن حمدين لحق أخيل برنده بلده ، واستبد هو الاخر بمقاليد الامور ، إلا أن مدته لم تطل فقد استولى ابن عزون على رنده دون قتال ، فهرب أخيل إلى المغرب والتحق بخدمة الموحدين . ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٤١ ، ٢٤٤ .

(٤)**شريش :** من كورة شذونة بالأندلس ، وهي على مقربة من البحر ، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روطه ، بينهما ستة اميال ، وهو موضع رباط ، ومقر للصالحين ، وهي متوسطة حصينة حسنة الجهات ، فيها الكروم الكثيرة والزيتون والتين . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٠٢ .

(٥)ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٤١ ، ٢٤٢ .

رابعاً : ثورة شريش وأركش :

قام أبو الغمر بن السائب بن عزون ، بالثورة في شريش وأركش[١] وخلع طاعة المرابطين مع أنه ينتمي إلى قبيلة لمتونة ، واعلن الدخول في طاعة ابن حمدين وأرسل له أخيل بن ادريس الرندي المترئس في رندة ببيعته ، وكذلك حذا حذوهم القاضي أبو الحسن ابن أضحى في غرناطة ، فارسل ابن حمدين جيشاً لمعاونته بقيادة ابن أخيه المعروف بابن العماد ، وقوي أمره بسرعة فاستولى على أركش ثم على رندة من صاحبها أخيل بدون قتال[٢] ، فقد ذكر ابن الابار[٣] أنه : ((لحق أخيل برندة بلده واستبد بضبطها مديد ، فحسده أهلها وداخلوا أبا الغمر بن السائب بن عزون في التمكين منها ــ وهو يومئذ قائم بدعوة ابن حمدين في شريش وأركش ــ فتم ذلك . واستولى أبو الغمر على قصبة رندة الشهيرة المنعة دون قتال ولانزال ، لركون أخيل إليه وثقته به ، فنجا بنفسه وما كاد . ونهب أبو الغمر ديار أصحابه ، وخلع طاعة ابن حمدين ، ودانت له المعاقل المتصلة به ...)) ، فهرب أخيل إلى المغرب والتحق بخدمة الموحدين ، إلا أنه عند انهيار حكومة ابن حمدين خلع ابن عزون طاعة ابن حمدين ودعا لنفسه ثم انضم للموحدين ، ودخل في ركابهم عند فتوحاتهم في الأندلس ودلهم على معالمها[٤] . ولم تذكر المصادر التاريخية تفاصيل أخرى عن ثورة رندة .

(١) **أركش** : حصن بالأندلس على وادي لكة ، وهو مدينة أزلية قد خربت مرارا وعمرت وعندها زيتون كثير . الحميري ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم ، (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط١، تح: إحسان عباس ، مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ١٩٧٥م : ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٤١ ؛ دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين : ٧٩ .

(٣) الحلة السيراء : ج٢/ ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٤) دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين : ٧٩ .

خامساً : ثورة قادش

أما ثغر قادش[١] فقد استولى عليه علي بن عيسى بن ميمون قائد الأسطول المرابطي[٢] ، الذي خلع دعوة المرابطين عندما أعلن القضاة ثوراتهم في مدن الأندلس المختلفة ، ففي سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) ذهب إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي ودخل في طاعة الموحدين[٣] . ولم تذكر المصادر التاريخية تفاصيل أخرى عن ثورة قادش .

ـ اسباب ثورات القضاة

١- النفوذ المطلق للفقهاء جعل منهم طبقة متميزة استأثرت بالأحوال والسلطة ، فكان له أثر كبير في تصدر المجتمع الأندلسي .

٢- شعور الفقهاء بفقدان جاههم والنفوذ الذي تمتعوا به في ظل الدولة المرابطية بعد انهيارها أمام الموحدين ، فما كان أمامهم سوى التخلص من المرابطين بالثورة عليهم لكي يحتفظوا برئاستهم ومجدهم .

٣- شعور الفقهاء بتراجع مكانتهم بعد اكتساح المد الصوفي للمجتمع بفئاته المختلفة ، ولاسيما بعد قيام ابن قسي بثورته ، ونيته بنشر كيان سياسي صوفي ، لاسيما وأنه اكتسح مناطق جغرافية واسعة ، فكانت الثورات هي قطع الطريق أمامه وايقاف الفكر الصوفي الباطني الذي كان ابن قسي يسعى لنشره في الأندلس .

---

(١)**قادش** : أو قادس وهي جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن إشبيلية ، وطول قادس من القبلة الى الجوف اثنا عشر ميلا ، وعرضها في أوسع المواضع ميل ، وبها مزارع كثيرة الريع ، واكثر مواشيها المعز ، وفي طرف الجزيرة الثاني حصن خرب أولي ، وبه الكنيسة المعروفة بشنت بيطر ، وبها شجيرة تشبه فسيل النخل لها صمغ ، وبها أثار للأول كثيرة ، ومن أعجب الأثار بها الصنم المنسوب الى هذه الجزيرة بناه أركليش وهو هرقلس ، أصله من الروم الإغريقيين وكان من قواد الروم ، وملك اكثر الارض على زمن نبي الله موسى (عليه السلام) . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٤٥ .

(٢) أختصت أسرة بني ميمون بقيادة الأسطول المرابطي منذ عهد الأمير يوسف بن تاشفين ، فتولى عيسى بن ميمون قيادة الأسطول في قادس ، ثم صارت القيادة وإمرة البحر لأبنائه في عهد الأمير علي بن يوسف ، فأسطول المرابطين في شرق الأندلس كان يقوده أمير البحر أبو عبدالله بن عيسى بن ميمون وقاعدة هذا الأسطول في المرية ، بينما كان أخوه علي بن عيسى قائداً للأسطول المرابط في قادس ، واشتهرت عملياته الحربية في البحر المتوسط (البحر الشامي) وحمايته للسواحل المغربية . ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ١٩٣ ؛ محمود ، قيام دولة المرابطين : ٣٩٤ ،٣٩٥ ؛ دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين : ١٤٥ .

(٣) دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين : ٨٣ .

المبحث الخامس : الصراع بين المرابطين والموحدين على السلطة

لم يكن مقتل الامير تاشفين بن علي في وهران سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) نهاية لحكم المرابطين ، فقد كانت كثير من مدن المغرب ما تزال تحت حكمهم ، فالحاضرة مراكش لم تسقط بعد ، لذلك كان على عبد المؤمن[١] أن يقضي أولا على قوات المرابطين الموجودة في فاس ، ومكناس ، ثم يتجه بعد ذلك إلى مراكش[٢] . تمكن عبد المؤمن بن علي من فتح مدينة فاس بعد حصارها سبعة أشهر وذلك في ذي القعدة من سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٦م) ، أقام بها أربعة أيام ثم رحل عنها وترك واليا عليها أبا إسحاق بن جامع[٣].

لقد كان انتصار الموحدين في وهران ومصرع الأمير المرابطي تاشفين بن علي أكبر حافز للعناصر الثائرة على الأندلس لكي تتصل بالموحدين ، ولاسيما أن النصارى تكالبوا على البلاد ، فعبر عدد من الثوار الى العدوة المغربية ، وطلبوا من عبد المؤمن بن علي المعونة في الوقت الذي كانت فيه انظار عبد المؤمن تتجه صوب الاندلس بعدها

(١) **عبد المؤمن** : هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي من مواليد ضواحي تلمسان سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٥م) وهو خليفة المهدي محمد بن تومرت المؤسس الفعلي للدولة الموحدية ، واستوسق له الامر إحدى وعشرين سنة ، كان محببا الى النفوس ، مؤثرا لأهل العلم ، محبا لهم محسنا إليهم ، ويظهر التنويه بهم والاعظام لهم ، وكان نزيه النفس شديد الملوكية ، لا يرضى الا بمعالي الامور ، وكان ابن تومرت يتفرس فيه النجابة ، وينشد إذا أبصره :

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبط
السن ضاحكة والكف مانحة والنفس واسعة والوجه منبسط

، أمتد ملكه إلى المغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفريقية وكثير من بلاد الأندلس ، وتسمى أمير المؤمنين ، وقصدته الشعراء وامتدحته بأحسن المدائح ، ولما تمهدت له القواعد وانتهت أيامه خرج من مراكش إلى مدينة سلا فأصابه بها مرض شديد وتوفي في العشر الاخيرة من جمادي الأخرة من سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٢م) ، ودفن في تينمل ، وكان قد عهد في حياته إلى أكبر أولاده محمد ، وبايعه الناس ، وكتب ببيعته إلى البلاد ، فأبى تمام هذا الأمر لمحمد هذا ما كان عليه من أمور لا تصلح معها الخلافة ، وتم الاتفاق مع وجوه الدولة على ولاية أبنه أبي يعقوب يوسف ، فبايع الناس أبا يعقوب ، واتفقت عليه

الكلمة فأستوثق له الأمر. عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٢٦٥، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : م٣/ ٢٣٧ ، ٢٤٠ .

(٢) البيذق ، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت آخر القرن السادس الهجري) ، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تح : عبدالوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة ــ الرباط ــ ١٩٧١م : ٦٣ ، ٦٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ط١ ، تح : محمد ابراهيم الكتاني ؛ محمد بن تاويت ؛ محمد زنيبر ؛ عبدالقادر زمامة ، دار الغرب الاسلامي ــ بيروت ــ ١٩٨٥م : ٢٧ ، ٣٠ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ج٤/ ٢٣، ٢٤ .

الارث المهم الذي سيحصل عليه من المرابطين ، وقد خدمته الظروف في هذه المدة ، فقد ذكر المؤرخ ابن الخطيب[١] أنه : ((ولما اضطرب أمر المرابطين من لمتونة بالأندلس ، وضعفوا ، وكثرت الفتن والثوار ، واغتنم العدو ذلك ، فاستولى على البلاد ، واشتهر ظهور الدولة المؤمنية والطائفة المهدية بالمغرب ، وافتتحوا دار الملك في مراكش ، واستأصلوا أرباب الأمر ، تعلقت آمال المسلمين بهم ، واستصرخهم الناس ، وثاروا بمن ببلادهم من المرابطين ...)) ، فكان لحسن استقبال عبد المؤمن لثوار الأندلس ، ووعوده لهم أثر كبير في مبايعة عدد كبير منهم للموحدين ، ولاسيما ثوار منطقة الغرب ، ومن أوائل المتصلين بعبد المؤمن أمير البحر علي بن عيسى بن ميمون في قادش ، قدم على عبد المؤمن بن علي في أثناء حصاره لفاس في أوائل سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) ، وقدم إليه طاعته ، وعاد الى الأندلس ، وخطب للموحدين بجامع قادش ، فكانت أول خطبة للموحدين بجزيرة الاندلس[٢] ، وقد كان لانضمام ابن ميمون قائد الاسطول المرابطي إلى الموحدين ، أثر كبير في تقوية الموحدين وعبورهم إلى الأندلس . وفي أثناء حصار مراكش وفد على عبد المؤمن عدد من زعماء الاندلس الثائرين ، منهم أبو الغمر بن عزون زعيم شريش واركش ورندة ، والقاضي ابن حمدين زعيم قرطبة المعزول[٣] ، كما وفد في نفس الوقت أو بقليل زعيم ثورة المريدين أحمد بن قسي ، بعد خلعه وفقده لإمارته في شلب وميرتله على يد خصمه ومنافسه السابق سيدراي بن وزير ، فاحتفى به عبد المؤمن واكرم وفادته ، إلا أن ابن قسي كانت له اتصالات من قبل بالموحدين ، فبعد مقتل الأمير تاشفين بن علي ، واقتحام وهران ، وصل رسول من ابن قسي إلى عبد المؤمن أثناء حصار تلمسان ، غير أن عبد المؤمن تجاهل هذه الاتصالات وأهمل الرسول بسبب نعت ابن قسي لنفسه بالمهدي في رسالته ، ولما لمسه من تعاليه في الخطاب عليه ،

فلم يجاوبه[٤] . فكان لمقدم هؤلاء الزعماء وطلبهم المعونة من الموحدين للقضاء على المرابطين نتائج عملية ، شجع عبد المؤمن ليبادر بالتدخل في الأندلس ، والعبور إليها .

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٦٥ .
(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٤ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٦ / ٣١٢ .
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٢٧ .
(٤) حدد ابن الخطيب هذا اللقاء في ربيع الأخر من سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) . ينظر : ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٥١ .

ـ العبور الأول للموحدين الى الاندلس سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) :

وجه الخليفة عبد المؤمن بن علي أول جيش موحدي إلى الأندلس في سنة (٥٤١هـ / ١١٤٦م) ، بقيادة أبي إسحق براز بن محمد المسوفي الذي كان من قادة الأمير تاشفين بن علي ، ثم انحاز الى الموحدين بعد مصرع الأمير تاشفين ، وقد صحب هذا الجيش أحمد بن قسي ، ثم تبعه جيش ثان بقيادة موسى ابن سعيد ، وجيش ثالث بقيادة عمر بن صالح الصنهاجي وهما من أشياخ الموحدين[١] . ويبدو أن الزعيم أحمد بن قسي قد استطاع اقناع الخليفة عبد المؤمن بن علي بضرورة الإسراع في إرسال الجيش الموحدي للأندلس، وعدم التريث الى أن تسقط مراكش ، إذ إنّ فوضى الثورة بالأندلس ، قد استغلها النصارى على أوسع مدى مما ينذر بسقوط الحكم الاسلامي ، وكان هذا أول جيش أرسله الموحدون إلى الأندلس لإزالة ما بقي للمرابطين من سلطان . كانت مهمة الموحدين في الأندلس ، أن يقاتلوا المرابطين والثوار معا ، فعبرت جيوش الموحدين ، واستطاعوا الاستيلاء على طريف[٢] والجزيرة الخضراء من المرابطين ، وتمكنت الحامية المرابطية الخروج سالمة ، وأن تشق طريقها حتى وصلت إشبيلية[٣] .

فتحت شريش أبوابها طوعا واختيارا للموحدين ، وكان صاحبها ابن عزون قد سبق له مبايعة الخليفة عبد المؤمن ، وبذلك حصلت على حقوق ومنح خاصة ، ولقب أصحابها بالسابقين وحررت أملاكهم[٤] . اتجه الموحدون بعد ذلك إلى منطقة الغرب فأعلن يوسف بن أحمد البطروجي الطاعة ، واستولوا على ميرتلة وشلب التي سبق أن استولى عليهما سيدراي بن وزير من ابن قسي فردوا أمرها إلى ابن قسي[٥] ، تغلب الموحدون بعد ذلك على معظم مدن الغرب التي استولى عليها ابن وزير وغيره من المريدين ، ولم يكن

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٥ .
(٢) **طريف** : اسم بلد جزيرة طريف ، على البحر الشامي ، في أول المجاز المسمى بالزقاق ، ويتصل غربها ببحر الظلمة (المحيط الاطلسي) وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب ، ويشقها نهر صغير ؛ ومن جزيرة طريف إلى الخضراء ثمانية عشر ميلا . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ١٢٧ .
(٣) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ١٩٩ ؛ أشباخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين : ٢٣١ .
(٤) ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب : ١٨٨ .
(٥) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٠٠ .

الاستيلاء على قواعد المريدين في الغرب نهاية المطاف بالنسبة لهم ، بل كان مقدمة لمرحلة أهم وهي الاستيلاء على إشبيلية التي كانت ما تزال تحت سيطرة المرابطين . اتجه الموحدون إلى إشبيلية وصحبهم زعماء المريدين الذين انضموا إليهم وهم أحمد بن قسي ، وسيدراي بن وزير شيخ أهل الغرب ، ويوسف البطروجي صاحب لبلة ، ولبيدة بن عبدالله قائد شنتمرية[١] ، وجميع أهل الغرب بعسكرهم ورجالهم[٢] ، فاستولوا على طلياطة[٣] وحصن القصر، وهما قلعتا إشبيلية من الغرب ، وقد أعلنت كلتاهما الطاعة ، ثم ضربوا الحصار حول إشبيلية برا وبحرا ، ولم يطل أمد الحصار إذ لم يكن بإشبيلية سوى حامية مرابطية قليلة العدد ، فملك الموحدون المدينة يوم الاربعاء الثاني عشر من شعبان سنة(٥٤١هـ/ ١١٤٧م)[٤] .

وبعد ذلك وصل وفد البيعة من إشبيلية للخليفة عبد المؤمن بن علي في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة ، وعلى رأسهم القاضي أبو بكر بن العربي ، فلما كان عيد الاضحى أذن لهم في السلام ، وجاوبهم بالتأمين والتسكين ، والوعد الجميل المؤذن بالفتح المبين ،بعد ذلك أذن لهم بالدخول عليه في مجلسه العام بقصر الحجر ، فتقدم القاضي أبو بكر بن العربي وخطب خطبة بليغة استحسنها الخليفة ، ثم تلاه أبو بكر بن الجد بخطبة ثانية فأحسنها وأجاد ، ودفعوا له بيعة أهل إشبيلية بخطوط أيديهم فيها ، فأمر بقبولها منهم ، ثم جرى حوار بين ابن العربي والخليفة ، ثم خرجوا من عنده بخير كثير وانعام كبير ، وعندما نمى الى الخليفة أن إشبيلية ارتدت بمن فيها ، أمر الخليفة باعتقال الوفد لمدة ثلاث أيام ، إلى أن وصل الحق ببراءة أهل إشبيلية فأمر الخليفة بالإفراج عن الوفد ، وأمر لهم بالزاد الوافر على أوفى الكمال والتمام ، وأمر بصرف أموالهم وضياعهم إليهم ، وكان انصرافهم من مراكش في جمادي الآخرة من سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) ، وتوفي القاضي

(١) **شنتمرية** : مدينة في الأندلس من مدن أكشونبة ، وهي أول الحصون التي تعد لبنبلونـة ، وهـي أتقن الحصون بنيانا ، وأعلاها سمكا ، مبتناه على نهر أرغون ، وفيها عين تنفجربماء كثير إذا نظر النـاس اليها عيانا ، فإذا قربوا منها ، ووقفوا عليها انقطع جريانها . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس: ١١٤.
(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٥ .
(٣) **طلياطة** :بالأندلس ، بينها وبين إشبيلية محلة من عشرين ميلاً ، ومن طلياطة إلى لبلة محلة مثلها . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ١٢٨ .
(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٣ ؛ ابن خلدون ، العبر:ج٦ /٣١٢ ــ ٣١٣.

ابن العربي وهو على دابته في الشهر المذكور عند وصوله إلى مدينة فاس ودفن فيها[١] .

ــ تمرد الثوار في الاندلس على السلطة الموحدية :

تولى أبو أسحق براز بن محمد المسوفي شؤون إشبيلية بعد دخول الموحدين ، غير أن أخوي المهدي بن تومرت عبدالعزيز وعيسى أسـاءا التصرف ، وبغى كلاهما وطغى ، واستحلا سفك الدماء ، ونهب الاموال ، وغدت إشبيلية في ظلهما مسرحا للفوضى ، واستطالت أيدي أتباعهم على الاندلسيين المجاورين لهم ففروا أمامهم ، وتغيرا على البطروجي صاحب لبلة ، وعزما على الايقاع به ، فخرج من إشبيلية مع أصحابه متوجها إلى لبلة وثار بها ، وأخرج الموحدين منها ، وخرج على الطاعة ، ووجه الى طلياطة وحصن القصر من ملكهما وتحالف مع المرابطين بقرطبة ، وهاجموا المناطق بين لبلة وإشبيلية بمدة ثلاث سنوات (٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ هـ/ ١١٤٧ ، ١١٤٨، ١١٤٩م)[٢] . وقد اتسع الخرق على الموحدين في الأندلس ، والعدوة ، واتصلت الفتن ، إذ خرج على طاعة الموحدين ابن قسي في شلب ، وابن ميمون بقادش ، ومحمد بن الحجام ببطليوس ، وأرغم أهل إشبيلية أخوي المهدي ، عيسى وعبدالعزيز وابن عمهما يصلاتن بالخروج بمن معهم من الموحدين ، وانتفض أهل المرية على واليهم الموحدي وقتلوه ، وولوا عليهم أبا يحيى بن الرميمي[٣] ، ولم يثبت على طاعة الموحدين سوى ابن عزون صاحب شريش[٤] ، وكان خـروج هؤلاء الثوار في الوقت الذي اضطرمت فيه ثورة الماسي[٥] ،

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٣ ، ٣٤ .
(٣) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب : ج٢/ ١٩٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٦ ؛ المقري ، نفح الطيب : ج٣/٥٣٣ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٨ .

(٥)**الماسي** : وهومحمد بن عبدالله بن هود الماسي ثار ببلاد السوس الأقصى بعد فتح مراكش ، وتسمى بالهادي أقتداء بالمهدي بن تومرت ، وقد أقبل عليه الناس من كل مكان ، وقامت بدعوته عدد كبير من القبائل ، حتى لم يبق للدعوة الموحدية غير مراكش وفاس ، وكاد يضمحل وينقرض ما قاتلوا عليه منذ خمس وعشرين سنة ، وقد أستطاع ألماسي هزيمة الجيش الموحدي مما جعل الخليفة عبد المؤمن يتبعه بجيش كبير جعل على قيادته الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى الهنتاني ومعه جملة من أشياخ الموحدين ، فأستطاعوا هزيمته والقضاء على ألماسي وأكثر عسكره . ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٢ ؛ ابن أبي زرع ، روض القرطاس : ١٩٠ .

والتي ، كادت أن تقضي على الموحدين إذ لم يبقى على دعوتهم سوى مراكش وفاس[1] . وفي هذا الجو المضطراب نتيجة سوء تصرف الموحدين بالأندلس ، وانتزاء زعماء الغرب الذين سبق أن بايعو الموحدين فانتهز ابن غانية[2] الفرصة وبعث بقوة من المرابطين استولت على الجزيرة الخضراء[3] . كان لنجاح المرابطين في المغرب رد فعل لاسيما في سبتة والتي وليها الشيخ يوسف بن مخلوف التينملي من الخليفة عبد المؤمن بن علي، وفي ذلك الوقت انتشرت شائعة بين الناس بأن والي الموحدين يعتزم قتل القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي[4]، وكان أهل سبتة ينظرون للقاضي نظرة إجلال واحترام ؛ لكونه القاضي والفقيه والإمام والعالم والزعيم الروحي ؛ لذلك

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٢ ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب : ١٩٠؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٤٦ .

(٢)**ابن غانية** : هو أبو زكريا يحيى بن غانية الصحراوي وهو من قبيلة مسوفة ، وكانت أسرة بني غانية من كبار الأسر المرابطية ، ولد يحيى بن غانية في قرطبة ، وتلقى العلم فيها ، وبعد وفاة والده تزوج والي قرطبة أبو عبدالله محمد بن الحاج اللمتوني من أمه غانية هذه وكفله ونشأ يحيى في كنفه ، وولاه أبو عبدالله محمد مدينة استجة وأبلى بلاء عظيما ، ثم أقيم عاملا على مرسية وبلنسية حيث أستطاع أن يهزم الفونسو المحارب سنة (٥٢٨هـ/ ١١٣٣م) ثم تصدى لحرب الثائر ابن قسي وهزمه ، وعندما اشتد ضغط النصارى على قرطبة جاهدهم حتى ردهم عنها ، واتصل بالقائد الموحدي بزاز بن محمد المسوفي ودخل في طاعة الموحدين ، فولوه قرطبة وقرمونة في مقابل تسليمه جيان ، ثم اختلف مع الموحدين ودافعهم عن قرطبة مستعينا بالفونسو السابع ، وبمعاونته استولى على الجزيرة الخضراء ، ثم تحالف مع الثائر ابن عياض على الموحدين وتمكن من ضم سبتة الى بلاده ، وقد تجرد الخليفة عبدالمؤمن بن علي للقضاء عليه ، فتخلى عن قرطبة ولجأ الى غرناطة في ١٠شعبان /٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) ، واستمر بنو غانية شوكت في جنب الدولة الموحدية وعبرو البحر واستولوا على بجاية في المغرب ، ولم ينته أمرهم إلا في أيام ا الخليفة محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين . ابن الأبار ، الحلة السيراء : هامش / ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٨ .

(٤) **القاضي عياض** : هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ؛ وعياض بكسر العين المهملة ، وفتح الياء ، كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها (الاكمال في

شرح كتاب مسلم) ، وكتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك) وغيرها من التصاتيف المفيدة ، وله من الشعر الكثير ، دخل الأندلس طلبا للعلم ، فأخذ بقرطبة عن القاضي ابن حمدين وابن سراج ، وأخذ بالمشرق عن القاضي أبي علي الصدفي وغيره ، وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشي ، ومن شيوخه القاضي أبو الوليد بن رشد ، ونقل الى قضاء غرناطة سنة (٥٣١هـ/ ١١٣٦م) ، ثم ولي قضاء سبتة ثانية ، توفى بمراكش في جمادي الأخرة سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م) ٠ ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ج٣/ ٤٨٣ ؛ ينظر : ابن فرحون ، الديباج المذهب : ج٤٦/٢ ، ٥١ .

انقضوا على من كان بالقصبة من الموحدين وأوقدوا عليهم النار بالبرج الذي تحصنوا به حتى قتلوهم وصلبوهم . أن ما حدث في سبتة بالموحدين نصرة للقاضي عياض الذي وقف بجانب أهلها ، فحدا به للعبور الى الجزيرة الخضراء ، وقابل يحيى بن غانية ، وطلب منه أن يولي عليهم واليا من قبله بعد أن خلعوا طاعة الموحدين ، فأرسل معه يحيى بن أبي بكر الصحراوي واليا على سبتة الذي كان واليا على فاس ولكن فرّ منها عند دخول الموحدين[١] ، وكان لاستفحال الثورة ، واتساع نطاقها على هذا الشكل ، دليلا على أن الدعوة الموحدية لم تكن تأصلت بعد في نفوس معتنقيها ، ولم يؤمنوا أو يدينوا بها إلا تحت سلطان الضغط والارهاب المادي والمعنوي ، مما جعل القبائل تتلمس أي ثائر تتجمع حوله وتنقض دعوة الموحدين ، ولذلك شعر الخليفة عبدالمؤمن وأشياخ الموحدين أن الأمر سوف يخرج من أيديهم إذا لم تسحق هذه الثورات بسرعة ، وقد فعلا في القضاء على الخارجين عليهم ، وأرغمت القبائل على العودة إلى الخضوع بعد أن تعرضوا لمذبحة دموية رهيبة ، وصف تفاصيلها البيذق[٢] بما أسماه (الاعتراف) والتي راح ضحيتها الالاف من شيوخ وشباب القبائل والذين وصفهم الموحدون بأهل التخليط المعاندين ، ولما علم أهل سبتة بما نزل بالناكثين من صنوف الويل ، بادروا باعلان بيعتهم وطاعتهم ، وحمل البيعة إلى الخليفة عبدالمؤمن أشياخ المدينة وطلبتها فعفا عنهم وعن القاضي عياض ، ولكنه أمره بترك سبتة والإقامة في مراكش ، وأمر بهدم سور سبتة فهدم[٣] .

ولما علم الخليفة عبد المؤمن بن علي بما حدث بإشبيلية وغربي الأندلس ، بادر بأرسال جيش موحدي قوي برئاسة قائد من اعظم قواد الموحدين وهو أبا يعقوب يوسف بن سليمان ، عبر الى الأندلس ، واتجه رأسا إلى لبلة حيث قضى على ثورة البطروجي

وأخضعه ، ثم أخضع طلياطة وحصن القصر ،ثم اتجه الى الغرب وأخضع طبيرة فأعلن عاملها ابن مهيب الطاعة للموحدين ، وعاد ابن ميمون قائد الأسطول ووالي قادس

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٢ ؛ البيذق ، أخبار المهدي : هامش /٦٨ .
(٢) أخبار المهدي : ٦٩، ٧٢ .
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٢٧ ؛ النباهي ، المرقبة العليا : ١٠١ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٢٧٥ .

وشنتمرية الى طاعة الموحدين ، ونحا نحوه محمد بن علي ابن الحجام صاحب بطليموس ، وبعد هذا الانتصار الرائع الذي أحرزه القائد يوسف بن سليمان ثبت غربي الأندلس على طاعة الموحدين الى النهاية[١] .

ونتيجة لتدهور الأحوال في الأندلس استدعى الخليفة عبدالمؤمن بن علي شيوخ الأندلس الذين دانوا للموحدين بالطاعة لتأكيد بيعتهم في آخر سنة (٥٤٤هـ/ ١١٥٠م) وعندما وصل هؤلاء الزعماء بايعوا الخليفة على الانخلاع عن بلادهم تأكيدا لبيعتهم وحسن نواياهم[٢] ، ويبدو أن ابن قسي لم يكن مؤمنا بدعوة الموحدين ، ولامخلصا لهم عندما اتصل بهم وأنما كان غرضه أن يستعين بهم في استعادة نفوذه في شلب وميرتلة التي سلبها منه سيدراي بن وزير ، فلما وجد أنه عاجز عن مقاومة الموحدين بعد أن خضع معظم زملائه من زعماء الغرب ، تحول الى النصارى ، وبعث إلى الفونسو هنريكيز ـ والذي تسميه الرواية العربية بابن الرنق وابن الرنك يناشده التحالف والمعاونة فاستجاب له ، ووعده بالعون وارسل له بهدية تاكيدا لصداقته ، وعندما علم أهل شلب بتحول ابن قسي عن دعوة الموحدين إلى النصارى ، سخطو عليه ، وخافوا بغية هذه المداخلة ، ودبروا مؤامرة وقتلوه في جمادي الاولى من سنة (٥٤٦هـ/ ١١٥١م) ، ونصبوا مكانه لرئاستهم أبا الوليد ابن المنذر معلنين بدعوة الموحدين[٣] ، وبذلك انتهت رئاسة المريدين الذين كانوا أول من اعلن الخروج والثورة على المرابطين في الأندلس ،

(١)ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٣٨ ، ٤٠ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٢٩ .
(٢)يقول ابن عذاري : ((لما دخلوا على أبي محمد عبدالمؤمن بادر أبو محمد سيد راي بن وزير أولا وبايع على الانخلاع من بلاده باجه ويابورة وأنظارهما ، فشكر على فعله ذلك ، وأراد البطروجي أن يتكلم فلم يقدرعلى النطق ، ولا شرح بيان الحق فنقد عليه توقفه وتبين تحرجه ، لكن أمير المؤمنين

رفع رأسه للناس ، وقال مشيرا إليه ، هذا أبو الحجاج صاحبنا بالشرف ، فلم يشكره على ذلك ، ولا قبل يده ثم قام ابن عزون وبايع على الانخلاع من بلاده ، وكذلك محمد بن الحجام ، وكذلك عامر بن مهيب صاحب طبيرة ، وكذلك بايع جميع من حضر من الثوار ، وتخلف ابن قسي وأشياخ بلده شلب عن هذا الجمع ، ولم يحضر من ينبو عنه ، فظهر للخليفة فساد مذهبه وارتداده ، ثم دخل سائر الناس من الوافدين واحدا بعد واحد حتى أتموا ، وكان السبق لأهل إشبيلية ، وتكلم بهذا المجلس كل من أراد أن يتكلم من الأشياخ والأجناد ومن سائرهم ، ولم يعتب أحد عليهم ولو تكلم بكلام سخيف ، أو تظلم بطلب ضعيف ، وأنشد من الشعراء من أراد ، وأمر جميع الوفدبالأنصراف إلى بلادهم بعد إقامتهم خمسة عشر يوما ...)) . البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/٢٠٠ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام : تح: بروفنسال : ٢٥١ ، ٢٥٢ .

وشمل سلطان الموحدين كل منطقة الغرب ووسط الأندلس ، وبذلك شعر المرابطون بتحرج موقفهم وتحرج موقفهم وتضاؤل قواتهم ، ومواردهم في غرناطة ، فبعث واليها ميمون بن بدر إلى الخليفة عبدالمؤمن يعرض تسليمها ويلتمس العفو والأمان ، فأجابه الخليفة إلى طلبه ، ولأهمـية هذا الحدث للموحدين ، أرسل الخليفة عبدالمؤمن ابنه السيد أبا سعيد والي سبتة والجزيرة الخضراء لتسلم غرناطة سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م)(١).

بعد أن تمّ للموحدين الاستيلاء على غرناطة في سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م) (٢) ، استعادوا ثغر المرية ، وكان النصارى قد انتهزوا فرصة الاضطراب الذي ساد الأندلس ، عقب انهيار سلطان المرابطين ، وجهزوا حملة صليبية برية وبحرية ، اشـتركت فيـها ممالك اسبانيا النصرانية قشتالة ، ونافار (نبرة) ، واراجون ، وقطلونية ومعها أمداد من جنوة وبيزة وحشود من وراء البرنية وذلك للاستلاء على ثغر المرية ، وحاصروها برا وبحرا ، لمدة ثلاثة أشهر ، واستولوا عليها في شنة (٥٤٢هـ/ الموافق شهر أكتوبرمن سنة ١١٤٧م) (٣) .

وكان الموحدون منذ أن عبروا الى شبه الجزيرة ، واستقروا في قرطبة في أواسط الأندلس ، يتوقون الى استرداد هذا الثغر الاسلامي العظيم ، ولاسيما وان النصارى أصبحت تهدد البحرية الاسلامية(٤) والشواطيء فيما بين المغرب الأوسط وجنوبي الأندلس ، ولذلك عندما تم لهم الأستيلاء على غرناطة شعروا أن الفرصة سنحت لتحقيق هذا المشروع ،الذي كان الخليفة عبدالمؤمن يحبوه بمزيد من عنايته واهتمامه وقد ضرب الموحدون الحصار حولها براً وبحراً ، وشعرالنصارى بقصبة المرية منذ البداية بخطورة الموقف ، فبعثوا يستغيثون بعاهلـهم فهرع الفونسوا ريمندس لإنقاذ

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٥٥ ، ٥٦ .
(٢) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٩٦ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٤٦ .
(٣)ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٣٤٧ ، ٣٤٨ ؛ النويري ، نهاية الأرب : ج٢٤/ ١٦٥ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٤٦ .

(٤) اشتهر المسلمون في العصور الوسطى بقوة أساطيلهم ووفرتها ، وكان لهم كما تذكر المصادر التاريخية في كل جهة (دار صنعة) للقطائع البحرية ، ولكثرة ما ذاع ذلك يرى بعض الباحثين أن كلمة ارسنال (Arsenal) ، تحريف فقط عن (دار الصنعة) المعهودة لدى المسلمين لصنع الأساطيل البحرية . ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة : هامش : ٩٠ ؛ حسن ، علي ابراهيم ؛ حسن ابراهيم ، النظم الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ـ (د-ت) : ٢٠١ ، ٢٠٢ . ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

المحصورين وقدم معــه حليفه محمد بن سعد بن مردنـــيش[١] أمـير شرق الأندلس ، وكان مقدم الأمير المسلم في هذا الموطن ليحارب إلى جانب النصارى أبناء دينه ووطنه ، وليحول دون تحرير الثغر المسلم ، من أبشع المواقف ، مهما كان وراءه من دوافع قومية ووطنية ، وقد نجح الموحدون في دخول المرية أخر سنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) وعاد الثغر إلى المسلمين بعد أن احتله النصارى زهاء عشر سنوات ، وتوفي على أثرها الفونسوا ملك قشتالة[٢] .

(١)**ابن مردنيش** :هو أبو عبدالله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش أصله من الثغر الأعلى ، ولد في قلعة بنشكله peniscola ، وهي من أمنع قلاع طرطوشه ، وقد أختلفت الآراء حول أصل ابن مردنيش ، فالبعض يرى أنه من أصل عربي ، ينتمي الى قبيلة جذام ، والبعض الآخر ينسبه الى قبيلة تجيب ، ومما لاشك فيه أن اسم جده الثالث وهو مردنيش ليس اسما عربيا ، مما يقطع بأن نسبته الجذامية ليست صحيحه ، ونستدل على اسم اسرته على أنه أسباني الأصل ، ابن مرتين ، أو مرتينيوس أو ابن مرتينس Martinez ، وقد يكون جده مردنيش هذا دخل ولاء بعض الجذاميين وانتسب اليهم ، وهو افتراض مقبول لان دار بطون جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بالأندلس كانت ((شذونة ، والجزيرة ، وتدمير ، وإشبيلية)) ، وايا ما كان الأمر فالثابت أنه من أصل أسباني مسيحي وأن أبا جده اعتنق الاسلام ، ومع ذلك فأنه لم يتنكر لاصله الاسباني بل على الضد من ذلك أثر زي النصارى من الملابس والسلاح واللجم والسروج كما أنه يتحدث بلغتهم ، فضلا عن أن الغالبية العظمى من جنوده كانت من القشتاليين والنفاريين والقطلانيين ، وقد خصص لهم ثكنات لسكناهم واقام لهم الاحياء والحانات ، مما أثار عليه سخط المسلمين ، كما أنه كافأ احد فرسانه المسيحيين ويدعى روبت بدور دي بأن أقطعه سهلة بن رزين مع إقليمها ، وفيها اسس هذا الفارس أسقفية ، كان ابن مردنيش يتميز بالفطنة والذكاء ويجمع بين العنف واللين ، ويتمتع بقوة غير عادية وشجاعة نادرة وكان من ابطال عصره ، وكان له باع في ميدان الفسق والفجور ، وكانت سياسته مع الممالك المسيحية ودية تقام على التحالف ، وكان يلوذ بحماية ملكي أراغون وقشتالة وقومس برشلونة مقابل اتاوة يفرضونها عليه ، وكان ابن مردنيش يرتبط مع جميع الممالك المسيحية الاخرى بعلاقات من الود والصداقة ، وكان يرسل الهدايا النفيسة من الذهب وأثواب الحرير والخيول والجمال الى هنري الثاني ملك انجلترا ويتلقى بدوره هداياهم ، ولشهرته هذه وعلاقاته الطيبة ، وصلاته الحميمة بالمسيحيين ، أشاد به مؤرخو النصارى فوصفه ثوريتا Zurita بأنه أحد اعاظم أمراء أسبانيا الأسلامية ، كما أن البابا الكسندر الرابع بابا روما سماه بعد مضي قرن على وفاته ((الملك لوبو ذو الذكرى المجيدة)) lopo sao Memoria

El Rey de GLorl ، وهو الاسم الذي عرف بالمدونات المسيحية ، وكان لأنهيار سلطانه وتمكن الموحدين من بلاده وخروج معظم أخصائه وولاته عليه عجلت بنهايته فلم يلبث أن توفى في العاشر من رجب من سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧٢م) . ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ هامش ٢٣٢ ، ٢٣٣ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام : تح : ليفي بروفنسال : ٢٥٩ ، ٢٦٢ .

(١)ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٥٥ ، ٥٦ ؛ عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ــ عصر المرابطين والموحدين : ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

بعد هذه الاحداث أدرك الفونسوا السابع ملك قشتالة مدى الخطر الذي يهدد أطماعه في شبه الجزيرة ، ولم يعد يقنع بالاستيلاء على قلعة رباح(١) ، التي استولى عليها في أواخر سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٧م) ، ولم يعد يكتفي باستيلائه على بياسة وأبدة(٢)، ولم يرض بالاتاوة التي اتفق عليها مع ابن غانية ، وبدأ يشتط عليه بمطالبه ، وكان يعدُّه عاملاً له على قرطبة بعد أخراجه لابن حمدين ، ولذلك طالبه بجيان نظير تركه في حكم قرطبة(٣) ، فتظاهر ابن غانية بالموافقة على طلب الفونسوا ، واتصل سرا بأبي إسحق براز بن محمد المسوفي والي إشبيلية الموحدي ، واتفقا على الصلح بشرط أن يسلم قرطبة وقرمونة للموحدين ، ويحكم جيان عوضا عنهما ، وقد رحب الخليفة عبدالمؤمن بالمصالحة مع ابن غانية ، وواعد بتقديم المساندة والمعاونة(٤) .

وعندما علم ملك قشتالة باتفاق ابن غانية والموحدين تحرك بقواته في اتجاه قرطبة وارسل إلى ابن غانية يطالبه بالتخلي له عن جيان ، فطمأنه ابن غانية بالموافقة على طلبه فلما أرسل له رسله لتسلم المدينة قبض عليهم ، وبعث بهم الى قلعة بني سعيد (قلعة يحصب) حيث اعتقلوا بها ، فلما وصلت هذه الأخبارإلى الفونسو سارع بالعودة إلى بلاده منزعجا ، ولم يتصل بعدها بابن غانية(٥) . اتجه ابن غانية بعد اتفاقه مع الموحدين الى غرناطة ليجتمع مع من بها من المرابطين ويوضح لهم اتفاقه مع الموحدين ، وصرف الأمر اليهم ، إلا أن ابن غانية ما لبث أن توفي بعد شهرين من وصوله غرناطة يوم

(١) **قلعة رباح** : بالأندلس من عمل جيان ، وهي بين قرطبة وطليطلة ، وهي مدينة حسنة ، ولها حصون حصينة على نهر ، وهي مدينة محدثه في أيام بني أمية ، وإنما عمرت قلعة رباح بخراب أوريط ، في سنة (٢٤١هـ) أمر الأمام محمد بتحصين مدينة قلعة رباح والزيادة في مبانيها ، ثم ملكها النصارى ولم تزل في أيديهم إلى عام وقعة الارك . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ١٦٣ .

[٢]**أبذة** : مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة سبعة أميال ، وهي مدينة صغيرة وعلى مقربة من النهر الكبير ، ولها مزارع وغلات ، وقمح وشعير كثيرة جدا ، في سنة (٦٠٩هـ) مالت عليها جموع النصارى بعد وقعة العقاب حتى ملكتها بالسيف ، وقتل فيها كثير واسروا كثيرا ، وكان أهلها قد انفوا من اخلائها . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ١٥ .

[٣] ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٤٠ ، ٤١ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة : ج٤/ ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

[٤] ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٤٠ ، ٤١ ؛ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٩١ .

[٥] ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٤٠ ، ٤١ .

الجمعة ١٤ شعبان من سنة (٥٤٣هـ/١١٤٩م)، ويبدو ان ابن غانية كان يفضل الاتفاق مع الموحدين خيرا من الاتفاق مع النصارى ، بدليل ما ذكره ابن الخطيب[١] عن ابن غانية كان يقول للمرابطين في مرض موته وقد عول على التمسك بدعوتهم : ((الأندلس درقة[٢] ، وغرناطة قبضتها فإذا جشمتم يا معشر المرابطين القبضة ،لم تخرج الدرقة من أيديكم)) ، وهذا ما يفسر تمسك المرابطين في غرناطة بقيادة ميمون بن بدر بن ورقاء اللمتوني بعد وفاة ابن غانية واستمروا في مقاومة الموحدين الى سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م) .

ويبدو ان قرطبة في ذلك الوقت لم يكن بها الا حامية صغيرة بعد خروج ابن غانية منها ، ولم يكن الموحدون قد عززوها بقواتهم إلا انهم عندما حصلوا على موافقة ابن غانية ، بالتخلي لهم عنها ، لم يفتهم ان النصارى يتربصون بها ، لاسيما وانهم كانوا قريبين في حصن اندوجر ، غير أن قوات الفونسو أسرعت في دخول قرطبة واحتلالها ولكن بفضل توالي الامدادات من العدوة المغربية وسرعة وصولها إلى قوات إشبيلية استطاع الموحدون مفاجأة النصارى بقرطبة ودخولها بعد أيام قليلة من احتلال القشتاليين لها ، ولم تمض شهور قليلة حتى استعادوا جيان وبياسة وأبدة[٣] .

(1) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٤٠ ، ٤١ ؛ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٩١ .
(2)**الدرقة** : وهي الترس من جلد ليس فيه خشب ولاعقب ، والدرقة صفيحة قرنية أو عظيمة تتكون في جلد كثير من الحيوانات مثل درقات السلاحف ، وجمع درق أدراق . المعجم الوسيط : ٢٨١ .
(3)ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٤٠ ، ٤٢ .

ـ أسباب ضعف المرابطين وانهيار دولتهم :

ــ إنغماس المرابطين في حياة الترف والرفاهية على مرور الايام ، إذ سرعان ما نسي هؤلاء في غمرة هذه الحياة الجديدة المبادىء الاولى التي جعلت منهم رجال حرب أشداء مما أدى إلى تدهور حال جيوشهم في الاندلس .

ـ الضربات العنيفة التي كان يسددها نصارى اسبانيا الى الاندلس وتكتل ممالك قطلونية وقشتالة وأرغون والبرتغال ضدهم ، فضلا عن المعارك المتواصلة التي خاضها المرابطون في شبه الجزيرة ، وبالذات في شرق الاندلس والثغر الاعلى ، التي استنزفت قواهم ومواردهم ، فشغلوا بمقاتلة النصارى ، وجندوا في سبيل ذلك كل طاقاتهم ، وسخروا جميع امكانياتهم ، وكان العدو المتربص يشن الهجمات من كل مكان في الاندلس ، فقد ضعفت جهود المرابطين أمام تقاعس أهل الاندلس عن مساعدتهم ، وتخاذلهم وتراخيهم في المساهمة في مدافعة النصارى ، الامر الذي أدى الى فرض المرابطين لضريبة التعتيب أو التعطيب على أهل المرية وغيرها من مدن الاندلس المهمة ، والتي خصص دخلها لاقامة أسوار جديدة وترميم الاسوار القديمة ، وذلك عندما تعرضت الاندلس لغزو الفونسو الاول المحارب سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) ، إذ اخترق بلاد الاندلس حتى وصل غرناطة وشواطيء بحر الروم (البحر المتوسط) . ولاشك أن هذه الغارة قد أسقطت من هيبة وسلطان المرابطين ، وأشعرت الأندلسيين أن بإمكانهم الوثوب وانتزاع الأمرولاسيما بعد أن اشتد الصراع بين المرابطين والموحدين .

ــ تحالف بعض أهل الاندلس مع النصارى ضد المرابطين ، من امثال ذلك انحياز عبدالملك بن احمد المستعين (ت ٥٢٤هـ/١١٣٠م) الى جانب ملك قشتالة ، وتعلق ابنه أحمد القائم بثغر روطة باذيال الفونسوا المحارب ملك أراغون ، وتنازله عن روطة .

ـــ توالي الهزائم على المرابطين في المغرب ولاسيما بعد وفاة الامير علي بن يوسف ، إذ استغل أهل الاندلس هذه الفرصة ، وأعلنوا ثوراتهم ، فتمزقت البلاد من جديد لاسيما بعد وفاة الامير تاشفين بن علي في موقعة وهران ، فتحولت الى دويلات للطوائف من جديد ، ولعل أبرزهؤلاء الثوار : ابن وزير ، وابو محمد بن سيدراي ، ويوسف البطروجي ، ولبيد بن عبدالله بشنترين ، وابوالغمر بن عزوز بشريش ، وعلي بن عيسى بقادس ، ومحمد بن على الحجام ببطليوس ، ومحمد بن المنذر بشلب ، والقاضي ابن حمدين بقرطبة .

ـــ تسامح الامير علي بن يوسف مع المريدين ولاسيما مع زعماء الصوفية ؛ الامر الذي ادى الى زعزعة أمن الدولة ، وهذا الامر يعود بالاساس الى طبيعة وسلوك أمراء المرابطين الذي يميل الى السلوك الصوفي ، فضلا عن أن المرابطين لم ينظروا الى حركة ابن تومرت بجدية في بداية امرهاعلى العكس من موقفهم أتجاه مؤلفات الامام الغزالي ومنها كتاب أحياء علوم الدين .

ـ أعلان المهدي بن تومرت الثورة على المرابطين في بلاد المغرب ؛ مما اضطرهم إلى صرف قسم كبير من جهودهم للقضاء عليها ؛ وكان سبب ثورة المهدي بن تومرت أنه حين عاد من المشرق صدمته العقيدة السائدة في المغرب ، وظهور التقليد على أوسع نطاق وهجر الفقهاء لدراسة الحديث الشريف وما يتصل به من مصادر ، وفتوى الفقهاء للامير علي بن يوسف ، بإحراق كتب الامام الغزالي سنة (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م) ، ولاسيما كتابه المشهور إحياء علوم الدين ، وكان الامام الغزالي قد فضح فيه نزعات الفقهاء في دراساتهم الفقهية ، وحرصهم على الدنيا ، وطمعهم في الحصول على المناصب الرفيعة ؛ الامر الذي ادى الى ثورة اهل المغرب على هذا الفعل ، فضلا عن قضية تجسيم الذات الإلهية ، وإثبات صفات جسمانية للخالق سبحانه وتعالى ، التي تبناها المرابطون كونه تفسيراًحرفياً للآيات القرآنية التي فيها ذكرلصفات الله جلّ وعلا ، وهو تفسير ساذج لما تعبر عنه النصوص الأصلية ، خلاف النظرية التي كان يتبناها ابن تومرت القائلة بالتنزيه المطلق على نحو ما تعلمه ابن تومرت من أساتذته في المشرق ، واعتنقها بحماس كبير .

ـ الأزمة المالية التي اشتدت مع قيام ثورة المهدي بن تومرت قد ضاعفت من التزامات الدولة العسكرية ، وأدت إلى تدهورالزراعة والاحوال الاقتصادية بالبلاد ، وما رافق ذلك من جدب حتى جفت الارض ، وقلت المجابي ، فكثرت الضرائب على الرعية ، ولم تكن الضرائب وحدها سبباً في الثورة ، وانما الوسائل التي اتبعت في جمعها كانت سببا في تذمر الناس وثورتهم ، ولاسيما فساد عدد من عمال المرابطين وتعديهم على الرعية .

ــ تنكر أهل الاندلس للمرابطون وتحولهم عنهم وعدم مساعدتهم ، وطردهم في النهاية لولاتهم ، ودعوة الموحدين الى دخول البلاد .

الفصل الثالث

الموحدون ومرحلة تأسيس الدولة

المبحث الأول : أصل الموحدين

أولاً : ثورة المهدي بن تومرت :

ثانيا : اعلان المهدية :

ثالثا : تنظيم الاصحاب :

المبحث الثاني : التنظيم السياسي للموحدين

أولاً : ولاية العهد :

ثانيا : عبدالمؤمن بن علي وقيام الدولة الموحدية :

ثالثا : العبور الثاني للموحدين الى الاندلس سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) :

رابعاً : الاثار السلبية لسقوط دولة المرابطين :

المبحث الأول : أصل الموحدين

أولاً : ثورة المهدي بن تومرت :

أن نجاح الامام عبدالله بن ياسين في تأسيس حركة دينية إصلاحية واسعة النطاق في المغرب ، قد مهد الطريق لقيام دولة صنهاجية استطاعت أن تخلص الصنهاجيين من استبداد الزناتيين ، وحافزاً للفقيه محمد بن تومرت للقيام بدعوة مماثلة لصالح قبائل مصمودة ، وهي الكتلة الكبرى من البرانس، التي تقطن المغرب الاقصى[١] .

ويروي لنا البيذق[٢] تلميذ ابن تومرت قصة شيخه فيقول : ((كان رجوعه من رحلته المشرقية في بداية سنة (٥١٠هـ/ ١١١٦م) ، ركب ابن تومرت في رجوعه إلى المغرب سفينة من الاسكندرية بعد ما نفاه واليها منها ومر بطرابلس والمهدية قبل أن يدخل تونس ويواصل منها السفر غربا ، وكان كلما دخل مدينة نصب نفسه فيها للامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتضايق منه الولاة وينفونه أو يؤذونه بسبب ذاك)) . وبعد صراع مرير في بجاية[٣] مع أمراء بني حماد خرج ابن تومرت واستقر في قرية ملالة[٤] ولقي خليفته والمؤسس الفعلي لدولته عبد المؤمن بن علي متجها إلى المشرق طلبا للعلم ، غير أن ابن تومرت استطاع أن يصرفه عن ذلك ويقنعه بأن ما هو ذاهب من أجله يمكن أن يتحصل عليه بملازمته بعدما لمح فيه علامات النبوغ والذكاء[٥] . بعدها خرج ابن تومرت من ملالة متجها إلى مراكش

---

[١]عبدالواحد المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين ، ط١ ، تح : حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ ١٩٩٧م : ٦٩ .

[٢]اخبار المهدي : هامش : ١١ .

[٣] **بجاية** : مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب ، كان أول من أختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة (٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م) ، كانت قديما مينا فقط ثم بنيت المدينة ، وتسمى الناصرية باسم بانيها ، وهي دار مملكة وبينها وبين ميلة ثلاثة أيام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج١/ ٣٣٩ .

[٤]**ملالة** : هي مدينة من أعمال المغرب الأدنى ، تقع بالقرب من بجاية . البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب: ٨٥ .

[٥] عبدالواحد المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين : ٧٢ .

فوصل اليها في سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م)[١] . وهناك واصل دعوته متخذا من فساد الطبقة الحاكمة العليا مادة لوعظه ، فكثر أتباعه والتف حوله جمع غفير من الناس ؛ الأمر الذي أثار مخاوف المرابطين فأخرجوه من المدينة[٢] ، فسار إلى أغمات وهناك حدث تحول في أسلوبه الدعوي عندما خلع بيعة الامير علي بن يوسف [٣] ، وفي هذه المرحلة يبدو أن دعوته بدأت تستهدف إلى جانب محاربة الفساد الأخلاقي والاجتماعي ، محاربة الفساد السياسي المستشري في الدولة المرابطية . ثم سار إلى قبيلته هرغة ، ونزل برباط أيجلى[٤] وهي ضيعة بالسوس في سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م) ، مستغلاً عامل العصبية بنزوله بين قبائل مصمودة وهي القبيلة التي ينتمي اليها الموحدون[٥] ، الذين كانوا في صراع مع المرابطين[٦] ، وهناك بدأ بتنظيم اتباعه وظل عاما يعظ ويدرس على هدي المذهب الاشعري[٧] ، ويحرض الناس للخروج على الحكام ووجوب قتالهم ، فذاع صيته بين أهل السوس

---

[١] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/١٩٦ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٠٧ .

[٢] البيذق ، أبو بكر بن علي الصنهاجي ، (ت أخر: ق٦هـ/ ق١٢م) ، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تح : عبدالوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة ــ الرباط ــ ١٩٧١م :٢٧ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية :١٠٧ .

[٣] ابن القطان ، ، نظم الجمان :٨٣ .

[٤] **أيجلى** : وهي مدينة عظيمة كبيرة قديمة أزلية في سهل من الأرض على النهر الكبير (نهر وادي ماسة) ، وهي كثيرة البساتين والتمر وجميع الفواكه وقصب السكر ، وصل اليها القائد عقبة بن نافع ، بينها وبين مدينة درعة مسيرة ستة أيام في عمارة متصلة . كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري : ٢١٢ ، ٢١٣ .

[٥] **الموحدون** : سمو بالموحدين لانهم اول من تحدث في التوحيد وعلم الكلام بالمغرب ، وكان ذلك محرما على المغاربة في عهد المرابطين . عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٢٥٥ .

[٦] ابن خلدون ، العبر: ج٦/٣٠٤ ، ٣٠٥ .

[٧] **المذهب الاشعري** : مذهب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري لهم أقوالهم الخاصة في إثبات وجود الله والصفات والايمان والارادة وغيرها من المسائل العقدية . الشهرستاني ، أبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي أحمد (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) ، الملل والنحل ، ط٣ ، تح: أمير علي مهنا ؛ علي حسن فاعور ، دار المعرفة ــ بيروت ــ ١٩٩٣م :ج١/١٠٦ ؛ ينظر : الحصين، أحمد بن عبدالعزيز ، موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب ، ط٣ ، دار عالم ــ الرياض ــ ١٤٢٨هـ : ٢٧٥ .

واجتمعوا عليه ، ولما استوثق من قبيلته وأقنعهم بأفكاره أعلن مهديته[١] .

ثانيا : اعلان المهدية :

لم تكن المهدية أمراً غريباً على أهل السوس موطن ابن تومرت ، فقد الفوها من الدعوة الشيعية التي وصلت أطراف المغرب ، واستطاعت ان تقيم بهذه المنطقة دويلة دامت ما يقارب القرنين[٢] ، ويبدو أن افتقار هؤلاء الجبليين إلى ثقافة اسلامية أصيلة وعميقة سمح بأن يفشو فيهم ضرب من الفكر الخيالي الذي يقوم على العرافة[٣] ، مما جعل استجابتهم لفكرة المهدي المنتظر أمرا ميسورا ، وعقيدة المهدوية كانت معروفة في المغرب من قديم ، وقد استغلها الفاطميون من قبل ، وعلى أساسها نجحو في تأسيس دولتهم ، لاسيما وقد كانت تروّج فيها بعض الاحاديث المنسوبة الى النبي عليه السلام ، تخبر ببقاء الدين الصحيح في أرض المغرب ، وتخبر بأنّه يقوم هناك برد الدين الصحيح[٤] ، ولم يعلن لأصحابه دون سابق تمهيد بأنه هو المهدي المنتظر ؛ خشية أن لا يصدقه بعضهم بالرغم من ايمانهم بفكرة المهدي المطلقة . ولكنه كان منذ بدأ يتخير الأتباع بملالة يذكر لهم المهدي

---

(١) مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا : ج١/٤٦ .

(٣)**العرافة** :عرافة مفرد حرفة العراف ، وهي التنجيم ، وعرافة الكف : قراءة خطوط اليد للتنبؤ بالمستقبل ، ومعنى عرف : عرفه يعرفه بالكسر معرفة وعرفان بالكسر ، والمعروف ضد المنكر ، وقوله تعالى (والمرسلات عرفا) وقيل أرسلت بالعرف أي بالمعروف والمعرفة بفتح . الرازي ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي (تبعد٦٦٦هـ/ بعد ١٢٦٨م) ، مختار الصحاح ، إخراج : دائرة المعاجم مكتبة لبنان ــ بيروت ــ ١٩٨٦م : ١٧٩ ؛ عمر ، أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط١، عالم الكتب ــ القاهرة ــ ٢٠٠٨م : م٣/ ١٤٨٦ .

(٤)من بين الاحاديث ما أخرجه الامام مسلم في كتاب الامارة عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله (ﷺ) : (لايزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) ، وقد ذكر الامام النووي في معنى أهل الغرب عدة أوجه منها الدلو الكبير الذي يطلق عليه الغرب ، ومنها أهل الغرب من الارض ، ومنها أهل الشدة والجلد وغرب كل شيء حده . النووي ، أبي زكريا يحيى أبي يحيى شرف بن مري بن حسن ابن محمد بن جمعة الشافعي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط١ ، المطبعة المصرية بالأزهر- ١٩٣٠م : ج١٣/ ٦٨ .

مجردا عن شخصه ، ويشير الى اقتراب ظهوره ، ولما كثر اتباعه عند حلوله بقريته ، أخذ يروج فكرة المهدي ويشوقهم اليها ،ويذكرلهم الأحاديث التي جاءت بشأنها[١] . ويبدو أن الراجح لتاريخ اعلان المهدية يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من سنة (٥١٥هـ/ ١١٢١م) [٢] ، وتم الاعلان عنها في احتفال مشهود حضره الاتباع ، في رمضان من سنة (٥١٥هـ/ ١١٢١م) ، ولم يكن هذا المشهد لينتهي دون أن يجني المهدي الثمرة التي من أجلها اصطنع المهدية ، وهي ضمان مزيد من الالتفاف حوله ، والاخلاص له من قبل أصحابه ، فبسط اليهم يده ليبايعوه ، فبايعوه على ما بايع عليه اصحاب رسول الله (ﷺ) ، وعلى أنه المهدي ، وأن يكونوا يدا واحدة للقتال والدفاع[٣] . وتم ذلك تحت شجرة خروب كعنصر نفسي يزيد في التوثقة حينما تذكر بيعة الرسول (ﷺ) تحت شجرة الرضوان ، وكان السابقون بالبيعة عشرة من أوثق أصحابه وعلى رأسهم عبد المؤمن بن علي[٤].

ثالثا : تنظيم الاصحاب :

بدأ الأتباع يتكاثرون من مختلف القبائل ، وأدرك المهدي أن السيطرة عليهم ، وتوجيههم نحو الهدف الذي رسمه ، يقتضي انشاء جهاز تنظيمي ، يحصر هؤلاء الأتباع ، ويسهل مراقبتهم ويحكم ارتباطهم به ، ويشتمل هذا التنظيم على الهيئات الأتية : فقد ذكر ذلك عبدالواحد المراكشي[٥] : ((وصنف أصحابه طبقات ؛ فجعل منهم العشرة ، وهم المهاجرون الأولون الذين أسرعوا إلى أجابته ، وهم المسمون بالجماعة ، وجعل منهم الخمسين ، وهم الطبقة الثانية ؛ وهذه الطبقات لا تجمعها

---

(١) عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٢٥٥ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٠٧ ، ١٠٨ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٧٧ .

(٢) الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية : ٦ .

(٣) عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٢٥٥ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٠٧ ، ١٠٨ ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ١٧٧ .

(٤)الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية : ٦ .

(٥) المعجب : ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

قبيلة واحدة ، بل هم من قبائل شتى ؛ وكان يسميهم بالمؤمنين ، ويقول لهم : ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم ، وانتم العصابة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام : ((لاتزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله)) . ؛ وانتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم ، ويقتل الدجال ؛ ومنكم الأمير الي يصلى بعيسى ، ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة)) .

كان المهدي وأصحابه يناقشون الامور الجليلة العظيمة مع أصحابه العشرة ، لا يحضر معهم غيرهم ، فاذا جاء أمر أهـــون أحضر الخمسين ، فاذا جاء دون ذلك ، أحضر السبعين[١] . ويلحق بهذه المجالس مجلس آخر يسمى (أهل الدار) وهم المختصون بخدمة المهدي والقيام على شؤونه في أوقاته كلها[٢] . أما سائر الأنصار فقد رتبهم المهدي اصنافا تتكون احيانا بحسب القبائل وأحيانا بحسب المهن ، وهذه الأصناف هي : صنف الطلبة[٣] ، وصنف الحفاظ وهم صغار الطلبة ، وأهل هرغة ، وأهل تينملل ، وأهل جيدميوه ، وأهل جنفيسة ، وأهل هنتاتة ، وأهل القبائل ، وصنف الجند ، وصنف الغزاة ، والرماة ، وقد كان لكل صنف من هذه الاصناف رتبة لا يتعداها الى غيرها لافي السفر ولافي الحضر ، لا ينزل أي صنف الا في موضعه ، لا يتعداه ، فانضبط أمره ، وأقاموا على ذلك طيلة حياته[٤] . وذلك في سبيل المزيد من الانضباط والانقياد ، ويبدو أن هذا التنظيم يتناسب مع بداية الموقف السياسي والحربي للمهدي ، فهو بالرغم من بساطته يلبي المطالب الاساسية الثلاثة : مجلس سياسي يقرر المصير ، وجهاز تربوي يحفظ مبادئ الثورة ويرسخها ،

---

(١) مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) ابن القطان ، نظم الجمان : ٨٦ .

(٣)**الطلبة** : هم أصحاب محمد بن تومرت ، وأهل دعوته الموحدين ، بنى لهم مكانا رابطة للعبادة والتعليم على منهجه الذي رسمه لهم وتربيتهم عليه ، يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري ، وكان يوزع أصحابه في حلقات كل عشرة يكون مسؤولا عليهم أحد الطلبة النابهين ، ونهج منهج الشدة في التربية والتعليم ، وأحدث أحكاما تبلغ الضرب بالسياط لمن يظهر منه التهاون في حضور الأوقات أو في حفظ مايطلب منه حفظه . ابن خلدون ، العبر : ج٦ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ؛ المنوني ، محمد ، حضارة الموحدين ، ط١ ، دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ ١٩٨٩م : ٢٠٣ ،٢٠٤ ؛ الصلابي ، صفحات من التاريخ الاسلامي (دولة الموحدين) ، دار البيارق ـ عمان ـ ١٩٩٨م : ٧١

(٤) مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٠٩ .

وجهاز عسكري يحمي الجماعة الناشئة ويعمل على نموها وامتدادها . وأول ما دبر به أمرهم أنه ألف لهم كتابا أسماه (التوحيد) باللسان البربري ، وهو سبعة أحزاب ، عدد أيام الاسبوع ، وأمرهم بقراءة حزب واحد كل يوم أثر صـــــلاة الصبح ، بعد الفراغ من قراءة حزب من القرآن ، وهـــو يحتوي على معرفة الله تعالى ، وسائر العقائد ، والف لهم كتابا أسماه (القواعد) ، وكتاب آخر أسماه (الإمامة) ، ودونهما بالعربي والبربري[١] . وكان يطلق على أصحابه (الطلبة) ، وأهل دعوته (الموحدين)[٢] . بعد ذلك دخلت دعوته طورا جديدا بإعلان الحرب على المرابطين لاجتثاث حكمهم الباطل بحسب رأيه ، وإقامة الدولة الراشدة على هدي التعاليم التي بشر بها أتباعه ، واتهم المهدي المرابطين بالقـــــول بالتجسيم ، وسماهم بالزراجنة ، وهو جمع زرجان طائر اسود البطن ، ابيض الريش ، شبه المهدي المرابطين به ؛ لانهم حسب رأيه بيض الثياب ، سود القلوب ، وسماهم أيضا بالحشم ؛ لاستخدامهم اللثام ، كما تفعل النساء[٣] . وعمد المهدي الى الطعن بالمرابطين وبيان أنهم أهل باطل ، ابتدأها بإيراد جملة من الاحاديث التي تفيد أن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ، وجملة آخرى تبين علامات الطائفة التي ستكون على يدها غربة الاسلام ، ليخلص أن هذه الطائفة هي طائفة المرابطين لانطباق العلامات عليها ، فهي الزائغة عن الحق ، الحائدة عن الطريق[٤] . وعندما لم يجبه المرابطون الى دعوته اذ يعدون

[١] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٠٩ ، ١١٠ .

[٢]ابن خلدون ، العبر : ج٦/٣٠٤ .

[٣] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : هامش/١١١ .

[٤] وذكر حديث رسول الله (ﷺ) عن أبي هريرة أن رسول الله اتاه جبريل فقال يا رسول الله متى الساعة ؟ قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها ، وإذا كانت الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من اشراطها ، واذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لايعلمهن إلا الله)) **ثم تلا رسول الله (ﷺ) ((أن الله عنده علم الساعة))** سورة لقمان الاية : ٣٣ ؛وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن أعرابيا سأل رسول الله (ﷺ) عن الساعة فقال رسول الله : ((إذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة)) . ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط١ ، تقديم وتحقيق وتعليق : عبدالقادر شيبة الحمد ، مكتبة الملك فهد ـ الرياض ـ ٢٠٠١م : ج١/ ١٤٠ : برقم (٥٠) ؛ ينظر : المهدي ، محمد بن عبدالله بن تومرت (ت ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) ، أعز ما يطلب ، تقديم وتحقيق : عبدالغني ابو العزم ، مؤسسة الغني للنشر ـ الرباط ـ (د.ت): ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

أنفسهم على الحق ، وهو على الباطل ، جعل يعد العدة لغزوهم، وبادر الى كسب القبائل المجاورة ، وركز دعوته فيهم ؛ ليكونوا له سندا يحمون ظهره ، فأمر رجالاً منهم ، واستمالة رؤساء القبائل[١] ، ولما استكمل عدده وعدته ، شرع في الحرب على مخالفيه ، مبتدئا بالقبائل والقرى القريبة منه ممن تدين بالولاء والطاعة للمرابطين ، وجعل يغزوهم تباعاً دونما هوادة ابتداء من سنة (٥١٥هـ/١١٢١م)[٢] . ولما كانت سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م) جهّز جيشاً عظيماً من المصامدة جلهم من أهل تينملل ، مع من انضاف اليهم من أهل السوس ، وقال لهم : اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين ، يدعوهم إلى ترك المنكر ، وإحياء المعروف ، وازالة البدع ، والاقرار بالإمام المهدي المعصوم ؛ فإن أجابوكم فهم إخوانكم لكم مالهم ولهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم ، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، وقال : أنتم المؤمنون ، وهذا أميركم فاستحق عبد المؤمن من يومئذ اسم (أمير المؤمنين) ، وخرجوا قاصدين مدينة مراكش ، فلقيهم المرابطون قريبا منها بموضع يدعى البحيرة[٣] بجيش ضخم من أعيان لمتونة ، أميرهم الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فلما تراءى الجمعان أرسل اليهم المصامدة يدعونهم إلى ما أمرهم به ابن تومرت ، فردوا عليهم أسوأ رد ، وكتب عبد المؤمن إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بما عهد إليه محمد بن تومرت ؛ فرد عليه أمير المسلمين يحذره عاقبة مفارقة الجماعة ، ويذكره الله في سفك الدماء وإثارة الفتنة ؛ فلم يردع ذلك عبد المؤمن ، بل ازداد طمعاً في المرابطين عندما ايقن من ضعفهم ؛ فالتقى الفريقان ، فانهزم المصامدة وقتل منهم خلق كثير ؛ ونجا عبد المؤمن في نفر من اصحابه ؛ فلما جاء الخبر لابن تومرت قال : أليس قد نجا عبد المؤمن ؟ قالوا : نعم قال : لم يفقد أحد[٤] . ومما لاشك فيه أن ابن تومرت كان

---

[١] عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

[٢] مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٠١ ، ١٠٢ .

[٣] بينما يذكر مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : أن موقعة البحيرة كانت في سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) ، وكان القائد فيها أبا محمد البشير . الحلل الموشية : ١١٢ ، ١١٦ .

[٤] عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

يعرف أن المرابطين ليسوا مجسمين ولا مقصرين في حقوق الله والدين ، وكان يرى جهادهم في الاندلس واجتهادهم في الدفاع عن بيضة الاسلام . لكن ما الذي دفعه الى القيام بهذه الحركة التي قضت على دولة مجاهدة وهي في عنفوان كفاحها ضد اعداء الاسلام ؟ إن السبب الذي دفع ابن تومرت كونه مصموديا في أعماق نفسه ، وأن حافزه الى العمل والحركة الرغبة في تجميع المصامدة والانتفاع بقوتهم لأنشاء دولة مصمودية ، مثلما عمل الامام عبدالله ياسين على انشاء دولة المرابطين من قبائل صنهاجة الصحراء ، ولهذا السبب تحمس المصامدة له ، فمنذ أن استقر في تينمل توافدت عليه وفود قبائل المصامدة . كما أن لقب (الموحدون) الذي اطلقه المهدي على أتباعه غير ذي اهمية ؛ لان كل المسلمين موحدون ولم يكن المرابطين اقل توحيدا من الموحدين وإنما هي تسمية أراد محمد بن تومرت بها أن يوهم الناس أن دعوته تتجه إلى إحياء عقيدة التوحيد الخالصة . يمكن أن نستشف مما سبق أن شخصية المهدي محمد بن تومرت شخصية غريبة ومعقدة ، فكلما قرأنا سيرة حياته التي كتبها خادمه أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق ، ونقلها عنه مؤرخو الموحدين من أمثال ابن القطان وعبدالواحد المراكشي ، تكشفت لنا جوانب اخرى تزيد شخصية هذا الرجل تعقيدا وغموضا ، وهذا التعقيد يكتنف ايضا في كتاباته التي كانت اساسا للتوجه الفكري للحركة الموحدية ، فاذا قرأنا كتابه المسمى أعز ما يطلب وهو احسن ما كتب وعنوانه مشتق من أول عبارة فيه ، وتتلخص في أن أعز ما يطلب هو العلم بالدين واصوله وشريعته واحكامه ، وجدنا فيه خليطا من آراء اهل السنة وافكار غلاة الشيعة الذين يقولون بعصمة الإمام وضرورة طاعته طاعة كاملة وتنفيذ كل ما يأمر به دون اعتراض ونقاش ، وفيه افكار صوفية متطرفة لا يقبلها فقهاء أهل السنة والجماعة ، وكلامه كله فيه غموض متعمد وتكلف لأساليب الكهان وأهل السحر ، مما لازال الى الان يحيرنا في أمر عقيدة ابن تومرت ومذهبه في الفقه وتفكيره الديني[1] . أن الباحث في شخصية ابن تومرت يجد من المتعذر عليه

---

[1] بن تومرت ، أعز ما يطلب : ٣٣ ، ٥١٠ .

ان يجمع بين صفة الايمان بالله والاخلاص فيه ، وبين الاحداث التي لاتصدر الا عن نفس لم تعرف الله ، وخير دليل على ذلك المقاتل الشنيعة والاحداث المروعة ، حيث تجاوزت ذلك الحد الى ما يناقض الايمان من أساسه ، ومنها ما روي أنه دفن جماعة من أصحابه أحياء ، ويأتي بجماعة أخرين ليوهمهم إلى المقبرة فيوهمهم أنه يتكلم مع الاموات ، ويشهدون له بصحة مهديته ، ويخبروا بما يلاقون من نعيم القبر . غير أن المهدي أخلف ما وعدهم به من أخراجهم واجزال العطاء لهم ، فأهال عليهم التراب حتى لايخرج خبرهم ويفتضح أمره(١) .

وكذلك ماروي من تلك الحادثة المروعة التي عرفت بـ (التمييز) وخلاصتها أنّ المهدي قبيل الهجوم على مراكش ، اراد ان يميز صفوف ، وينقيها من المنافقين ، فاتفق مع أبي عبدالله الونشريسي أحد أصحابه على أن يظهر البله وعدم المعرفة بشي من القرآن والعلم ، ويبدو في هيئة المعتوه الذي يجري بصاقه على صدره ، ثم جعل يقربه ويقول : ان لله سرّاً في هذا الرجل سوف يظهر ، وكان الونشريسي يلزم الاشتغال بالقران والعلم في السر بحيث لايعلم أحد ذلك منه ، وواطأه واتفق معه على أن يظهر فضائله دفعة واحدة ، ليقوم له مقام المعجزة يستميل بها قلوب من لم يدخل في طاعته ، وذات يوم بعد صلاة الصبح أظهر الونشريسي أمره على الملأ ، فعجب الناس من حاله وحفظه القران بليلة واحدة ، وانقاد بذلك للمهدي كثير من الناس الذين انخدعوا بالاعيبه(٢) . وبالرغم كل هذا التناقض في شخصية المهدي نتبين في شخصيته نزعة من التقوى والورع وخوف الله واحسان الطاعة له ، يفصح عنها ما كان يلتزمه في حياته من الزهد والتقشف والتقلل من الدنيا ، وقد اتفق في ذلك المؤرخون على مختلف مواقفهم منه ، فقد ذكر ابن الاثير(٣) أنه : ((كان فقيها

---

(١) ابن تيمية ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ ١٤١٥هـ : ج١١/ ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ١٩٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٥/٤٨ .

(٣) الكامل في التاريخ : ج٩/ ١٩٥ .

فاضلا عالما بالشـــريعة حافظا للحديث عارفا بأصولي الدين والفقه متحققا بعلم العربية ، وكان ورعاً ناسكاً)).

كما ذكر ابن خلدون[١] عنه أنّه : ((وكان حصوراً لا يأتي النساء وكان يلبس العباءة المرقعة ، وله قدم في التقشف والعبادة ، ولم تحفظ عنه فلته في البدعة إلا ما كان من مع ربه ، والزهادة في الدنيا والتقليل منها ، مـــع توافر دواعي الترف والملذات وهذا وفاقه الإمامية[٢] من الشيعة في القول بالإمام المعصوم والله تعالى أعلم)) . إن هذه الشهادات مع اختلاف مصادرها ، تشير إلى أن المهدي كان مخلصـــا في ايمانه شاهد على الاخلاص في الايمان . وكان يعرض نفسه للمكاره والاخطار وهو ما سلكه في مباشرته الدائبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سبيل أن يدعو الناس لتطبيق الشرع والتزام تعاليمه ، وما من قرية أو مدينة حل بها منذ خروجه من مكة الى حين وصوله الى قريته الا امر فيها بمعروف ونهى عن منكر ، فقد ذكر ابن خلكان[٣] أنه : ((كان ورعاً ناسكاً متقشفاً مخشوشناً مخلوقاً كثيراً الاطراق ، بسّاما في وجوه الناس ، مقبلاً على العبادة ، لا يصحبه من متاع الدنيا إلا عصا وركوة ، وكان شجاعاً فصيحاً في اللسان العربي والمغربي ، شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع ، لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره ، وكان مطبوعا على الالتذاذ بذلك ، متحملا للأذى من الناس بسببه)) . والسبيل الى رفع هذا التناقض وحل الاشكال ، فقد يكون ابن تومرت لشدة ايمانه بقضيته ، وكثرة ما

---

(١) العبر : ج٦/ ٣٠٥ .

(٢) **الإمامية** : هم القائلون بإمامة علي (﵁) بعد النبي (ﷺ) نصاً ظاهراً ، وتعييناً صادقاً ، من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة إليه بالعين ، قالوا : وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام حتى يكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة ، فإنه إذا بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلايجوز أن يفارق الأمة ، ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأيا ، ويسلك كل واحد طريقاً ، لايوافقه في ذلك غيره بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه ، وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه ، وقد عين علياً(﵁) في مواضع تعريضاً، وفي مواضع تصريحاً. الشهرستاني ، الملل والنحل : ج١/ ١٦٣ .

(٣) وفيات الاعيان : ج٥/ ٤٦ .

سخر نفسه في سبيلها ، حتى ملأت حياته واستوعبت ضميره ، قد يكون بدأ يخالطه وهم في نفسه بأن الله قد هيأه لأمر عظيم في هداية الناس ، ومن ثم بدأ هذا الشعور يتطور في نفسه ، حتى أصبح على قناعة بأنه هو المهدي الذي سيحقق العدل ويزيل الظلم ، ويجد هذا الاقتناع مصداقا له في تلك الاحداث التي كان قد قرأها ، المتعلقة بالمهدي المنتظر مبشرة به مظهراً للدين محققا للخير ، فيدفعه ذلك الاعتقاد والوهم الى الاعلان عن نفسه مهديا ، فتكون المهدية اذاً بذلك وليدة ذلك الوهم .

المبحث الثاني : التنظيم السياسي للموحدين

مرت الخلافة عند الموحدين بأطوار ثلاثة ، طور المهدية وهي الفترة التي تولى فيها محمد بن تومرت حكم الدولة . والطور الثاني طور الشورى بإجماع أعيان الدولة على تولية عبد المؤمن بن علي الخلافة . والطور الوراثي ، بعد أن جعل عبد المؤمن الخلافة وراثية في بنيه[١] . وقد اتخذ خلفاء الموحدين ألقابا عدة منها (أمير المؤمنين)[٢] ، و (الخليفة) و(الإمام) [٣] ، إلى جانب ألقاب أخرى تدل على التعظيم والأبهة مثل (مولانا) و(الحضرة العلية)[٤] . واتخذت الدولة الموحدية مجموعة من الشارات فكان اللواء الأبيض يتقدم جيوشهم[٥] . أما فيما يخص موقف الموحدين من الخلافة العباسية فقد اختلفوا عن المرابطين ، ففي الوقت الذي اعترف فيه المرابطون بالخلافة العباسية وأعلنوا الولاء لها[٦] ، لم يعترف الموحدون بخلافة العباسيين بل عدوا أنفسهم خلفاء وعاصمتهم مراكش[٧] .

أولاً : ولاية العهد :

ارتبط نظام ولاية العهد بنظام الرئاسة الموحدي خلال مدة حكم عبد المؤمن بن علي نتيجة لرغبته بالاحتفاظ بالملك بين بنيه ، فما إن مكن لنفسه في مقعد الحكم حتى عهد لابنه محمد بالولاية ، وكتب ببيعته إلى البلاد ؛ غير أنه تراجع عن اتمام هذا الأمر؛ لأنه رأى منه أموراً لا يصلح معها للخلافة ؛ منها شرب الخمر ، واختلال الرأي وكثرة الطيش ، وجبن النفس[٨] ، وهو النهج نفسه الذي سار عليه خلفه . وقد

---

[١] البيدق ، أخبار المهدي بن تومرت : ٧٦ .

[٢] ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة :ج١٢/ ٢٤٤ ، ٢٥٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : قسم الموحدين :ج٤/١٥١ .

[٣] ابن القطان ، نظم الجمان : ١٣٥ .

[٤] ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة :ج١٢/ ٢٤٤ ، ٢٥٧ .

[٥] ابن القطان ، نظم الجمان :١٦٨ .

[٦] الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى : ج٢/٥٣ ، ٥٤ .

[٧] حسن ، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس : ٥٥ .

[٨] عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٣٠٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٤٦١ .

حرص الخلفاء على إعداد ولي العهد قبل تسلمه مقاليد الحكم في أثناء حياتهم ، واتبع خلفاء الدولة الموحدية تقليدا خاصا فيما يتعلق بالشورى ، ففي عهد المهدي انحصرت الشورى في جماعة العشرة والخمسين ثم السبعين[١] ، وهكذا فإنّ الدولة الموحدية قامت على الفكرة الدينية في بداية امرها ، واتخذت الشورى وسيلة الى تعين حاكمها ، ثم تغيرت الى دولة الوراثة ، ولكنها ابقت على الفكرة المهدية كشعار لها ، بالرغم من أنّ حركة الموحدين في بداية أمرها اعترفت بالوجود القبلي وحاولت أن تذيبه في بوتقة أكبر مع المحافظة عليه فاضطرت في سبيل دعم سلطان الحاكم الى الالتجاء الى القبيلة التي لم يجد عبدالمؤمن بداً من اللجوء منها الا اليها .

ثانيا : عبدالمؤمن بن علي وقيام الدولة الموحدية :

لم يوفق المهدي محمد بن تومرت في إنشاء مذهب ديني أو سياسي واضح المعالم ؛ لأنّ تفكيره الديني كان مشوشا متناقضا لايقوم على علم غزير ، وإنما هو علم يكاد يكون سطحي استخدمه كوسيلة من وسائل تحقيق مطامحه السياسية ، وينبغي دائما أن ننظر إلى محمد بن تومرت على أنه رجل سياسة لارجل دين ، فكان تفكير هذا الرجل سياسي وإن اخذ طابعا دينيا ، ومبدأ التوحيد الذي يقال إن الحركة قامت عليه ، لانجد لابن تومرت فيه رأيا خاصا يجعل منه مذهبا جديدا ، فالقول بالتوحيد والمهدية وبعصمة الامام واتهام المرابطين بالتجسيم وتجويز قتالهم ، كلها دعوات سياسية استخدمها ابن تومرت في تحقيق غاياته ، والهدف الرئيس هو نقل السيادة على المغرب الاقصى من قبيلة صنهاجة الى قبيلة مصمودة[٢] . كان ابن تومرت قبل وفاته[٣] بأيام قليلة استدعى أهل العشرة ، وأهل الخمسين من قبائل متفرقة لا يجمعهم إلا اسم المصامدة ؛ فلما حضروا بين يديه قام وكان متكئا

[١] البيدق ، اخبار المهدي بن تومرت : ٣٤ ، ٣٥ ؛ ابن القطان ، نظم الجمان : ١٢٤ .
[٢] عبدالواحد المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين : ٩٦ ، ٩٧ .

[٣] يذكر ابن القطان أن المهدي هو الذي رشحه لخلافته قبيل وفاته ، إذ كتم أصحابه وأهل الدار ، وهم خدمته ، وأخته ، خبر موته ، وبايعوا الإمام عبد المؤمن في (بيعة السر) ، وفي رواية أن عبد المؤمن اخفى موته ثلاثة اعوام بويع بعدها عبد المؤمن بيعته العامة ، وذلك حين أعلن موت الإمام المهدي . نظم الجمان : ١٧٠ .

فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه ، واخذ يذكرهـــم ويعضهم بما كان عليه الخلفاء والذين من بعدهم ، وقال : اعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمر آخر هذه الامة إلا على الذي صلح عليه أمر أولها ، وقد اخترنا لكم رجلا منكم ، وجعلناه آمرا عليكم ؛ بعد أن اختبرناهُ في جميع أحواله ، فرأيناه ثبتا في دينه ، بصيراً في أمره ، وأني لأرجو ألا يخلف الظن فيه ، فاسمعوا له وأطيعوا ما دام سامعا مطيعا لربه ، فإن بدل أو تغيير في أمره فلا طاعة له عليكم . فبايع القوم عبد المؤمن ودعى لهم ابن تومرت ، ومسح وجوههم وصدورهم واحدا واحد . ثم توفي ابن تومرت بعد ذلك بقليل ، واجتمع أمر المصامدة على عبد المؤمن(١) .

بعد إتمام البيعة أقام عبد المؤمن في تينملل مدة يتألف القلوب ، ويحسن إلى الناس ، وفي سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م) جهز جيشا كبيراً ، وقاده إلى مدينة تادلة(٢) ، فتصدى له أهلها ، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بانتصار عبدالمؤمن ، ودخول المدينة عنوة ، وسار بعدها إلى صنهاجة الجبل فافتتحها واعلن اهلها الطاعة(٣) . وفي سنة (٥٣١هـ/ ١١٣٦م) توفي سير بن علي بن يوسف بن تاشفين ولي عهد أمير المسلمين علي بن يوسف ، فاستدعى ابنه تاشفين من الاندلس ، وكان أميرا عليها ، وجعله ولي عهده ، ثم قلده قيادة جيش قوي وأرسله لمحـــاربة عبد المؤمن فسار بالجيش في الصحراء قبالة جيش عبد المؤمن ، الذي كان يسير في الجبال، وكانت تحدث بينهما مناوشات من وقت لآخر ، ولكن لم تحدث بينهما حروب ومعارك فاصلة(٤) . وفي شتاء سنة (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) وصل عبد المؤمن إلى جبل كرناطة ، فنزل في أرض صلبة بين الشجر ، ونزل تاشفين مقابل عبد المؤمن في سهل لا نبات فيه ، وفي أثناء ذلك توالى هطول الأمطار أياما ، فصارت الارض التي

---

(١) عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٢٦٢ ، ٢٦٤ .

(٢) **تادلة** : بفتح الدال واللام : من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان ؛ ومنها أبو عبدالله محمد بن محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي التادلي ، كان شاعرا واديبا . ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج٢/ ٥ ، ٦ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٢٠١ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٢٠١ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٣٠ .

فيها تاشفين وأصحابه كثيرة الوحل[١] ، تغوص فيها قوائم الخيل الى صدورها ، ويعجز الرجل عن المشي فيها ، وسدت المياه الطرق ؛ فانقطعت عن تاشفين وجيشه الإمدادات ، فكانوا اذا أرادوا نارا لم يجدوا إلا رماحهم ليوقدوا بها النار ، وانهكهم الجوع والبرد وسوء الحال . وكان عبد المؤمن وأصحابه في أرض خشنة صلبة في الجبل ، لايبالون بشيء والإمدادات تتوالى إليهم ، فاستغل ذلك عبد المؤمن وارسل جيشا إلى وجرة من أعمال تلمسان ، وأمر عليهم أبا عبدالله محمد بن رقو ، وهو من أهل الخمسين ، فبلغ خبرهم إلى محمد بن يحيى بن فانوا - والي تلمسان من قبل المرابطين - فخرج في جيش من المرابطين ، فالتقوا في موضع يعرف بـ (خندق الخمر) ، فهزمهم جيش عبد المؤمن ، وقتل محمد بن يحيى وكثير من أصحابه ، وغنموا ما معهم ورجعوا ، فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه إلى غمارة فاطاعته قبائلها ، وأقام عندهم مدة ٠ وظل عبد المؤمن يسير في الجبال ، وتاشفين يحاذيه في الصحارى ، إلى أن توفي أمير المسلمين علي بن يوسف بمراكش ، وخلفه ابنه تاشفين بن علي سنة (٥٣٧هـ/١١٤٢م)[٢] ، فزاد طمع عبد المؤمن في البلاد ، إلا أنه ظل مع ذلك معتصما بالجبال ، ولم ينزل الى الصحراء . وفي سنة (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) توجه عبد المؤمن بجيشه إلى تلمسان للاستيلاء عليها ، فسارع تاشفين لنجدتها ، وعسكر الفريقان هناك دون حرب ، اللهم إلا بعض مناوشات قليلة ، وظلاً كذلك حتى سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) ، حتى رحل عبد المؤمن إلى جبل تاجرة ، ووجه جيشا مع عمر الهنتاني إلى مدينة وهران ، فهاجمها بغتة ، واستولى عليها ، فسمع بذلك تاشفين فسار إليها ، فخرج منها عمر ، ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر في شهر رمضان من السنة نفسها ، وفي الشهر نفسه استشهد القائد تاشفين بن علي . وروي ان سبب استشهاده ، أنه قصد حصنا هناك على رابية ، وله فيه بستان كبير ، مثمر ، فاتفق أن عمر الهنتاني ، أرسل سرية إلى ذلك الحصن ، ولم يعلموا

[١] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٢٠١ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٣٠ .
[٢] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/٢٠١ ، ٢٠٢ ؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين : ٨ .

أن تاشفين فيه ، فاشعلوا النار في بابه ، فأراد تاشفين الهرب ، فركب فرسه ، فوثب الفرس من داخل الحصن إلى خارج السور ، فسقط في النار ، فأرادوا حمله إلى عبد المؤمن ، فمات في الحال بسبب إصابته ، ثم صلبوه ، وقتل كل من معه ، وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة ، فتولى بعده أخوه إسحاق بن علي بن يوسف ، ولما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف ، وقتل فيها ما لا يحصى ، ثم سار عبد المؤمن إلى تاهرت ، وأقادير؛ فامتنع أهلها وغلقت أبوابها ، وتأهبوا للقتال(١) ، وأما تاهرت فكان فيها يحيى ابن الصحراوية ، فهرب منها بجنوده إلى مدينة فاس ، وجاء عبد المؤمن إليها ، فسارع أهلها للدخول في طاعته ، ولكنه لم يقبل منهم ، وقتل أكثرهم . وهذا يشير إلى أن عبد المؤمن كان سفاكا للدماء .

ثم دخل المدينة ورتب أمرها ، ورحل عنها تاركاً قوة من عسكره يحاصر أقادير ، وفي سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) سار إلى مدينة فاس فحاصرها تسعة أشهر ، وفيها يحيى ابن الصحراوية ، وعسكره الذين فروا من تاهرت ، فلما طال حصار المدينة عمد عبد المؤمن إلى نهر يدخلها ، فسده مدة ، حتى اذا اجتمع الكثير من الماء فتح المجرى فجأة ، فهدم سورها ، وكل ما بجوار النهر من مبان ، فلما أراد دخولها خرج إليه أهلها ، وقاتلوه خارجها ؛ فلم يتمكن من دخولها . ثم عاد والي فاس وأعيانها فكاتبوا عبد المؤمن في طلب الأمان لأهلها ، فأجابهم إليه ، ففتحوا له بابا من أبوابها ، فدخلها جيشه في أواخر سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) ، وهرب يحيى ابن الصحراوية ، وسار إلى طنجة ، ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس ، وأمر فنودي في أهلها : من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه ، فحمل كل من في البلد ما عندهم من سلاح إليه ، فأخذه منهم(٢) .ولما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحي ، سار إلى مراكش حاضرة المرابطين ، وهي من أكبر المدن وأعظمها ، وكان يحكمها حينئذ إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، وكان صبياً صغيراً ، فوصل

---

(١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٢٥٧ .

مراكش سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) ، وعسكر على جبل صغير في غرب المدينة ، وبنى عليه مدينة له ولجنوده ، وبنى بها جامعا ، وبنى له بناء عاليا يشرف منه على المدينة ، ويرى احوالها ، وأحوال[1] ، أهلها ، وأحوال المقاتلين من أصحابه ، وحاصرها أحد عشر شهرا[2] ، كان المرابطون يخرجون فيه من المدينة لقتال الموحدين ، وأرهق الحصار عبد المؤمن ، وقل الطعام عنده ، فعزم على أن ينصب كمينا لأهل مراكش ليضعفهم به ، فأمر جنوده فزحفوا يوما إلى مراكش ، فخرج إليهم جنود المرابطين كالعادة ، فدارت بين الفريقين معركة شديدة ، ثم انهزم الموحدون وفروا أمام المرابطين ، فتبعهم المرابطين إلى المدينة التي بناها عبد المؤمن له ولجنوده على الجبل ، ودارت بين الفريقين معارك شديدة ، وهدمت أجزاء كبيرة من سور مدينة عبد المؤمن ، وكان عبد المؤمن يشاهد المعركة من أعلى البناء الموجود على الجبل ، وكان قد اتفق مع رجاله أن ينهزموا أمام المرابطين ، حتى اذا لحق بهم المرابطين أمر بضرب الطبول ؛ فتخرج مجموعة أخرى من رجاله كانت مختبئه ، لتحيط بالمرابطين حتى تقضي عليهم ، فلما اشتدت المعركة صاح الموحدون بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبول ، فقال لهم : اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد ، فلما خرج أكثر أهل مراكش ، أمر بضرب الطبول ، فخرج الكمين عليهم ، فقاتلوهم ، ودارت الدائرة على المرابطين ، وقتلو مقتلة عظيمة[3] ؛ وبهذا ضعفت قوات المرابطين داخل مراكش ضعفا شديدا ، وكان إسحاق بن علي صبيا صغيرا ، وكان يدير دولته مشايخ المرابطين ، فحدث أن أحدهم واسمه عبدالله بن أبي بكر خرج إلى عبد المؤمن مستأمنا ، وأطلعه على مواضع ضعفهم ، فزاد طمع

---

[1] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٢٥٧ .

[2] يذكر مؤلف اندلسي : ان الحصار الذي فرضه الموحدون على مراكش استمر اربعين يوما . ينظر : الحلل الموشية :١١٤ .

[3] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١١٥ ، ١١٦ .

عبد المؤمن فيهم ، وشدد عليهم الحصار، ونصب عليهم المنجنيقات[١] ، والابراج حتى فنيت أقواتهم ، وأكلوا دوابهم ، ومات من العامة بالجوع ما يزيد على مائة ألف إنسان ، فأنتن البلد من ريح الموتى .

وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطين قد استنجدوا بهم نجدة ، فلما طال عليهم الأمر راسل الفرنج عبد المؤمن يسألونه الأمان ، فأجابهم إليه ، ففتحوا له بابا من ابواب البلد يقال له : باب أغمات ، فدخلت عساكره وملكوا المدينة عنوة ، وقتلوا من وجدوه بها ، ووصلوا إلى دار أمير المسلمين ، فأخرجوا الأمير إسحاق وجميع من معه من أمراء المرابطين فقتلوا ، بما فيهم إسحاق بن علي سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) ، وكان آخـــر ملوك المرابطين ولما فتح عبد المؤمن مراكش اقام بها ، وجعلها حاضرة لدولة الموحدين ، وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[٢] . وذكر عبد الواحد المراكشي[٣] أنه : لم يزل عبد المؤمن يستولي على البلدان بلدا بلدا ، إلى أن ذلت له البلاد وأطاعته العباد .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٢٦٠ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ مؤلف اندلسي ، الحلل الموشية : ١٤٠ .

(٣) المعجب : ٢٧٠ .

ثالثاً : العبور الثاني للموحدين الى الاندلس سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) :

بعد أن فرض الموحدون سيطرتهم على سائر نواحي المغرب ، شعر الخليفة عبد المؤمن بن علي أن الأندلس تتطلب مزيدا من عنايته واهتمامه ، ولاسيما بعد أن علم بضياع ما بناه الموحدون بالأندلس ، بعد انتزاء ثوار الأندلس على السلطة الموحدية ، فقد حزم أمره على أن يعبر البحر الى الأندلس لينظر في شؤونها وينظم وسائل الدفاع عنها ، وبعد افتتاح المهدية أرسل الخليفة عبد المؤمن كتبه بالفتح إلى الأندلس ، وكانت خطة الخليفة عبد المؤمن لتنظيم شؤون الأندلس واتمام فتحها ، وإذكاء حركة الجهاد بها ، تتضمن فضلاً عن مضاعفة البعوث العسكرية إلى شبه الجزيرة ، تحصين قاعدة جبل طارق ، وإنشاء مدينة كبرى بها ، فقد ذكر ابن صاحب الصلاة[(١)] ، الذي كان فضلا عن اطلاعه على الكتب والوثائق المتعلقة بذلك ، شاهد عيان وثيق الصلة ببلاط الخليفة الموحدي ، على أن تكون هذه المدينة منزلا للامير عند اجازته بالعساكر ، ومستقرا تتقدم منها جيوشه لمقاتلة الممالك النصارى ، وأما كتاب الخليفة تضمن من الخليفة إلى ولده أبي سعيد عثمان والي غرناطة ، بأن يسير بنفسه من غرناطة مع صحبه وبعض عسكره الى جبل طارق ، وأن يجتمع فيه بالطلبة والوافدين من إشبيلية ، وبالشيخ أبي حفص عمر[(٢)] ،

---

(١) أبو مروان عبدالملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الباجي (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م) ، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين ، ط٣ ، تح : عبدالهادي التازي ، دار الغرب الاسلامي ــ بيروت ــ ١٩٨٧م : ج٤/٨٤ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٦٩ .

(٢) **أبو حفص** : هو عمر بن يحيى الهنتاني من أبرز خاصة المهدي أبن تومرت ، وقد خصه بقيادة كتيبة الدرقة واليه يرجع الفضل في تثبيت مركز الدولة الموحدية واستقرار سلطانها ، وهو بطل موقعة السبطاط سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) وجد الملوك الحفصيين أصحاب تونس وأفريقية ، توفي عند منصرفه من قرطبة في طريقه برباط الفتح من سلا سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) وبها دفن . ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة : هامش: ٨٥ .

وأبـي إسـحق بـراز بـن والحـاج يعـيش المـالقي[1] ، والقائـد عبـدالله بـن جبـار ، وأن يدرس الجميع خطط المدينة الجديدة ، وموقعها من الجبل ، فصدع السيد أبو سعيد بأمر الخليفة ونهض في صحبه إلى جبل طارق ؛ للعمل على تنفيذ الخطة المطلوبة ، وطلب في الكتاب إلى السيد أبي يعقوب والي إشبيلية أن يحشد جميع العمال والبنائين والجيارين والنجارين والعرفـــاء من جميع بلاد الأندلس ، وتم ذلك كله في سرعة ونظام وحزم وابتدأوا البناء في الموضع الذي وقع اختيار الجميع عليه ، واتصل بهذا العمل من بناء الدور القصور ، بناء السور والباب المسمى بباب الفتوح في الفرجة التي كان يدخل منها الى الجبل ، واستمر العمل شهورا بهمة عالية ، والسيد أبو يعقوب والي إشبيلية يشرف على تنفيذ أوامر الخليفة[2] ، دون هوادة ولا كلل ، حتى كمل على أحسن وجه ، وتم الانتهاء من بناء المدينة الجديدة في شهر ذي القعدة سنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) وابتني بها مسجد جامع ، وقصر للخليفة ، ودور لأبنائه وحاشيته ، وغرست الحدائق على طول ساحل البحر ، وجلب إليها الماء العذب[3] ، وجدد الحصن والاسوار القديمة ، وعني بتحصين الصـــــخرة ، وسمي الجبل بأمر الخليفة جبل الفتح أو مدينة الفتح . كان الخليفة عبد المؤمن يترقب إتمام

---

[1] **الحاج يعيش** : المالقي من ألمع وأشهر المهندسين الذين تألق نجمهم على عهد الموحدين وقد كانوا يلجأون إليه في كل المشاريع الهامة ، فهو الذي صنع بأمر الخليفة عبد المؤمن بمدينة مراكش مقصورة المسجد الجامع التي حير وصفها سائر المهتمين بالأثار الموحدية وخاصة منهم الذين يعنون بالنهضة الميكانيكية على ذلك العهد ، وهو الذي قام سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) في إشبيلية بعملية تسريب الماء لسقي البحيرة الملكية ، وتوصيله إلى داخل إشبيلية من قلعة جابر ، كما قام ببناء خزان للماء داخل المدينة ، منه كان الماء يتوزع على مختلف أحيائها .ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة :هامش: ٨٥ .

[2] ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة :ج٤/ ٨٤ ، ٨٥ ؛ ج٥/٨٦ ،٨٩ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٧٠ .

[3] تتحدث بعض المصادرر التاريخية عن تزويد الجبل بالمياه الجارية الكافية ، وفيها ما يذكر أن المهندسين : حفروا في سفح الجبل مواضع نبع فيها الماء ، وجمع بعضها الى بعض حتى سال منها جدول عم المدينة كلها ، من أعذب الماء واطيبه ، يصب في صحن عظيم اتخذ له واجري إلى الجنات المغترسة بالجبل . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ١٢١ .

المدينة الجديدة بجبل طارق، ليعبر الى شبه الجزيرة ، فعبر اليها في شهر ذي القعــــدة سنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) ، ونزل في جبل طارق ، وكان في استقباله ولداه السيد أبو يعقوب والي إشبيلية ، وأبو سعيد والي غرناطة ، وجرت احتفالات بهذه المناسبة اشترك فيها كبار قادة الدولة وشعرائها وعلمائها وامرائها ولبث الخليفة عبد المؤمن في جبل طارق زهاء شهرين ، واستمرت الاحتفالات واقامة الوفود وغمرها الضيافات وقضـــاء الحوائج ، حتى نهاية عيد الاضحى لسنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) . عندئذ إذن للوفود بالانصراف ، وكان الخليفة عبد المؤمن خلال ذلك يناقش شؤون الاندلس مع الاشياخ والقادة ، وينظر في المظالم ويقضي فيها ، وقد خصص لإنجاد الأندلس جيشا مختلطا من الموحدين والأندلسيين قوامه ثمانية عشر ألف فارس ، وجعل على قيادة الموحدين ابن الشرقي ، وعلى قيادة الأندلسيين ابن صناديد ، ولما فرغ من تنظيم شؤون الأندلس ، عبر البحر إلى سبتة ، عائدا الى المغرب وذلك في أوائل سنة (٥٥٦هـ/ ١١٦١م)[١] .

[١] ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة : ج٨٦/٥ ، ٨٩ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ١٢١ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٨٠ ، ٣٨٦ .

رابعاً : الاثار السلبية لسقوط دولة المرابطين :

ـ مقتل عشرات الآلوف من المسلمين في بلاد المغرب والاندلس نتيجة الحروب التي حدثت بين المرابطين والموحدين ، وذلك في نحو ثمان وعشرين سنة ؛ من سنة (٥١٢هـ/١١١٨م) إلى قيام دولة الموحدين في سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) .

ـ سقوط مدينة المرية بيد النصارى سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) بعد قيام دولة الموحدين بسنة واحد ، والمرية تقع على ساحل بحر الروم (البحر المتوسط) في جنوب الاندلس ؛ استشهد فيها الأف المسلمين[(١)] ، وسبيت اعداد كبيرة من الفتيات المسلمات في هذه المحنة ، وفي هذا يقول المقري[(٢)] : ((وأحصي عدد من سبي من أبكارها فكان أربعة عشر ألفا)) .

ـ سقوط طرطوشة ثم لاردة[(٣)] في أيدي النصارى سنة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) وهما من أعمال مملكة سرقسطة التي تقع في الشمال الشرقي ، والتي كان قد حررها المرابطون قبل ذلك[(٤)] .

ـ توسعت مملكة البرتغال في الجنوب ، وكانت أكثر الممالك شدة ضراوة وحربا على المسلمين[(٥)] .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٢)نفح الطيب : ج٤/٤٦٣ .

(٣) **لاردة** : مدينة قديمة في ثغر الاندلس الشرقي ، ابتنيت على نهر يخرج من أرض جليقية ، يعرف بشقير ، وهو النهر الذي تلقط منه شذرات الذهب الخالص ، وهي بشرقي مدينة وشقة ، وكانت مدينة لاردة قد خرجت وأقفرت ، فجدد بنيانها إسماعيل ابن موسى بن لب بن قسي سنة (٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) ، وحنصها منيع ، وبأعلاه مسجد جامع متقن البناء ، بني سنة (٢٨٨هـ/ ٩٠٠م) ، لها بساتين كثيرة ، وفواكه غزيرة ، وهي مخصوصة بكثرة الكتان وطيبه . الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٦٨ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/٣٥٧ .

(٥)عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

الفصل الرابع

النزاعات الداخلية في

الأندلس في عصر الموحدين

المبحث الاول : النزاع بين الموحدين وابن مردنيش

ـــ سيطرة ابن مردنيش على شرق الاندلس :

انضوت بلنسية ومرسية سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) تحت لواء محمد بن مردنيش ، الذي خلف ابن عياض في إمارة منطقة شرق الاندلس كلها ، وبقيام ابن مردنيش في إمارة شرق الاندلس بدأت صفحة جديدة من الصراع بينه وبين الموحدين ، وهو صراع عنيف استمر ما يقرب من خمس وعشرين سنة ، ولم ينته ذلك الصراع الا بموت ابن مردنيش[١] .

عُنيت الدولة الموحدية منذ قيامها بتوطيد سلطانها في المغرب ، واستكمال فتوحها في إفريقية ، فضلا عن انصرافها لإخماد الثورات والفتن التي نشبت ضدها في المغرب ، مما جعلها تغض الطرف عن مواجهة تمرد ابن مردنيش وانتزائه في بلنسية ومرسية وامتداد سلطانه على كل شرق الاندلس ، وقد تزامن ذلك مع قيام العديد من الثورات في المغرب ضد الدولة الموحدية ومنها ثورة الماسي في شوال سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) ، وثورة قبيلتي برغواطة ودكالة سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) ، وثورة ابن تمركيد[٢] سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) . استقل ابن مردنيش في شرق الاندلس حيث تمكن من تثبيت دعائم سيطرته على بلنسية ومرسية واحوازهما ، كما دخل اهل الحصون والقلاع في طاعته ؛ فعظم أمره سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)[٣] .

وكان ابن مردنيش حريصا منذ بداية حكمه على تثبيت سلطانه على شرق الاندلس والحفاظ على حدوده كاملة ، وعندما توطد سلطانه علي بلنسية ومرسية نصب أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش نائبا عنه فيهـا ، كمـا عين ابن همشـك

[١] ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/٢٣٢ .

[٢] **ابن تمركيد** :أو بومزكيدة وهو ثائر بحومة أقندغل في صحراء دكالة سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) وجه اليه الخليفة عبدالمؤمن بن علي عسكرا بددوا شمله وساقوا غنائمهم ، فغنائمهم هؤلاء العبيد الذين يقال لهم آيت يرزيجن . البيذق ، أخبار المهدي : ٦٩ .

[٣] ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٦٠ .

على مرسية نائبا عنه فيها ، وبهذا أحكم ابن مردنيش سيطرته على شرق الاندلس[١] . لكنه واجه في السنوات الاولى من حكمه ثورتان هددتا استقلاله ، هما ثورة ابن هلال ، وثورة ابن شلبان .

١- : ثورة ابن هلال :

ابن هلال هو يوسف بن هلال ، صهر الامير محمد بن سعد بن مردنيش ، كان قائدا شجاعا ، حازما ، وهو الذي طارد مروان بن عبد العزيز الوالي السابق لبلنسية عقب فراره منها وحاول القبض عليه ولكنه أخفق في تحقيق ذلك[٢] ، وقد ابدى ابن هلال في قيادته كفاءة عالية قربت ابن مردنيش إليه ، بحيث أقدم على مصاهرته ، ودفعته إلى أن يعهد إليه بحكم حصن مطريش أو مطريشه ومواضع كثيرة ، فلما فسدت طاعته قبض عليه ونكبه ، واستولى على ما كان بيده ثم أخلى سبيله ، فأعمل يوسف بن هلال الحيلة ولحق بمورتله وهي حصن في مرسية، وثار بها ، وأرسل إلى (برامون برنجير) أمير برشلونة يستنصر ، وتعهد له بأن يصير ما يملكه إليه ، فأمده بقوات من النصارى اشتركت معه في الاغارة على مدينة بلنسية ، وفي هذه الاثناء نجح يوسف بن هلال في الاستيلاء على بنشكلة[٣] ، واوقع بابن مردنيش وهزمه ، عندئذ قرر ابن مردنيش مواجهة خصمه بقوة كبيرة لتأديبه وبادر بالسير في قواته إلى مورتلة وصادف ذلك خروج يوسف في قواته للاستيلاء على شنطيبور[٤] ففاجأته قوات ابن مردنيش وقبضت عليه وسيـــق إلى ابن مردنيش الذي أسرع به إلى

[١]ابن الخطيب ، الاحاطة : ج٢/ ١٢٦ .

[٢]ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/٢٢٢ .

[٣]**بنشكلة** : حصن منيع بالأندلس بالقرب من طركونة على ضفة البحر، وهو عامر وله قرى وعمارات ومياه كثيرة وبه عين تريق في البحر ، ويقابل مرسي بنشكلة من بر العدوة جزائر بني مزغناي . الحميري ، الروض المعطار : ١٠٤ .

[٤] **شنطيبطور** : أو شنفيره : حصن على اربع مراحل من مرسيه بالأندلس في شرقيها مشهور بالمنعة ، وكان أبا سعيد ابن الشيخ أبي حفص الهنتاني لما طاف على حصون الاندلس يتفقدها في أيام الهدنة نظر الى هذا المعقل وهو بارز الى السماء مع وثاقة بنائه فاعجبه . الحميري ، الروض المعطار : ٣٤٨ .

مورتله وطالبه بإخلائها وإلا نزعت عينه فرفض ذلك ، فأمر ابن مردنيش فأخرجت عينه اليمنى بعود ، ثم اقترب من مورتله وطلب من أهلها إخلاء الحصن ، فلم يجبه احد ، فأخرجت للحين عينه الاخرى ، وسيق إلى شاطبة حيث سجن بها إلى أن مات سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م)(١) .

٢ـ ثورة ابن شلبان ببلنسية :

قامت الثورة في بلنسية ضد ابن مردنيش بتحريض من عبدالملك بن شلبان ، الذي انتهز خروج ابن مردنيش في قواته جنوبا في حملة على بسطة ووادي أش(٢) بغية الاستقلال بمدينة بلنسية ، واستمرت هذه الثورة قائمة ما يقرب من سنتين (٥٤٦ـ٥٤٧هـ/ ١١٥١ـ ١١٥٢م)(٣) . وقد تمكن ابن مردنيش من إخماد الثورات في بلنسية ومورتلة وثبت دعائم حكمه على كل شرق الاندلس ، ثم وجه اهتمامه نحو تطبيق سياسة توسعية ترمي الى ضم مزيد من مناطق الاندلس إلى سلطانه ، ولما كانت المرية تحت سيطرة الفونسوا السابع ملك قشتالة ، فقد اتجه نحو بسطة(٤) ووداي أش ، وكان أحمد بن محمد بن ملحان الطائي منذ أن ثار في وادي أش ، واستولى على قصبتها قد دعى بها لنفسه ، وتلقب بالمتأيد بالله ، ثم تطلع إلى تحصيل المال والذخائر بكافة الطرق ، واقتنى الضياع الواسعة ، وتولى فلاحتها وحرثها ، حتى غدا من أغنى أهل زمانه ، ولم يلبث أن تغلب على بعض القواعد القريبة مثل بسطة وضمها الى إمارته ، واتخذ لنفسه بلاطا اصطنع فيه كل مظاهر الابهة والفخامة شأن ملوك الطوائف وأحاط نفسه ببعض مشاهير رجال العلم والادب ، من أمثال

---

(١)ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٦٠ .

(٢)**وادي آش** : مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة ، كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار ، ينحط نهرها من جبل شلير ، وهي كثيرة التوت والاعناب واصناف الثمار والزيتون ، والقطن ، ولها بابان شرقي على النهر وغربي على خندق ، وعليها سور حجارة . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ١٩٢ .

(٣)ابن الابار ، معجم الصدفي ، نشر : فرانتيسكوكوديرا ، مجريط ـ ١٨٨٥م : ١٧٩ .

(٤)**بسطة** :كانت من المدن الزاهرة بمملكة غرناطة الاسلامية ، وكانت أيام حرب غرناطة الاخيرة معقل الزغل محمد بن سعد ، سقطت بيد الاسبان قبل سقوط غرناطة بقليل سنة (٨٩٦هـ/١٤٩٠م) . ابن الخطيب ، الاحاطة :ج١/ هامش : ١٠٩ .

أبي بكر بن طفيل[١] الطبيب الفيلسوف . امتد عهد ابن ملحان سنيين طويلة ، إلى أن تطلـــع ابن مردنيش إلى ضم وادي أش إلى سلطانه ، فلما زحف ابن مردنيش إليها في قواته فضلا عما انضم إليه من القشتاليين تبين لابن ملحان عجزه عن مواجهتها ، وأنه لم يستطع الاحتفاظ بوادي أش ، فخرج عنها فاستولى عليها ابن مردنيش ، ثم استولى على بسطة وغيرها ، وذلك في سنة (٥٤٦هـ/ ١١٥١م) ، أما ابن ملحان فبادر إلى إعلان طاعته للموحدين وجاز البحر إلى المغرب ودخل في خدمتهم ، فعُهد إليه في الحاضرة مراكش بالاشتغال ببعض الأعمال الهندسية كإقامة البحيرة وإجراء مائها ، ثم تعرض بعد ذلك إلى محنة كبيرة من الموحدين فقد على أثرها ماله وجاهه ، فعاش في بؤس وفقر إلى أن أدركته المنية[٢] .

وفي أواخر سنة (٥٤٧هـ /١١٥٢م) ، خرج الامير عبد المؤمن بن علي إلى تينملل ، وزار قبر المهدي ، بعد أن فرغ من فتح بجاية ، وقضى على سائر الثورات التي احتدمت بالمغرب ، وكانت قد وصلت اليه أخبار ثورة بلنسية وسقوط مدينتي بسطة ووادي أش في يد ابن مردنيش ، وامتداد سلطانه الى الجهات المجاورة لجيان وكانت يومئذ إحدى قواعد الموحدين في الاندلس ، فبعث الامير عبد المؤمن برسالة رسمية إلى ابن مردنيش في السادس عشر جمادي الآخرة سنة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) ، يدعوه فيها إلى الدخول في دعوة الموحدين والانضواء في طاعتهم ، ويلفت نظره إلى أنه لم يغز أحد من زعماء الاندلس ببغيته إلا من دخل في هذه الدعوة ، وأن من خرج عليها منهم كان جزاؤه سوء المنقلب ثم يدعوه إلى المبادرة وإلى الاعتبار ، ويلومه بما

---

[١] **بن طفيل** :هوأبوبكرمحمد بن عبدالله بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي ولد سنة (٥٠٩هـ/١١٠م) ، أصله من وادي أش ، وكان من العلماء المتفننين ، متحققا بجميع أجزاء الفلسفة ، ومن تصانيفه فيها رسالة (حي بن يقظان) ورسالة في النفس ، كما كان على دراية واسعة بعلم الطب حتى أصبح طبيبا للخليفة الموحدي (أبي يعقوب يوسف المنصور) ، ونال عنده حظوة عظيمة ، توفي سنة (٥٨٠هـ/١١٨٥ـ١١٨٦م) . عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٣١١، ٣١٢ ؛ أنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي : ٣٤٨ .

[٢]ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٦٤ .

كــان منه في حق أهل بلنسية ، حينما أظهروا كلمة التوحيد ، وكذلك أهل لورقة حينما ظهر اخلاصهم للموحدين[١] .

ويبدو أن ابن مردنيش لم يكترث لما ورد في رسالة الخليفة عبد المؤمن بن علي ؛ فليس هناك روايات تاريخية تشير إلى أن ابن مردنيش قام بالرد عليها ؛ وبذلك أصبح ابن مردنيش من ألد خصوم الموحدين وأصلبهم عوداً ، وأرسخهم عزما في مقاومة دعوة الموحدين ، وكان الامير عبد المؤمن يستهدف قبل كل شيء ، منذ أن تمكن الموحدون من السيطرة على غرناطة في سنة (٥٥٥هـ/ ١١٥٦م) ، تحرير مدينة المرية من سيطرة القشتاليين ؛ وذلك لأهميتها الاستراتيجية ؛ ولكونها تربط بين الجهات الشرقية والغربية ، وتربط ايضا بين المناطق البرية والبحرية[٢] .

ــ تحرير المرية من قبل القوات الموحدية :

كــان النصــارى قد استولوا على مدينــة المريــة فـي عهد الطاغيــة الفونسو ريموندس ملك قشتالة الذي حكم من سنة (١١٣٦ــ١١٥٧م /٥٣١ ــ ٥٥٢هـ) ، إذ استطاعت الأساطيل والجيوش النصرانية المتحدة في عصره أن تنتزع مدينة المرية من يد المرابطين سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) ، واستمرت المرية في يد النصارى زهاء عشرة سنيين[٣] ، ولما تغلب الموحدون على غرناطة سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) ، واستقر نفوذهم في الجنوب الاندلسي ، أوعز الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى كاتبـــه أبي عقيل عطية بن عطية أن يبعث برسالة الى الطلبة وأشياخ الموحدين ببجانة ، جاء فيها أنه : ((أمر المرية ــ حرسها الله ــ من أهم الامور، واكدها في هذا الغرض المبرور، والامل الميسور ...)) [٤]. وبناء على هذه التوجيهات هيأ الموحدون قواتهم البرية والبحرية لاسترداد مدينة المرية، وكان النصارى قد انتشروا على الربى والبطـــاح التي بظاهرها

---

[١] ليفي بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية : ٣٥ ، ٣٧ .
[٢] ليفي بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية : ٧٣ ، ٧٤ .
[٣] ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/ هامش : ٢٧١ .
[٤] ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/ : ٧٣ .

فابتدرهم الموحدون بالهجوم وتغلبوا عليهم ، ففر القشتاليون الى داخل المدينة ، فاتبعتهم جيوش الموحدين ، واقتحمت عليهم أبواب المدينة ، فاستولوا عليها ، لكن النصارى لاذوا بالقصبة وتحصنوا فيها ، فحاصر الموحدين القلعة ، وأقامت عساكرهم بظاهرها المرتفع ، وعسكرت على الجبل الذي يطل على القصبة[١] ، وساءت احوال النصارى ، وانضم اليهم حليفهم ابن مردنيش في قوات قوامها ستة الاف مقاتل ، وفي ذلك يقول ابن عذاري[٢] : ((وتضافرت جموعهم البائدة ، وجنودهم الحائدة ، على المرية ــ حرسها الله ــ في أحفل عدد ، وأوفر مدد ، فلم يزد الموحدين ذلك الا شهامة وصرامة ، ولاتعرفوا بنزول الكفرة الا عدة وكرامة)) .

وقد حاول النصارى وحليفهم ابن مردنيش ، إنقاذ المرية من السقوط ، ولكن ذهبت جهودهم سدى ، وسقطت المرية في يد الموحدين ، وعادت الى دولة الاسلام في سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) ، وأفرج عن حاميتها النصرانية بالأمان بعد حصار دام اربعة أشهر[٣] . وعندما وصل أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي إلى المرحلة الأولى في اتجاه رباط الفتح وافاه البشير بانسحاب ألفونسو السابع وحليفه ابن مردنيش ، ولكن قوات الموحدين لم تدع ألفونسو السابع يرحل بسلام بل لحقت في أثره وانقضت على مؤخرة قواته عند بياسة ، بينما فتح أهل المدينة أبوابها للموحدين واستسلمت لهم الحامية القشتالية ، فاستولوا عليها ، وتابع الموحدون مطاردتهم للفونسوا السابع عند أبذه ، وتمكنوا من الاستيلاء عليها وكل القلاع المجاورة ، وأما الفونسوا السابع فقد مات في طريقه إلى قشتالة ، وإلى ذلك يشير عبدالمؤمن في إحدى رسائله فيذكر انهما ((قطران عظيما المنافع ، متسعا المسارح والمزارع))[٤] .

---

[١] ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ٥٥ ، ٥٦ ؛ ليفي بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية : ٧٢ ، ٧٦ .

[٢] البيان ، قسم الموحدين : ج٥/٥٥ ، ٥٦ .

[٣] ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/ هامش : ٢٧١ ؛ أشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ٢٤٠ .

[٤] ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ٥٦ ؛ ينظر : ليفي بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية : ٧٨ ، ٧٩ .

ـــ استيلاء ابن مردنيش على جيان :

في سنـــــة (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م) ، خرج ابن مردنيش من مرسيـــــة على رأس قواته وما انضاف اليه من قوات حلفائه النصارى ، متوجها إلى مدينة جيان ، وعندما أحاطت قواته بها لم تلق أي مقاومة واضطر واليها من قبل الموحدين محمد بن علي الكومي أن يسلم المدينة لابن مردنيش ويعلن الطاعة له [١] ، ولما تمت له السيطرة على جيان زحف نحو قرطبة ظنا منه أن أهلها سيقدمون له فروض الطاعة ، الا أنه لم يجد فيها ما وجده في جيان ، فلما وصل إليها بحشوده أحكم الحصار عليها وتم تطويقها ، وخرب ربوعها ، وأتلف زروعها ، وكان والي قرطبة آنذاك أبو زيد عبدالرحمن بن بخيت ، فاستمات في الدفاع عنها واشتبك مع ابن مردنيش في معركة عنيفة ارتد على أثرها إلى المدينة وتحصن داخل أسوارها ، فأقام ابن مردنيش على حصارها ، إلى أن اجتمع القاضي أخيل بن ادريس مع ابي زيد عبد الرحمن بن بخيت ودبرا حيلة من حيل الحرب ، فكتب رسالة على لسان سيداري بن وزير تظاهرا أنها موجهة منه أي من ابن وزير بإشبيلية إلى ابن مردنيش أرسلاها مع رسول متنكر في زي أهل الشرف[٢] ، يستحثه فيها بأن يبادر بالتحرك سريعا من قرطبة نحو إشبيلية لدخولها بحجة أنها بغير دفاع وأنه ضامن له دخولها ، ولم تكد الرسالة تقع في يد ابن مردنيش حتى انطلت عليه الخدعة وبادر في الحال بالإقلاع والسير إلى إشبيلية ، وكان قد سبقه اليها أحد عيون الموحدين ، فأخطر القائمين عليها بما حدث ، ولكن هؤلاء صدقوا ما نسب إلى ابن وزير ، فقبضوا عليه واعتقلوا ، ووصـــل ابن مردنيش

---

[١] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج٤/ ٦٥ ؛ ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ٦٣ ، ٦٤ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٦/٣١٨ ؛ الناصري ، الاستقصا :ج٢/ ١٢٦ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٧٤ .

[٢] **الشرف** : Aljarafe ، يقع في الشمال الغربي من إشبيلية على بعد ثلاثة أميال منها ويشتهر بزيته الشهير ، ويسمى كذلك لأنه مشرف على ناحية إشبيلية . الادريسي ، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في أختراق الافاق ، طبع في مدينة ليدن بمطبع بريل ــ ١٨٦٣م : ١٧٤ ، ١٧٨ .

في قواته الى إشبيلية ونزل بظاهـرها بالموضع المعـروف بالفونت Alfunt ونازلها ببعض قواته حتى وصل الى باب قرمونة ، وأقام محاصرا إشبيلية ثلاثة ايام ، وفي أثناء حصاره للمدينة ، شاع الاضطراب داخلها ، وحل بها وبأهلها كرب شديد ، فبادر واليها السيد أبو يعقوب بضبط المدينة بشدة وحزم بمعاونة طائفة من جند الاندلس بقيادة أبي العلاء بن عزون صاحب شريش ، وأبي بكر الغافقي فضلاً عن الأشياخ والطلبة والحفاظ الموحدين ، الذين داومـوا مخلصين يسهرون طول ليلهم على الاسوار ويقفون بأبواب المدينة ليل نهار ، وقبضوا على ما ارتابوا فيهم ، فسجن من سجن واتهم من اتهم[١] . ولما رآى ابن مردنيش مناعة المدينة ، وصلابة دفاعها ، أدرك أنه قد خدع ، وأن مدينة إشبيلية ليست سهلة المنال ، فغادرها وارتد عائدا إلى قواعده بشرق الاندلس دون أن يظفر بطائل وكان ذلك سنة (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م)[٢] .

ــ هجوم ابن مردنيش على قرطبة :

قرر ابن مردنيش الهجوم على الموحدين في قرطبة أوائل سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) ، فوجه إليها جيشا بقيادة صهره ابراهيم بن همشك[٣] ، فسار إليها ونازلها واجتاح أراضيها ودمر زروعها ، وبعد مدة أقلع عنها ، واكمن خيله ورجاله على مقربة منها بقرية (أطابه) وهي قرية قريبة من قرطبة ، وهي قفرة فلما خرج والي المدينة

---

[١] ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ج٤/ ٦٣ ، ٦٤ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

[٢] عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

[٣]**ابن همشك** : هو ابراهيم بن محمد بن مفرج همشك (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) ، أبو أسحق رومي الاصل ، ومعنى همشك بالقشتالية مقطوع الاذن ، نزع الى ملك قشتالة واستقر مع النصارى ؛ ثم انصرف الى بقية اللمتونيين بالأندلس بعد شفاعة واظهار توبة ، ولما ولي يحيى بن غانية قرطبة ، ارتسم لديه برسمه ، وساوى محمد بن مردنيش امير الشرق وداخله ، حتى عقد معه صهرا على ابنته ، فاتصلت له الرياسة والامارة ، وكان يعد سيفا لصهره ابن مردنيش ، كان رئيسا شجاع مقداما شديد الحزم ، سديد الرأي ، عارفا بتدبير الحرب ، عظيم السطو ، وكان جبارا قاسيا ، فظا غليظا ، عظيم الجرأة والعبث بالخلق ، خدم ابن همشك الموحدين ، ولاذ بهم ، فاجاز البحر ، فقدم على الخليفة سنة (٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) ، وأقره بمواضعه ؛ واستمر مقام ابن همشك بمكناسة غير كبير ، وابتلاه الله بفالج غريب الاعراض ، الى أن هلك . ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/ ٢٩٦ ، ٣٠٣ .

أبو زيد عبدالرحمن بن بخيت في قوة من فرسانه لاستطلاع الحال ، خرج عليه ابن همشك في قواته من كمينه ، وأثخـــن فيهم ، وقـــاتل أبي زيد عبدالرحمن بن بخيت حتى لقي مصرعه في الموضع المعروف (بالدارات) وهي موضع قريب من قرطبة[١] . ولم يكتف ابن همشك بما حققه في غزوته لقرطبة ، بل عمد إلى مهاجمة قرمونة فسار اليها سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) ، وامتنع الموحدون داخل قصبتها ، ولما وصلت هذه الانباء إلى أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن والي إشبيلية وكان عازما على السفر لملاقاة والده الخليفة عبد المؤمن ، من بعد عودته من فتح المهدية ، قرر إرجاء سفره ، فبادر أبو يعقوب فارسل عسكرا إلى قرمونة لانجاد حاميتها ، وانتظر حينا يرقب الحوادث[٢] .

وبعد اتمام فتح المهدية ، وقع في معسكر الموحدين حادث يتصل بصميم الشؤون الداخلية الموحدية ، وهو مصرع الوزير محمد بن عبدالسلام الكومي ، وكان الأمير عبد المؤمن قد ندب هذا الوزير لخدمته في شوال من سنة (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) ، عند خروجه إلى غزو إفريقية وافتتاح المهدية ، ويبدو أن هذا الوزير قد لعب دورا كبيرا في مصرع الوزير ابن عطية ، وأنه في الوقت الذي كان فيه ابن عطية ، يقوم بمهمته في الاندلس ، كان عبدالسلام يتولى الوزارة ، ويتزعم خصوم ابن عطية في مطاردته وتدبير الوسائل الكفيلة بالقضاء عليه ، وأنه لما عاد من الاندلس مسرعا لمناهضته سعى خصومه به ، وانتهى الامر باعتقاله ، ثم اعدامـــه مع أخيه وذلك في شهر صفر من سنة (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) ، فقد شاء القدر أن يلقى الوزير ابن عبدالسلام المصير نفس الذي لقيه زميله ابن عطية ، وكان من اسباب قتل الوزير ابن عبد السلام أنه لما تم فتح المهدية[٣] ، وتمزيق طوائف العرب في إفريقيـــة ، ارتد

---

[١] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج٤/ ٧٥ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٦١ .

[٢] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج٤/ ٧٤ ؛ ج٥/٩٠ ، ٩١ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، تح : ليفي بروفنسال : ٢٦١ .

[٣] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج٦/ ١١٢ ، ١١٨ ؛ ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ٦٧ ، ٦٨ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

الخليفة عبد المؤمن في قواته إلى تلمسان ومعه وزيره ابن عبد السلام ، وهناك ارتفعت الشكوى للخليفة من أعمال ابن عبد السلام ، وظلمهم ، وتعديهم على الرعية ، ومن قرابته كومية ، وتجرئهم على سلب الأموال ، ومضاعفة الجباية ، وغير ذلك من المظالم الفادحة بممالأة ابن عبد السلام وتشجيعه ، وحمايته ، فأمر الخليفة بجمع المتظلمين وأشياخ الموحدين وطلبة الحضر والقاضي ، لسماع أقوالهم ، فأفاضوا في التظلم والشكوى ، وكرروا اتهامتهم ، ونقلت أقوالهم إلى الخليفة عبد المؤمن ، فأبدى دهشته مما يحدث ، ومن كثرة الاموال التي تجمع ، وكونها انها لاتصل إليه ، وقلة ما بيده منها ، وعجزه أن يعطي جنوده العطاء المجزي ، فغادر الخليفة مجلسه غاضبا ، وكان ابن عبدالسلام حاضرا لذلك المجلس ، فتوجس شرا ، ولم يأت ظهر ذلك اليوم حتى تحققت مخاوفه ، وقبض عليه في مجلسه ، وسيق الى السجن ، ولما غادر الخليفة تلمسان ، أوعز بقتل الوزير ابن عبد السلام ، وقدم اليه طعام مسموم توفي عقب تناوله ، وبذلك اخذوا بثأر الوزير ابن عطية ، ويرجح أن يكون ذلك في أواسط سنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)(١) .

ــ استيلاء الموحدين على قرمونة :

عاد الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى المغرب في بداية سنة (٥٥٦هـ/١١٦١م) ، بعد الاحتفال بمدينة الفتح ــ التي بناها سنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) ــ وعودة ولداه أبو سعيد عثمان والي غرناطة ؛ وأبو يعقوب والي إشبيلية ، وكان قد تدارس الموقف في الاندلس مع ولديه وشيوخ الموحدين والطلبة ، إذ كان الموقف في إشبيلية لايزال غير مستقــــر ، وأما أهل قرمــونة فقد تمردوا بزعامة عبدالله بن شراحيل ، وتحالفوا مع ابن همشك وحاصروا الحامية المرابطية بقصبتها ، فجهز أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن حملة من الموحدين لمحاربتهم(٢) بقيادة الشيخ أبي محمد عبدالله بن أبي حفص

(١) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج٦/ ١١٢ ، ١١٨ ؛ ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ٦٧ ، ٦٨ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج٦/ ١١٩ ، ١٢٢ ؛ ابن عذاري ، البيان ، قسم الموجدين : ٧٣ ، ٧٤ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

بن علي ، وسارت الحملة من قلعة جابر شمالا الى قرمونة ، ومعه قوة من الجند الاندلسيين بقيادة ابو العلاء بن عزون ، وضربوا الحصار حول قرمونة ، وكان ابن همشك غادر قرمونة الى جيان ولم يعبأ بأمرها ، وضيق الموحدون على قرمونة ، وارهقوها بالغارات المتوالية ، حتى استطاعوا التفاهم سرا مع رجل من أهلها ، على أن يفتح لهم باب البرج الأكبر ، فتم ذلك ، ودخل الموحدون قرمونة بغتة ، وذلك في المحرم من سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م) ، وقبض على عبدالله بن شراحيل ، وأخذ مقيدا إلى إشبيلية مع نفر من اتباعه' وصلبوا هنالك في الميدان العام تحت قصر ابن عباد ، وهكذا عادت قرمونة إلى سلطان الموحدين بعد أن لبثت على خروجها نحو من سنتين منذ اقتحامها من قبل ابن همشك في ربيع الاول من سنة (٥٥٥هـ)[١] .

ـــ استيلاء ابن مردنيش على غرناطة :

بعد انتزاع مدينة قرمونة من قوات ابن مردنيش ، عمد قائده ابن همشك وهو بجيان إلى الانتقام من الموحدين وقرر مهاجمة غرناطة[٢] ، وقد استطاع ابن همشك ان يتفاهم سرا مع جماعة من يهود غرناطة ، الذين أسلموا رغم إرادتهم نتيجة لضغوط الموحدين عليهم ، ومع حليفهم المعروف بابن دهري[٣] ، على أن يمكنوه من دخول المدينة في ليلة معينة ، وكان السيد أبو سعيد والي غرناطة قد غادرها إلى مراكش في زيارة الخليفة فاستغل ابن همشك هذه الفرصة وزحف إليها في نفس هذه السنة (٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) ، في قواته ، فضلا عن أن مدينة غرناطة في الوقت نفسه لم

---

[١] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج٦/ ١١٩ ، ١٢٢ ؛ ابن عذاري ، البيان ، قسم الموجدين : ٧٣ ، ٧٤ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

[٢] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج٦/ ١٢٣ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموجدين: ٧٤ .

[٣] **ابن دهري** : وهوحليف اليهود المنافق وكان صهر ابن زيد المشرف ، والمشرف بالاسبانية كان هو الذي يتوصل بكل الواجبات والحقوق الواجبة عند الايراد والاصدار للسلع فهو بمثابة المفتش العام للديوانة . ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : هامش :١٢٤ .

يكـن فيها دفاع كاف ، في حين كانت قصبتها[١] مشحونة بالرجال والعتاد والاقوات ، فكسر اليهود بإيعاز من ابن دهري باب الربض[٢] بغرناطة وتناوبوا الصياح بالأصحاب ، فاقتحم ابن همشك بقواته المدينة ، وفر انصار الموحدين إلى القصبة وامتنعوا فيها ، فكتب ابن همشك رسالة إلى ابن مردنيش بمرسية يبلغه فيها بتفاصيل غزوه لغرناطة ويطمعه في إمكانية استنزال قصبتها إذا ما قدم ابن مردنيش على رأس قوة لاقتحام القصبة [٣] ، ولم يتردد ابن مردنيش في إنجاد قائده ونائبه فبعث بقواته وخاطب النصارى لمساعدته فوصلوا إليه وخرجت قواتهم بقيادة ألبار رودريجيس الأصلع ، حفيد البارهاينيث ، ووصلت القوات المشتركة إلى غرناطة، وكان ابن همشك عندما دخل المدينة نزل بالقلعة الحمراء القائمة فوق تلك السبيكة في مواجهة القصبة ، وشرع في منازلتها ، وضربها بالمجانيق ليرغم المحاصرين على التسليم ، ولكن هؤلاء واصلوا صمودهم بالقصبة ، وكانت لديهم مؤن وافرة تعينهم على الصمود ، ومع ذلك فقد كتبوا إلى الخليفة في طلب النجدة كما أرسلوا إلى إشبيلية يستمدون واليها ، وكان الخليفة عبد المؤمن بن علي قد تحرك على عادته من مراكش إلى سلا ، لتنظيم شؤون الجهاد إذ كان عقد العزم على الجواز إلى الاندلس لمواجهة الموقف المتدهور ، فلبغته أخبار حوادث غرناطة في الطريق الى سلا ، فلما وصل إليها بادر بإرسال ولده السيد أبي سعيد في قوة من عسكر الموحدين إلى الاندلس ، فعبر أبو سعيد البحر إلى مالقـة ، وبعث منها يستدعى الشيخ أبا محمد بن عبدالله بن أبي حفص القائم على ولاية إشبيلية ليوافيه عند غرناطة ، وكان ظن السيد أبي سعيد أنه سيواجه ابن همشك في قواته ولم يخطر بباله أن هناك مزيدا من القوات الاسلامية والنصرانية المشتركة التي وجهها ابن مردنيش لمعاونة ابن همشك بقيادة

---

[١] **القصبة** : يعني بها القصبة القديمة بغرناطة التي توجد في العدوة الغربية جنوب ربض البيازين . ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج٦هامش :١٢٤ .

[٢] **باب الربض** : أحد أبواب غرناطة ويقصد به دون شك ربض البيازين حيث كانت تقوم سوق البزاة الذي يقع في شمال المدينة في العدوة الغربية منها . ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : هامش :١٢٤ .

[٣] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج٦/ ١٢٤؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموجدين: ٧٤ .

ألفارر ودريجيس حفيد البارهاينيث وعدتها ألفان من الفرسان والرجالة ، واجتمعت القوات الموحدية في فحص غرناطة[١]، وتقدمت حتى بلغت الموضع المعروف بـ (مرج الرقاد[٢]) ، على بعد نحو أربعة أميال من غرناطة ، وعندئذ خرج اليهم إبراهيم بن همشك في قواته وقوات مرسية المشتركة ، ودارت بين الفريقين معركة حامية اتضح منذ البداية عن تفوق قوات ابن همشك وحلفائه النصارى[٣] ، فاختل نظام جيش الموحدين أمام كثرة جموع ابن همشك ، وكثر القتل فيهم ، وغرق منهم في سواقي المرج عدد كبير ، وانتهت الموقعة بهزيمة نكراء مني بها الموحدون وكان من بين القتلى الشيخ أبو محمد عبدالله بن أبي حفص والي إشبيلية نيابة عن أبي يعقوب يوسف وعدد من أشياخ الموحدين وكبار قواد الاندلسيين ، وفر السيد أبو سعيد في نفر من صحبه إلى مالقة ، وكانت وقيعة كبيرة على الموحدين ، ارتد ابن همشك في قواته الظافرة إلى القلعة الحمراء ، ومعه جملة من أسرى الموحدين ، قام بقتلهم وتعذيبهم على مرأى من إخوانهم المحاصرين ، الذين واصلوا صمودهم بالقلعة[٤] .

ـــ العبور الثالث للموحدين للأندلس (٥٥٧هـ/١١٦١م)

كانت أنباء هزيمة الجيش الموحدي قد بلغت الخليفة عبد المؤمن وهو ما يزال برباط الفتح يحشد الجيوش التي أمر أن توافيه هناك ، فجهز جيشا منتخبا من أنجاد الفرسان والرجالة من أعيان كل قبيلة فبلغت عدته زهاء عشرين ألفا ، فضلا عن جمهرة من أشياخ الموحدين[٥]، بقيادة ابنه السيد أبي يعقوب يوسف والشيخ أبي يعقوب

---

(١) **فحص غرناطة** : وهو السهل الأخضر الذي تشرف عليه غرناطة . ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/ هامش : ١٠٩ .

(٢)**مرج الرقاد** :كان هذا الاسم يطلق على موضع بظاهرغرناطة على بعد كليو مترات من قرية الطرف في سفح أو جبل البيرة ، على مقربة من نهر شنيل . ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/هامش : ٣٠١ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج٦/ ١٢٥؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموجدين : ٧٤، ٧٥ .

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/ ٣٠٠ ، ٣٠١ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(٥)ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج٩/ ٣٥٦ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٨٩ .

بن سليمان زعيم الموحدين ، لتجربته بالحروب ، تيمنا به بما خص في هذا الامر من النصر العجيب[١] ، خرج هذا الجيش الموحدي من رباط الفتح بسلا ، وجاز البحر إلى الجزيرة الخضراء ثم زحف إلى مالقة إذ انضم إليه السيد أبو سعيد بقواته ، وزود الجيش بالعلوفات والمؤن الكافية ، ثم تقدمت حشود الموحدين في اتجاه غرناطة[٢] ، وكان ابن مردنيش عندما وقف على أخبار هذه الحشود الموحدية الكثيفة ، توجه بجيشه لا نجاد صهره ابن همشك بجبل السبيكة[٣] بالقصبة الحمراء ، وكان مع ابن مردنيش فرقة النصارى أميرهم العلج الأقرع حفيد البرهانس ، ومعه ابن القمط أرجال[٤] النصراني ، واخوه أيضا في عدد من ثمانية الاف فارس من النصارى ، فوق تل السبيكة بالقصبة الحمراء ، وكان نهر حدره[٥] يفصل بين محلة ابن همشك ومحلة صهره ابن مردنيش[٦] ، **وفي** هذا الاثناء كانت حشود الموحدين تواصل زحفها حتى وصلت إلى الموضع المعروف بوادي دلر (Dilar) القريبة من قرية[٧]

---

[١] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج٧/ ١٣٠ .

[٢] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج٧/ ١٣٠ ، ١٣١ .

[٣]**السبيكة** : هو الاسم الذي كان يطلق على البسيط الأخضر الشاسع الواقع جنوب شرق الحمراء ، وقد شقت اليوم فيها الطرق الشعة المظللة بالاشجار الباسقة ، ومنها الطريق المؤدي إلى باب الشريعة باب الحمراء الرئيسي . ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/هامش : ١١٦ .

[٤] **القمط ارجال** : تذكر المصادر النصرانية ان القمط ارجال (ComtedUrgel) كان سنة (٥١٧هـ/ ١١٢٣م) هو ايرمانكو السابع (Ermengaud) الذي خلف اباه إيرمانكو السادس الملقب بدو كاستي Castille – De سنة (٥٤٨هـ/١١٥٤) وايرمانكو السابع هذا مات سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٣م) وخلفه ولده البكر ايرمانكو الثامن وأن النص الذي بين ايدينا يؤكد أن المقصود هو ايرمانكو السابع فهو الذي كان سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦١م) قمطا . ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج٧/ هامش : ١٣١ .

[٥]**وادي حداره** : (Darro) اسم النهر الذي يخترق مدينة غرناطة وهو فرع صغير من نهر شنيل وقد كان في القديم يحمل اسم بحر القلزم . ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : هامش : ١٣٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج٢/٢٢٧ .

[٦] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج٧/ ١٣٢ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموجدين : ٧٦ ، ٧٧ .

[٧] **الهمدان** : تقع قرية الهمدان جنوب غرناطة بالقرب من دلر ، وقد استعارت هذا الاسم من القبيلة العربية المشهورة همدان . ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/ هامش : ١٢٧ .

الهمــدان ، فأقاموا عليها ثم ارتحلوا إلى وادي شنيل[1] بالقرب من غرناطة متظاهرين بعدم الرغـــبة فـي الاقـــتراب مـن جيـوش ابـن مـردنيش ، ولـم ينقطـع الجـيش الموحـــدي عن سيره البطيء طبقا للخطة التي وضعها الشيخ أبو يعقوب يوسف بن سليمان[2] .

وفي يوم الخميس السابع والعشرين من رجب سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م) جمع الشيخ أبو يعقوب أشياخ الموحدين وأشياخ الجند من مختلف القبائل وحثهم على التفاني في القتال وذكرهم بأن الجنة مثوى المجاهدين ، ثم ركب الموحدون خيولهم ، وصعدوا الجبل الذي يطل على نهر شنيل مجاورا للسبيكة والقصبة الحمراء حتى وصلوا إلى قمته ، يتقدمهم المشاة وطلائع المصامدة ، ثم تقدموا حتى وصلوا عند الفجر بالقرب من معسكر ابن همشــك وحلفائه النصارى ، وعندئذ انقض الموحدون على أعدائهم بغتة ، قبل ان ينتبهو إلى المفاجأة ويتأهبوا للقتال فكانت وقعة السبيكة أقرب ما تكون إلى المذبحة انتهت بهلاك أعداد هائلة من قوات ابن همشك وحلفائه النصارى ، واستولى الرعب على من نجا منهم ، فظنوا أن الارض من جبل السبيكة إلى معسكر ابن مردنيش متصلة فهلكوا في نهر حدره ، ولم يأت الصباح حتى كان الموحدون قد مزقوا أعدائهم شر ممزق وسقط بين القتلى من قوات ابن همشك الباررودريجيس وزميله ولد الكونت أرجال وعدد من القادة الاندلسيين منهم ابن عبيد صهر ابن مردنيش ، وعجز ابن مردنيش ـ وكان مرابطا بقواته انذاك على الضفـــة الاخرى من نهر حدره ـــ عن صهره ابن همشك ، فلبث يرقب تمزيق قواته ، حتى سحق الموحدون قوات ابن همشك وأبادوها وتم لهم النصر الحاسم في هذا اليوم الذي عرف بالسبيكة[3] ، ودخل الموحدون غرناطة ظافرين في الثامن والعشـرين من رجب من

---

[1] **وادي شنيل** : وهو النهر الذي تقع عليه غرناطة ، ويسمى أيضا عند الاندلسيين بنهر سنجيل ، مشتقل من اسمه اللاتيني Singlis ، وشنيل هو أحد فروع نهر الوادي الكبير ، وقد كانت ضفافه أيام الدولة الاسلامية غاصة بالحدائق الغناء. ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/هامش : ١١٨ .

[2] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج٧/ ١٣٣ ؛ ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحـــدين : ٧٧ .

[3] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج٧/ ١٣٢ ، ١٣٤ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحـــدين : ٧٦ ، ٧٧

سنة (٥٥٧هـ/١١٦٢م) ، في حين خرجت حاميتهم المحصورة في القصبة وأثخنوا القتل[١] ، في فلول خصومهم ومن حالفهم من النصارى ، أما ابن مردنيش فقد انسحب في قواته يجر اذيال الخيبة ، بينما اتجه ابن همشك فيمن معه من فلول قواته المنهزمة صوب جيان ، وقوات الموحدين في أثره[٢].

كان من أثر هذا النصر المبين الذي أحرزته قوات الموحدين أن بادرت سائر نواحي غرناطة إلى إعلان الطاعة والتوحيد ، وبينما عكف السيد أبو يعقوب يوسف والشيخ القائد يوسف بن سليمان على النظر في شؤون غرناطة وإصلاح قصبتها وسد عوراتها ، تابعت قوات الموحدين مطاردة ابن همشك حتى قاعدته جيان إلا أنه لم يتوقف بها ، بل ندب وزيره أبا جعفر الوقشي[٣] للدفاع عنها[٤] ، فامتنع فيها فحاصرها الموحدون حينا دون جدوى فاكتفوا بالعبث فيما حولها من الأراضي وإتلاف زروعها ، وتدمير قراها حتى أصبحت خرابا ، ثم غادروها عائدين إلى قواعدهم[٥] .

وقد بعث السيد أبو يعقوب يوسف والقائد ابن سليمان أنباء الانتصار الحاسم إلى الخليفة عبد المؤمن ، فصدرت أوامره بتعزيز الدفاع عن غرناطة وسد عوارتها وشحنها بالمؤن والعتاد ، ونقل مركز الحكم الموحدي بالاندلس مؤقتا من إشبيلية إلى قرطبة ، التي أصبحت مقر الإدارة الموحدية مدة ؛ لانها تتوسط الاندلس

---

[١] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج٧/ ١٣٢ ، ١٣٤ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ٧٦ ، ٧٧ : ويذكر ابن عذاري ان أبو يعقوب جمع الجيش الموحدي يوم ٢٥ رجب من السنة المذكور بدلا من يوم ٢٧ رجب كما هو مذكور عند ابن صاحب الصلاة .

[٢] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج٧/ ١٣٤ ، ١٣٥ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ٧٧ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

[٣] **الوقشي** : هو أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد الوقشي الوزير أبو جعفر ، أحد الكفاة الأمجاد ، والدهاة الأنجاد ، وهو من بيت القاضي أبي الوليد هشام بن أحمد الوقشي من أهل طليطلة ، ونسبهم في كنانة ، قام بأمر أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن همشك ، ضابطا لأعماله ومصلحا لاحواله ، توفي أبو جعفر الوقشي بمالقة ، صادرا عن مراكش ، في سنة (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) . ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ ٢٥٧ ،٢٦٦ .

[٤] ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢٥٩/٢ .

[٥] ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢٥٩/٢ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/ ٣٠١ .

وقاعدة لجيوشهم[١] ، كما أنها أقرب إلى مركز الأحداث في هذه المدة المضطربة من تاريخ الاندلس . وكانت قرطبة أنذاك تعاني اضمحلالا هائلا في العمران ، وعمرت قرطبة بعد قفرها ، وقامت الحكومة الجديدة ، بتنظيم شؤونها المختلفة ، وتعمير قصورها ودورها المهدمة ، وإصلاح حصونها وأسوارها ، وتأمين أهلها ، فساد الهدوء والطمأنينة في أرجائها ، بعد أن لبثت سنين طويلة ، مسرحا للفتن المخربة ، والثورات المزعجة ، وعاد اليها الكثير من أهلها الذين غادروها ، مستبشرين بالعهد الجديد[٢] .

ــ العبور الرابع للموحدين للأندلس (٥٥٨هـ/١١٦٣م) :

بعد أن تلقى الخليفة عبد المؤمن بن علي نبأ انتصار الموحدين في موقعة السبيكة في الثامن والعشرين من رجب سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) ، وهو بعدوة سلا (الرباط) عزم أن يعد العدة لاستئناف الجهاد بالاندلس ، واعداد حملة بحرية وبرية كبيرة ، فأمر بإنشاء أسطول متعدد الوحدات تعداده مائتا سفينة ، أعد منها مائة وعشرين بميناء المعمورة[٣] الواقعة عند مصب وادي سبو ، والباقي في المغرب والاندلس ، وأمر بتوفير الاسلحة والمؤن والعلوفات ، وكان قد أعد منها خلال سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) ، أكداس هائلة في وادي سبو ، في حمى الجبال المشرفة عليه ، وجلبت الخيل من سائر أنحاء إفريقية والمغرب ، وجلبت كميات وفيرة من السهام والرماح الطوال ، والدروع ، والبيضات ، والتروس[٤] ، لكن القدر لم يمهل الخليفة عبد المؤمن طويلا

---

[١] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج٧/ ١٣٨؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٩١ .

[٢] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج٧/ ١٣٩؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين: ٣٩٢ .

[٣] **المعمورة** : هي المدينة التي تحمل اليوم اسم المهدية على الضفة اليسرى لمصب وادي سبو شمالي سلا وعلى بعد نحو ثلاثين كليو مترا منها على خط مستقيم ، ولم يكن هناك وجود لاسم (المهدية) إلا أيام السلطان اسماعيل سنة (١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) عندما حاصر المرسي وضيق على جيش الاسبان المحتل ، فقد خرج راهبها مستسلما وبيده مفاتيح المدينة ، جاء بها هدية للمولى إسماعيل فأمنه ودخل المدينة وسماها بالمهدية . ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :هامش : ج٧/ ١٤٧ .

[٤] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج٧هامش : ١٤٧ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين : ٣٩٢ .

لانجاز مشروعه الكبير لمواصلة الجهاد ضد القوى النصرانية في الاندلس ، والقضاء على ثورة ابن مردنيش في شرق البلاد ، فقد عاجلته المنية ليلة الجمعة العاشر من جمادي الأخرة سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٣م) عن عمرا ناهز الأربعة والستون سنة . وكان قد خلع ولده محمد عن ولاية العهد وولي الأمير أبو يعقوب يوسف ، فبويع بالخلافة تنفيذا لوصية والده الخليفة عبدالمؤمن بسلا ، بما ظهر عليه من الفضل في أمره ونهيه ، وحمل الخليفة إلى مدينة تينملل ، ودفن بجانب قبر المهدي ، وكان الذي حمله ابنه أبو الحسن علي[١] ، ثم صدر الأمر إلى الجيوش ــ التي سبق أن حشدها الخليفة الراحل بغرض استئناف الجهاد بالاندلس ــ بالانصراف إلى بلادها[٢] ، وقد هيأ هذا الامر الفرصة لابن مردنيش لاستئناف غاراته على قرطبة ونواحيها . وكان الخليفة عبد المؤمن قد أجرى تنظيم لأصحاب المهدي وطوائف الموحدين ، بعد تعاقب الحوادث ، وموت الكثير من أهل الجماعة وأهل الخمسين وأهل السبعين ، إذ استدعى أشياخ القبائل الموحدية من المصامدة وغيرهم إلى مراكش ، واعلن تصنيف الموحدين إلى ثلاث طوائف أو طبقات ، الأولى هم (السابقون الأولون) الذين بايعوا الإمام المهدي وصحبوه وغزوا معه ، وصلوا خلفه ، والذين شهدوا موقعة البحيرة واشتركوا فيها ، ويتلو هذه الطبقة من آمن بالتوحيد ، ودخل في زمرة الموحدين من بعد البحيرة إلى فتح وهران سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) ، وتتكون الطبقة الثالثة ممن انتظم في سلك الموحدين بعد فتح وهران إلى ما بعدها ، وقد تم هذا التصنيف الجديد بعد أن روعيت فيه كل الاعتبارات ، من الزلف والقرب والعدالة وغيرها ، لتعرف كل طبقة مكانتها ومركزها[٣] .

---

[١] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج٨/ ١٥٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٣/ ٢٣٩ ؛ عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٣٠٦ ، ٣٠٨ ؛ ابن ابي زرع ، روض القرطاس : ٢٠٢ ؛ ابن غلبون ، أبي عبدالله محمد بن خليل الطرابلسي (ت١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م) ، التذكار ــ تاريخ طرابلس الغرب فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الاخبار ، نشره وعلق عليه : الظاهر احمد الزاوي ، المطبعة السلفية ــ القاهرة ــ ١٣٤٩هـ : ٨٦ ، ٨٧ .

[٢] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج٨/ ١٦٤ ؛ عنان ،عصر المرابطين والموحدين :٣٩٥ .

[٣] ليفي بروفنسال ، رسائل موحدية : ٥٤ ، ٥٥ .

ـــ انتصار الموحدين في موقعة فحص الجلاب[١] :

لقد واجهت الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في بداية عهده بعض المشاكل ، منها امتناع قوم من بعض أشياخ الموحدين عن بيعته ، وكذلك امتناع أخواه عبدالله صاحب بجاية ، و محمد صاحب قرطبة ، لكنه كف عنهما ولم يطالبهما بالبيعة . وقد تسمى بالأمير ، ولم يتسمى بأمير المؤمنين حتى اجتمع عليه الناس . وفي سنة (٥٥٩هـ/ ١١٦٤م) ، قدم عليه أخواه عبدالله صاحب بجاية ومحمد صاحب قرطبة تائبين طائعين مبايعين ، وقدم عليه معهما أشياخ حاضرتيهما وفقهاؤهما ، فوصلهم أمير المؤمنين يوسف وأحسن اليهم بالمال والخلع ، وتمت له البيعة العامة في يوم الثامن من ربيع الأول سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) ، أي بعد سنتين من وفاة والده[٢] .

كما واجه الأمير يوسف نشوب ثورة محلية في منطقة غمارة سنة (٥٥٩هـ/١١٦٤م) ، شغلته طويلاً ، ومحرك هذه الثورة مرزدغ الغماري الصنهاجي ، من صنهاجة مفتاح ، فقد ضرب السكة وكتب عليها (مرزدغ الغريب ، نصر الله قريب) ، فتبعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة[٣] ، فافسد تلك الناحية ودخل مدينة بني تاود[٤] ، وقتل وسبى فيها خلق كثيراً من أهلها ، فبعث اليه أمير المؤمنين يوسف جيشا من الموحدين ، فقتل وحمل رأسه الى مراكش[٥] . وكان ابن مردنيش قد انتهز هذه

---

[١] **فحص الجلاب** : وهو فحص يبعد عشرة أميال (نحو اثنا عشر كليومتر) جنوب مدينة مرسية . ابن الآبار ، الحلة السيراء : ج٢/ هامش: ٢٦٠ .

[٢] ابن ابي زرع ، روض القرطاس : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

[٣] **أوربة** : قبيلة بربرية كبيرة من شعب البرانس ، كانت تشمل في القديم على بطون وعمائر كثيرة مثل ديقوسة ورغيوة ولجاية ومزياتة ونفاسة وتيجة ، وقد كبرت هذه البطون فيما بعد حتى اصبحت في عداد القبائل ، كان شيخ هذه القبيلة عند دخول الاسلام أرض المغرب يسمى سكرديد بن زوغي ، ولي عليهم ٧٣سنة ، وادرك الفتح الاسلامي ومات سنة ٧١هـ وبقيت زعامة البربر في أوربة حتى دخل الامام ادريس أرض المغرب فتنازل له شيخها اسحاق بن محمد بن عبدالحميد عنها فصارت اوربة في عداد قبائل دولته ، لاتمتاز عن غيرها الا بالسبق الى تأييد دعوته ومقاتلة عدوه . ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : هامش : ٢٠٩ ، ٢١٠ .

[٤] **بني تاود** : الاسم القديم لقرية فاس البلي الواقعة ببطن البوار من قبيلة فشتالة . ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : هامش : ٢١٠ .

[٥] ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ٢٠٩ ،٢١٠ .

الفرصة فهاجم قرطبة بشدة وعبث في نواحيها ، وإتلف زروعها[١] ، فلما بلغ ذلك الأمير أبو يعقوب ، أمر بتجهيز حملة إلى الاندلس قوامها أربعة ألاف فارس معظمهم من العرب عهد بقيادتها إلى الشيخين أبي سعيد بن الحسين وأبو عبد الله بن يوسف ، وجازت هذه الحملة البحر إلى الاندلس ، وتوزعت منها فرقة عدتها نحو خمسمائة فارس إلى مدينة بطليوس لتعزيز حاميتها ، وفي ذلك يقول صاحب البيان المغرب[٢] : ((وكان ابو سعيد بن الحسين وابو عبد الله بن بوسف قد تقدما بعسكر العرب وبعثوا منهم عند وصولهم إشبيلية نحو خمسمائة فارس إلى مدينة بطليوس لحماية صيفيتها فيسر الله تعالى غزو شرذمة كبيرة من النصارى اهل شنترين فهزمهم المسلمون وغنموهم واستأصلوهم قتلا وسبيا ، فكان ذلك عنوان الفتح ...)) فيسر الله تعالى غزو قوة كبيرة من النصارى من أهل شنترين فهزمهم المسلمون وغنموهم واستأصلوهم قتلا وسبيا ، بينما سارت بقية الحملة بقيادة الشيخين إلى إشبيلية ، ومنها إلى قرطبة ؛ لتعزيز جبهتها الدفاعية وحماية نواحيها من غارات قوات ابن مردنيش ، فوصلت الحملة الموحدية إلى قرطبة ، ثم خرجت إلى أحوازها ، حيث اشتبكت على غير ميعاد بقوات ابن مردنيش في حصن لك ، فنشبت بين الفريقين معركة حامية في شعبان من سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م)[٣] ، استمرت طوال اليوم انتهت دون حسم ، فلم يستطيع فيها أي الفريقين أن يحقق نصرا على الآخر ، بالرغم من بلاء القوات الموحدية وثباتها ، وقد كتب القائدان أبو سعيد وأبو عبد الله إلى الخليفة الموحدي أبي يعقوب يعرفانه بما لقياه من هول ومشقة ويطلبا منه النجد[٤] ، فاستجاب الخليفة لطلبهما فأمر بتجهيز جيش من الموحدين يضم نخبة من أمهر الفرسان من عرب رباح واثبج وزغبة ، وعندما اكتملت قواته [٥] ، فجاز أبو حفص البحر من مراكش في

[١]ابن خلدون ، العبر : ج٦/٣٢٠ .
[٢] ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ٨٨ .
[٣] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج١٠/ ١٩٦؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ٨٨ .
[٤] ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ٨٨ ، ٨٩ .
[٥] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج١٠/ ١٩٦ ، ١٩٧ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ٨٨ ، ٨٩ .

العاشر من رمضان سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م) ، وبصحبته أخوه أبو سعيد عثمان والي قرطبة إلى الاندلس ، ثم اتجه الى إشبيلية ، وعقد مع زعماء الموحدين مجلس حرب تدارسوا فيه الخطط لمواجهة ابن مردنيش ، وقرروا المبادرة بالهجوم عليه في أراضيه ، وفي أول شهر ذي القعدة من سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م)[١] ، زحفت جيوش الموحدين نحو الشمال وبدأت بمنازلة حصن أندوجر[٢] التابع لابن مردنيش ،وكان هذا الحصن المركز الرئيس لبث الغارات على قرطبة ، والقاعدة المهمة للإمدادات لقوات ابن مردنيش ، وتمكن الموحدون من الاستيلاء على الحصن عنوة ، ومن هناك بدأوا يشنون الغارات على أحواز أندوجر ، فاستولوا على غنائم كثيرة ، وقد دفع أهل الحصون المجاورة لاندوجر إلى اعلان الطاعة للموحدين وطلب الامان[٣] ، ثم حشد أبو حفص صفوة جنده من الموحدين والعرب وسار من أندوجر جنوبا ، قاصدا مرسية ، من طريق السهل ، فوصل إلى مشارف مدينة بسطة ، دون أي مقاومة ، وجنده تعيث في تلك المنطقة ، وتنتزع الاقوات وتستاق الماشية ، وهنالك على مقربة من بسطة وافته حشود غرناطة ومنهم فرقة من الرماة ، وسار الجيش الموحدي بعد ذلك صوب لورقة ، مارا بحصن بلج أو بلش وهو من أهم معاقل ابن مردنيش في تلك المنطقة ، فاضطر قائد الحصن العزفي وأصحابه إلى طلب الأمان وسلم الحصن ، ووضعت به حامية موحدية[٤] . وكان ابن مردنيش في اثناء ذلك قد حشد قواته ، ومعه جمع كبير من النصارى ، فخرج من مرسية لاعتراض الموحدين عند لورقة ، ويحول دون مرورهم منها إلى مرسية ، فلما رآى الموحدون صعوبة اختراق هذا الطريق الجبلي الوعر تحولوا إلى لورقة ، وانحدروا إلى السهل المسمى بـ (الفندون) ، فاخترقوا باتجاه مرسية ، وكان ابن مردنيش في تلك الاثناء قد ارتد بجنده نحو مرسية

---

[١] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج١٠/ ١٩٦ ، ١٩٧ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ٨٨ ، ٨٩ .

[٢] **أندوجر** : بلدة من مقاطعة جيان وتقع شمال شرقي قرطبة ، مشيدة بشط الوادي الكبير يعبر لها على قنطرة في غاية العلو .ينظر : ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج١٠ هامش : ١٩٧ .

[٣] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج١٠/ ١٩٦، ١٩٧ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ٨٨ ، ٨٩ .

[٤] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج١٠/ ١٩٨ ؛عنان ، عصر الموحدين : ج٥ / ١٦ .

من الطريق الجبلي ، فلما كان يوم الجمعة السابع من ذي الحجة من سنة (٥٦٠هـ/ أكتوبر من سنة ١١٦٤م) ، أشرف الموحدون عند الظهر على فحص الجلاب الواقع على بضعة أميال من مرسية ، فنزلوا فيه ، وأشرف ابن مردنيش بقواته قبالتهم ، فنظم الموحـــــدون قواتهم من أهل هرغة وتينملل وهنتانة وجدميوه وباقي القبائل الموحديــة كانت تحت إمرة الشيخين أبي سعيد وأبي عبدالله ، وثمانية الآف هي جملة الحملة التي عبر بها أبو حفص وأخوه[١] ، وتعاهد الموحدون على الصدق والثبات والصبر ، والاستشهاد في سبيل الله ، فبدأ ابن مردنيش الهجوم فانقضت قواته أولا على الجند العرب ، ثم تحول إلى مهاجمة الموحدين ، فهاجمهم مرتين متواليتين ، ونشبت بين الفريقين معركة هائلة ، قاتل فيها الموحدون والعرب قتالا عنيفا ، واستمرت حتى مغيب الشمس ، ورجحت كفة الموحدين في النهاية ، ففتكوا بجيش ابن مردنيش ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وسقط في الموقعة شيوخ العرب السبعة فيمن سقط من الموحدين ، وارتد ابن مردنيش في فلول قواته إلى تل قريب إلى أن دخل الليل ففر مسرعا إلى مرسية ، وامتنع بداخلها ، وفي صباح اليوم التالي الثامن من شهر ذي الحجة ، سار الموحدون إلى مرسية ، حتى اقتربوا منها ، ونزلوا بساحتها ، وأمضوا بها عيد الاضحى ، وبثوا سرياهم فدمرت أحوازها ، ومنها بساتين ابن مردنيش ، مدى أيام ، حتى امتلأت أيديهم بالغنائم والاقوات ، ووصلت طلائعهم إلى أريولة وألش . وبعث السيدان أبو حفص وأبو سعيد إلى أخيهما الخليفة أبي يعقوب بمراكش بكتاب الفتح والبشرى ، من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن عياش ، فوصل الى الحضرة في الثالث والعشرين من ذي الحجة ، وقرئ على سائر الحاضرين من الأشياخ ، والطلبة ، ثم قرئ بعد ذلك بالمسجد الجامع على كافة الناس[٢] . كانت هزيمة فحص الجلاب من أقسى الضربات التي أصابت ابن مردنيش

---

[١] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج١٠/ ١٩٨، ١٩٩ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٣٢٢ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ٨٨ ، ٨٩ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٦ ، ١٧ .

[٢] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج١٠/ ١٩٨ ، ١٩٩ ؛ ابن عذاري ،البيان ، عصر الموحدين : ٨٨ ، ٨٩ ؛ عنان ، قسم الموحدين : ١٦ ، ١٧ .

، لانها كانت بداية انحلال ثورته ، وانهيار سلطانه في شرق الاندلس . وقد حققت حملة الموحدين في هذه المنطقة نتائج عدة كان من اهمها القضاء على هيبة المتمرد ابن مردنيش ، كما كشفت عن ضعف ولاء أهل شرق الاندلس لابن مردنيش إلى حد إقدامهم في أول فرصة واتتهم على الاستسلام للموحدين والدخول في طاعتهم ، فضلا عن أن الحملة الموحدية سببت انقساما واضحا في جبهة ابن مردنيش ، فالعلاقات بينه وبين صهره ابن همشك اصابها الفتور ، بدليل أننا لم نعثر في رواية ابن صاحب الصلاة على أي اشارة إلى اشتراك ابن همشك الساعد الايمن لابن مردنيش في هذه المعارك أو تصديه للقوات الموحدية عندما أغارة على بياسة بالرغم أن قاعدته جيان تقع في جنوبها ، كما أن الحملة اقنعت الموحدين بضرورة القضاء نهائيا على نفوذ ابن مردنيش في شرق الاندلس ، وذلك من أجل ضم هذا الاقليم إلى بقية البلاد ، كذلك لأهمية هذا الاقليم استراتيجيا ؛ لتحكمه في مناطق عدة ولكثرة سواحله ومراسيه البحرية وخصوبة تربته وتوافر ثرواته الاقتصادية .

ـ دخول ابن همشك في طاعة الموحدين :

كان الخليفة أبو يعقوب يوسف قد أصدر تعليماته للشيخ أبي حفص بأن يطبق سياسة دفاعية عن قرطبة ولا يبدأ بالهجوم على أملاك ابن مردنيش ، وفي الوقت نفسه بعث الخليفة أبو يعقوب عن طريق أخيه أبي حفص رسالة إلى ابن مردنيش في رمضان من سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م) جاء فيها : ((وقد كان الشيخ الأجل أبو حفص أعزه الله ـ تحرك في هذه السنة بعساكر الموحدين ـ أعانهم الله إلى الجزيرة الاندلسية ـ حماها الله ـ بنية الجهاد والغزو ؛ فخاطبنا بما رأيناه من هذه المخاطبة إليكم أن يتنكب ذلك الجانب ، ولأن لا يعرضه بقصده وأن يتخلى عنه إلى سواه ريثما يصل كتابكم ، ويستعلم ما عندكم من إجابة الدعاء والتلفت إليه ؛ فيكون بدار الجواب على حكم ذلك ، والله يحملكم على ما تتعرفون بركته ، تجتنون عاجلا وآجلا ثمرته ، وتحمدون مآله بالاستبصار في أمر الله وبغيته • فذلك بيده ، لا رب سواه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))[١] .

[١] ليفي بروفنسال ، الرسائل الموحدية : ١٤٩ .

فقد أوضح الخليفة في رسالته لابن مردنيش المكاسب الروحية والمادية التي سوف يجنيها ابن مردنيش اذا خضع لسلطان الموحدين ، حيث كرر اليه الدعوة التي كان ابوه الراحل عبد المؤمن بن علي منذ اثنى عشر سنة قد دعاه إليها[١] ، ولكن ابن مردنيش لم يعبأ بنداء الخليفة إليه ولم يستجب لرجائه بالدخول في طاعة الموحدين بينما استجاب نائبه ابن همشك إلى هذه الدعوة وبادر بالكتابة إلى الشيخ أبي حفص بقرطبة بجوابه الذي ضمنه رغبته في أن يقبل الخليفة توبته كما سجل قبوله للدخول في حكم التوحيد وعرض عليه أن يمكن الموحدين في بلاده ، وقد رحل ابن همشك فعلا إلى قرطبة في رمضان من سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م) ، فاستقبله واليها السيد أبي إسحاق ابراهيم والشيخ أبي حفص وأكابر الموحدين استقبالا وديا حافلا ورحبوا به ، وأعلن ابن همشك أنه قد عاهد الله تعالى بالتزام الأمر العزيز المطاع ، والدخول في حكم التوحيد ، وأقر أن الله تعالى هداه إلى المذهب الرشيد [٢] . وما أن تم اعلان ابن همشك دخوله في طاعة الموحدين حتى كتب إلى الخليفة أبي يعقوب يعلنه بتوبته ويبلغه دخوله في الطاعة ، ثم يسأله العفو ، وحسن المثاب ، فجاء رد الخليفة بالقبول ، وأمر بتقريبه وإكرامه ، وترتب على ذلك أن اتصلت البلاد التي في حوزة ابن همشك جيان وبياسة وأبدة ببلاد الموحدين في أواسط الأندلس[٣] .

وقد أدى الشقاق القائم بين ابن مردنيش وصهره ابن همشك ، إلى أن يبادر ابن همشك بخذلانه والانضمام إلى الموحدين ، وبأزاء ذلك أقدم ابن مردنيش على طلاق زوجته صبيحة بنت إبراهيم بن همشك ، بعد أن بالغ في إهانتها وإيلامها ، فغادرته إلى كنف أبيها ، وأسلمت إليه ولدها ، ويحكى أنها عندما سئلت عن ولدها قالت : جرو كلب لاحاجة لي به ، فصارت كلمتها مثلا عند نساء الاندلس[٤] .

---

[١] ليفي بروفنسال ، الرسائل الموحدية : ١٤٦ ، ١٤٨ .
[٢] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج١/ ٣٠٣ ؛ ابن عذاري ،البيان ،قسم الموحدين : ١٠٨ .
[٣] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج١/ ٣٠٤ .
[٤]ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١ /٣٠٢ .

ويبدو ان بوادر الخلاف الحاد الذي نشب بين ابن همشك وابن مردنيش قد ظهرت قبل ذلك بمدة ؛ عندما قرر ابن همشك ألا يشترك مع قوات صهره ابن مردنيش في الدفاع عن بياسة رغم وجوده في جيان على مقربة منها ، وقد يكون مرجع الفتور في العلاقات بين الصديقين المتصاهرين سوء معاملة ابن مردنيش لابنت ابن همشك أو طلاقه لها ، وهو وحده مبرر كاف يفسر الخلاف القائم بينهما وهو خلاف انتهى بطلاق سياسي بين الرجلين سبقه طلاق شرعي . ولعل مبادرة ابن همشك بالدخول في طاعة الموحدين يمكن تفسيرها بخوفه على نفسه من ابن مردنيش إذ سبق له أن عاين إقدامه على قتل وزيريه ابني الجذع وبناهما في الحائط وقتله لابن صاحب الصلاة الغرناطي[١] وكان ذلك مبررا قويا يفسر انضواءه إلى جانب الموحدين ، والواقع أن توحيد ابن همشك وخضوعه السياسي للموحدين جاء ضربة قاسية لابن مردنيش ؛ لأنه فقد حليفا قويا[٢] ، إلا أن ابن مردنيش لم يغفر لنائبه السابق ابن همشك فعلته تلك ودفعته شهوته إلى الانتقام منه ومعاقبته على خيانته إذ وجه قواته للهجوم المتواصل على قاعدة جيان واستمرت الغارات لمدة سنة ، قاسى فيها ابن همشك الأهوال ، واستصرخ بالموحدين لأنجاده ، لكنهم لم يروا التدخل في هذه المعركة ، إذ كانوا يعدون خطة لمهاجمة ابن مردنيش في عقر داره[٣] .

ــ نهاية ابن مردنيش :

استدعى الخليفة أبي يعقوب أخويه السيد أبا ابراهيم إسماعيل والي إشبيلية والسيد أبا إسحاق ابراهيم والي قرطبة والشيخ الحافظ أبا عبدالله بن أبي ابراهيم والي غرناطة إلى حضرته مراكش ، فغادروا الاندلس أوائل جمادي الأولى سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م) ،

---

[١] **الغرناطي** :هو أبو عبدالله ابن صاحب الغرناطي الذي كان في جملة العلماء المبرزين الذين تهافتت على إجازته في مروياته ومؤلفاته جماعة من أمثال عبدالله بن باديس الذي أخذ عن مشيخة إشبيلية قبل أن يأخذ العلم بمدينة فاس والذي كان في جملة شيوخ ابن الأبار . ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ج ١٤هامش : ٣٠٣ .

[٢] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج١٤/٣٠٢ ، ٣٠٣ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ١٠٨ ، ١٠٩ .

[٣] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج١٥/ ٣١٣ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ١٠٩، ١١٠ .

ويبدو أن استدعائهم كان لإشراكهم في التجهيز للحملة الكبرى التي كان ينوي تسييرها لمقاتلة ابن مردنيش ، وهي حملة تأجلت بسبب مرض الخليفة أبي يعقوب منذ بداية السنة حتى نهايتها ، وفي هذه السنة أيضا اختلف الهواء بمراكش فمرض أكثر السادات وكثير من الناس[١] .

بعد اعلان ابن همشك التوحيد زاد ابن مردنيش غاراته على أراضيه ، وتوالت صرخات ابن همشك واستنصاره بالخليفة أبي يعقوب الأمر الذي استلزم إلى توجيه قوة عاجلة إلى الاندلس لنجدة ابن همشك ووضع حد لاعتداءات ابن مردنيش المتكررة ، يضاف إلى ذلك قدوم ابن همشك بنفسه إلى الحاضرة مراكش سنة (٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) مؤكدا طاعته للخليفة أبي يعقوب ملتمسا اغاثته[٢] . كانت أحوال ابن مردنيش الداخلية آنذاك قد ساءت وأخذ نجمه بالأفول كما بدأ سلطانه الشامخ الذي أقامه في شرق الاندلس منذ سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) يتهاوى شيئا فشيئا ، ويرجع ذلك لعاملين ؛ اولهما ان ابن مردنيش كان يرتبط بعلاقات ودية مع الممالك النصرانية ولاسيما مملكة قشتالة التي كانت تربطه بها علاقة ودية وثيقة ، ووفقا لهذه العلاقة كان ابن مردنيش يحتفظ في بلنسية بحامية كبيرة من القشتاليين اكتظت بهم المدينة ، وكانوا يتصرفون فيها بما يحلوا لهم ، حتى ضاق اهل بلنسية ذرعا بتصرفاتهم ، وهجرها الكثير منهم إلى الضياع والقرى المجاورة ؛ مما زاد في سخطهم على ابن مردنيش الذي مكن النصارى من دورهم واموالهم ومرافقهم ، وشردهم ودفع بهم إلى الهجرة من بلدهم ، ليوسع لحلفائه النصارى[٣] ، وقد حركهم ذلك الامر على السخط عليه والتماس الآمال في الخلاص من عهده البغيض أنفة من سياسته غير الاسلامية واعتماده على اعداء الاسلام . وأما العامل الثاني في اضمحلال قوة ابن مردنيش ، فيتمثل في خروج قادته وكبار رجال دولته عليه ، وكان

---

[١] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج١٥/ ٣٠٨ ، ٣٠٩ ؛ ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ١٠٩ ؛ عنان ، عصر الموجدين : ٤٣ .

[٢] ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ١١٠ ، ١١١ .

[٣]ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/ هامش : ٢٣٣ ؛ عنان ، عصر الموجدين : ٤٧ .

انشقاق ابن همشك عليه أعظم قادته وساعده الايمن وصاحب الفضل الأعظم في معظم انتصاراته ، وانضمامه إلى الموحدين وتنازله لهم عن كل املاكه ضربة قاسية لابن مردنيش هزت هيبته وسلطانه ، فخرج عليه ايضا صهره يوسف بن هلال ، كما خرج عليه وزيراه ابني الجذع فانتقم منهما ، فضلا عن هزيمته في معركة فحص الجلاب ، وعلى هذا النحو من الاضطراب الداخلي والانقسام بدت دولة ابن مردنيش تتصدع وتتهاوى ، في الوقت الذي وضع الموحدون الخطط للقضاء على سلطانه ومهاجمته في عقر داره ،الامر الذي ساعد الموحدين على القضاء عليه بسهول[1] ، ففي أول رجب من سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) خرج السيد أبو حفص وأخوه السيد أبو سعيد والشيخ أبو حفص في عسكر الموحدين من إشبيلية ، ومعهم إبراهيم بن همشك لمحاربة ابن مردنيش فأقاموا أياما بقرطبة ، ثم زحفوا بعدها نحو مرسية ، فكانت أول مدينة نازلوها من قواعد ابن مردنيش مدينة قيجاطة[2] فافتتحوها بعد مقاومة قصيرة ووقع قائدها الشرقي في أسرهم ، فضربت رقبته برأي ابن همشك ، ثم غادروها إلى مرسية ، وهم يبثون غاراتهم على بسائط ابن مردنيش ، حتى وصلوا إلى فحص مرسية ، فنازلوه واستولوا على حصن الفرج في ظاهره وكان متنزها لابن مردنيش ، فاستباحوا الرياض والبساتين ، وما اتصل بها من البسائط والقرى في تلك المنطقة ، وابن همشك يقود الموحدين ويدلهم على عورات عدوه[3] .

وفي صيف سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) انهار سلطان ابن مردنيش ، فاستنجد بحلفائه من النصارى ، فلم يلب منهم دعوته سوى أربعمائة فارس بعث بهم إلى لورقة مع قائده الوفي أبي عثمان بن عيسى لتأمين الدفاع عن قصبتها فضبطها ، وحصنها ، ولكن الأمر طال عليه وشاع بين الناس ما يعانيه ابن مردنيش من اضطراب أحواله ،

---

[1] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :٣٠٢ ج١٤/ ، ٣٠٣ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ١٠٨ ؛ عنان ، عصر الموجدين : ٤٧ ، ٤٨ .

[2]**قيجاطة :** مدينة بالاندلس من عمل جيان تقع في الشمال الشرقي لجيان شرقي قرباقة وقد تسمى قيشاطة . ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج١٥هامش : ٣١٦ ؛ ينظر : الحميري ، الروض المعطار : ٤٨٨ .

[3] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج١٥/ ٣١٦ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ج٤/١١١ .

وان نهايته قد دنت ، عندئذ ثار أهل لورقة ودعوا للموحدين ، وهاجموا النصارى وعسكر ابن مردنيش الذين لاذوا بالقصبة يتحصنون بداخلها ، فخاطب أهل لورقة السيد أبا حفص بمحلته بظاهر مرسية يعلنونه بتوحيدهم ، ويستغيثون به لنصرتهم ، فسار السيد أبو حفص في بعض قواته إلى لورقة ودخلها ، بينما تحصن القاضي أبو عثمان بن عيسى مع عسكر النصارى وأجناد ابن مردنيش داخل القصبة ، وحدث أن خرجت سرية موحدية للغزو في النواحي المجاورة ، فوقع في يدها ولد القاضي أبي عثمان فحملوه إلى السيد أبي حفص الذي عمد بواسطته إلى ممارسة سياسة الضغط على أبيه القائد ، فأمر بأن يحمل إلى موضع قريب من القصبة عساه يراعيه ويحمله ذلك على تسليمها ، فرفض القائد واستمر ممتنعا ، فواصل الموحدون حصارهم للقصبة حتى نفدت المؤن والمياه عن المحاصرين ؛ وعندئذ ألح الجند النصارى على أبي عثمان في التسليم ، وتوسط ابن همشك لابي عثمان في النزول من القصبة مع جنده بالامان ، وهكذا سلمت القصبة وانصرف القائد أبو عثمان مع أصحابه وابنه إلى مرسية ، وانصرف الجند النصارى إلى بلادهم[١] ، وتم بذلك انضواء لورقة معقل مرسية الأمامي في دولة الموحدين ، وبعث إلى الخليفة أبي يعقوب بأخبار هذا الفتح ، فورد جوابه بالشكر والامتنان واعادة حصار مرسية ، فانصرف السيد أبو حفص بقواته في طريقه إلى مرسية ، وفي اثناء ذلك أعلن أهل الج (ألش[٢]) دخولهم في دعوة التوحيد ، وتبعهم في ذلك أهل الحصون المجاورة ، ثم جهز السيد أبو حفص حملة من الموحدين عهد بقيادتها إلى الشيخ الحافظ أبي عبدالله بن أبي إبراهيم ووجهها إلى مدينة بسطة ، افتتحها ودخلت في طاعة الموحدين[٣] ، كما أعلن أبو عبدالله محمد

---

(١) ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج١٥/ ٣١٧ ، ٣١٨ ؛ ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ج١١٢/٤ ، ١١٣ .

(٢) **ألش** : إقليم بالأندلس من كورة تدمير ، بينه وبين أريولة خمسة عشر ميلا ، وألش مدينة في مستو من الأرض ، يشقها خليج يأتي إليها من نهرها يدخل من تحت السور . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس : ٣١ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج١٥/ ٣١٨ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين: ١١٣ .

بن سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش[١] ، المعروف بابن صاحب البسيط ، وكان ابن عم محمد بن سعد بن مردنيش وصهره على أخته ، أعلن في المرية طاعته للموحدين ، وتعاون مع محمد بن هلال أحد قادة ابن مردنيش الخارجين عليه ، وقبضوا على ابن مقدام والي ابن مردنيش على المرية فأعدم ، وبعثا إلى السيد أبي حفص يبلغانه دخولهما في طاعة الموحدين ويسألانه العون والإنجاد فوجه إليهما بقوة موحدية ، وعندما وصلت هذه الانباء إلى ابن مردنيش أعماه الغضب فأمر بقتل أخته زوج محمد ابن عمه وبقتل بنيه منها[٢] ، وعندما رأى أبو بكر أحمد بن سفيان المخزومي[٣] سيد جزيرة شقر[٤] مآل اليه أمر ابن مردنيش من انشقاق ابن همشك عليه وتوحيده ، ثم خروج ابن عمه عليه بالمرية ، وما كان من طرده لأهل بلنسية ، وشحنها بالنصارى واحتلالهم ديارها قام مع أهل الجزيرة ودعى للموحدين وانضم إلى جيرانه ، وهاجم النصارى وطردهم من بلده فأمر ابن مردنيش أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد والي بلنسية بقتال ابن سفيان ، فبعث أبو الحجاج يوسف قوة من الفرسان ، حاصرت جزيرة شقر وضيقت عليها من منتصف شوال سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) حتى منتصف ذي الحجة من نفس السنة ، كل ذلك وابن سفيان يقاوم وابن مردنيش يواصل تسيير قواته لتشديد الحصار ، فخاطب أهل الجزيرة

---

(١) ابن الابار ، الحلة السيراء :ج٢/ ٢٦٨ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج١٥/ ٣٢٠ ؛ ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ١١٣ .

(٣) **المخزومي** :هو إحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي أبو بكر ، صحب أبا العباس أحمد بن معد الأقليشي ، الزاهد ومال إلى طريقته ، وانفق في أبواب الخير والمعروف ، أموالا جليلة ، وكان يعرف بالعابد ، لكثرة ايثاره وطول صحبته للفقراء ، وانكبابه على الاعمال الصالحة ، وداره جزيرة شقر من أعمال بلنسية ، دعا للموحدين وخلع ابن سعد . ابن الابار ، الحلة السيراء :ج٢ / ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٤) **جزيرة شقر** : جزيرة بالأندلس ، قريبة من شاطبة ، بينها وبين بلنسية ثمانية عشرميلاً ، وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار وبها ناس وجلة ، وقد أحاط بها الوادي ، وفيه يقول ابن خفاجة ابيات يتشوق إلى مغاهده ويندب ماضي زمانه :

بين شقر وملتقى نهريها حيث ألقت بنا الأماني عصاها
وتغني المكاء في شاطئيها يستخف النهى فحلت حباها .

الحميري ، الروض المعطار : ٣٤٩ .

أبا ايوب بن هلال معاون ابن صاحب البسيط في ثورة المرية ضد ابن مردنيش ، فوجه اليهم السيد أبو حفص قوة من عسكر الموحدين بقيادة أبي أيوب فاستطاع أن يقتحم الجزيرة ، وأن يضبطها ويحميها أشهرا حتى مرض ابن مردنيش ولحق بمرسية ، فتنفس أهل الجزيرة الصعداء[(١)] . وكان ابن مردنيش أثناء قيام الموحدين بمحاصرته يخرج بقواته من آن لآخر ويشتبك معهم في معارك طاحنة ، بينما كان أخوه الرئيس أبو الحجاج يوسف بن سعد ، يتولى الدفاع عن بلنسية وأحوازها ، وقد اختُلف في موقف يوسف من أخيه في المأزق العصيب ، ففي رواية أنه خرج على أخيه ، وفر عنه إلى الموحدين ، ودخل في طاعتهم قبل وفاة أخيه بنحو سنة [(٢)] ، بينما يذكر المؤرخ المعاصر ابن صاحب الصلاة[(٣)] أنه مال إلى التوحيد قبل موت أخيه ((وتحقق من أخيه الانحراف ، والميل إلى الموحدين والانعطاف ، فزادت كيده ألما ، واتصلت نفسه سقما)) .

ـــ العبور الخامس للموحدين سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) :

عبر الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن من حاضرته في سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) ، إلى جزيرة الاندلس ،" وكان هذا العبور أول غزواته " ؛ لدفع النصارى والمنافقين ، فتلقاه أشياخ إشبيلية وقرطبة وجميع أشياخ الأندلس بجزيرة طريف ، ثم توجه إلى إشبيلية فدخلها يوم الجمعة الثاني عشر من شوال من سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) ، وأقام فيها عشرة أيام ، ثم رحل إلى قرطبة ثم وجه عسكرا إلى طليطلة ، فعبر واداي تاجة ، فغنم بطاحها واحوازها وانصرف إلى قرطبة سالما غانما ؛ وكان سبب توجيه العسكر للثأر مما ارتكبه القشتاليون بقيادة الكونت نوبيو دي لارا من العيث والتقتيل في أراضي المسلمين ، ثم خرج إلى إشبيلية آخر ذي الحجة من السنة المذكورة ، وقام بترتيب أوضاع البلاد مدة إقامته إلى أن انصرف عنها[(٤)] .

---

(١) ابن الابار ، الحلة السيراء :ج٢ / ٢٦٨ .
(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام : تح : ليفي بروفنسال : ٢٧١ .
(٣) المن بالامامة :ج١٥/ ٣١٩ ؛ ينظر : ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ١١٤.
(٤) ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج١٧/ ٣٥٠ ، ٣٦٢ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ٦٨ .

وكانت من أسباب عبور الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف إلى الاندلس ، ما وصتله من أخبار فتنة المنتزي ابن مردنيش في شرق الاندلس وما ترتب عليها من تدهورأوضاع الاندلس السياسية ، والموقف العسكري الخطير في البلاد وما يتهدده من ضياع سلطان الموحدين فيه ، وما يتعرض له من هجمات الممالك النصرانية المستمرة . وكانت الاحداث المتوالية قد أثرت على ابن مردنيش ، ولعل من اهمها انشقاق معظم قادته ووزرائه وقرابته عليه ، واستيلاء الموحدين على معظم حصونه وقواعده ، وتشديد الحصار على مرسية ، وكانت الضربة القاضية والأخيـــرة ما بلغه من عبور الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف[1] إلى الاندلس في حشـــود كثيفـــة من الموحدين والعرب ونزوله بإشبيلية في شوال من سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) ، فأيقن ابن مردنيش آنذاك بقرب نهايته ولكنه مع ذلك لم يهن ولم يتنازل عن كبريائه فيعلن خضوعه للموحدين ، إلا أن انهيار سلطانه وتمكن الموحدين من بلاده وخروج معظم أقربائه وولاته عليه قد عجل بنهايته ، فلم يلبث أن توفي في العـــاشر من رجب

---

[1] **الخليفة يوسف** : كان الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف قد خرج والعلامات والساقات والطبول وراءه ، يتصل به من عسكره المنصور الصغير والكبير ، وقد قدم أمامه مصحف صاحب رسول الله (ﷺ)عثمان بن عفان(رضي الله عنه) على حمل مرتفع ، وقدام هذا المصحف مصحف الإمام المهدي وكان قد كتب بخط ابن تومرت محلى بالفضة مموهة بالذهب ، وعلى مصحف عثمان كلة حمراء تصونه ، وكان قد تحدث الشريف الإدريسي عن مصحف موجود بمسجد قرطبة فيه أوراق من مصحف عثمان بن عفان وهو المصحف الذي خطه بيمينه (ﷺ) وفيه نقاط من دمه ، وذكر ابن بشكوال أنه نقل من قرطبة أيام عبد المؤمن بن علي وبأمره وأكد ابن مرزوق أنه مصحف عثمان بن عفان(ﷺ) بأطباق أهل الاندلس ، وقد تمنى عبد المؤمن في أعماق نفسه أن لو كان يملك هذا المصحف لكنه ـــ وهو يقدر شعور القرطبيين إزاء المصحف ـــ كان لا يفصح بذلك لكن الذي حدث أن أهل قرطبة قرروا بعد أن يتقدموا به هدية لعبد المؤمن ٠٠ وهكذا جمع الخليفة الصناع والمتقنين من سائر بلاد المغرب والاندلس من المهندسين والصواغين والنظامين ، والجلائين النقاشين والزواقين والمرصعين والنجارين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين ٠٠٠ وصنع له أغشية بعضها من السندس وبعضها من الذهب والفضة ، وحلاه بأنواع اليواقيت وأصناف الأحجار والغريبة ، وقد استمر عند الموحدين إلى أيام المعتضد بالله : علي بن إدريس بن يعقوب ، ثم عثر بنو عبد الواد على المصحف وملكه بعد أبو الحسن المريني إلى أن كانت حادثة البحر سنة (٧٥٠هـ/١٣٦٤م) ، إذ ركب أبو الحسن البحر من تونس قافلا إلى المغرب ، وذلك في إبان هيجان البحر ، فغرقت مراكبه وهلكت نفوس تجل عن الحصر ، وضاعت نفائس يعز وجود مثلها ، ومن جملتها المصحف العثماني فكان ذلك أخر العهد به . ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج١٧/ ٣٥٠ ؛ ينظر : الناصري ، الاستقصا :ج٢/ ١١٥ .

من سنة (٥٦٧هـ/ مارس ١١٧٢م)[١] . وتختلف الروايات في تعليل وفاته ، ففي رواية أنه لما اشتد على أهله وكبرياء دولته وأساء إليهم ، نصحته والدته وأغلظت له القول ، فنهرها فخشيت بطشه ، لما تعلمه من وحشية طباعه فدبرت قتله بالسم[٢] ، في حين تشير رواية ابن الابار[٣] إلى أن ابن مردنيش مرض خلال محاصرته لجزيرة شقر وغادرها عليلا إلى مرسية ، حيث لقي حتفه . وايا ما كان الأمر فقد كتم أقاربه خبر وفاته إلى أن حضر أخوه أبو الحجاج يوسف من بلنسية وتشاور مع أكابر أبناء أخيه ، واتفق رأي الجميع على أن يعلنوا طاعتهم للخليفة أبي يعقوب ، وأن يسلموا له البلاد ، إذ ذكر عبدالواحد المراكشي[٤] : أن ابن مردنيش حينما حضرته الوفاة جمع أبناءه ، وهم هلال يكنى أبا القمر ، وهو أكبر ولده وإليه أوصى ، وغانم ، والزبير ، وعزيز ، ونصير ، وبدر ، وأرقم ، وعسكر . وقال لهم : ((يا بني ، إني أرى أمر هؤلاء القوم قد انتشر ، وأتباعهم قد كثروا ، ودخلت البلاد في طاعتهم ، وأني أظن أنه لا طاقة لكم بمقاومتهم ، فسلموا إليهم الأمر اختيارا منكم ، تحظوا بذلك عندهم ، قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم ، وقد سمعتم ما فعلوا بالبلاد التي دخلوها عنوة ! ففعلوا ما أمرهم به)) .

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :٣٢١ ؛ عنان ، عصر الموجدين : ٥٢ ، ٥٣ .
(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٤٩٣/١ .
(٣) الحلة السيراء : ج٢/ ٢٦٨ .
(٤) المعجب : ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

ـ الاسباب التي أدت إلى انهيار سلطان ابن مردنيش :

لابد في نهاية المبحث أن نذكر أهم العوامل التي ساعدت على انهاء تمرد ابن مردنيش ودولته التي استطاع أن ينشئها في شرقي الاندلس ، مابين طرطوشة شمالا والمرية جنوبا ، وما بين شاطيء البحر شرقا وجيان غربا ، والتي لبثت زهاء ربع قرن ، تتحدى سلطان الموحدين وجيوشهم المتدفقة من وراء البحر ، بل لاح مدى حين أن ابن مردنيش كاد يبسط سلطانه على الاندلس كلها ؛ وذلك عندما استولى على جيان وبياسة وأبدة ووادي أش ، واخترق أواسط الاندلس حتى إشبيلية ، وعندما اجتاح نائبه ابن همشك وادي قرطبة ، وهدد المدينة ذاتها ، واستولى على قرمونة ، ثم هزم الموحدين في مرج الرقاد واستولى على غرناطة ، ولو لم تضع موقعة السبيكة حدا لتقدمه ، لكان سطان الموحدين في الاندلس عرضة للانهيار ، ولتكللت ثورة ابن مردنيش بالظفر التام .

ـ لم يكن ابن مردنيش بالرغم من شجاعته وحصافته وجرأته وفروسيته ، الشخصية المثلى التي تتعلق بها أمال الاندلسيين في الاستقلال .

ـ الإفراط في مصادقة النصارى ، والاستعانه بهم في حروبه ، وتمكينهم من قواعده ، فضلا عن تشبهه بهم في الزي ، وفي حياته الخاصة والعامة .

ـ كان ابن مردنيش يتسم بطائفة من الصفات الذميمة ، إذ كان مسرفا في الشراب ، واتخاذ الجواري ، منهمكا في حب القيان والرقص .

ـ كان مسرفا في القتل والانتقام ، طاغية ظلوما ، وكان عماله على شاكلته من الظلم والجور .

ـ الضربة القاضية ، عبور الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف إلى الاندلس في حشود كثيفة من الموحدين والعرب ونزوله بإشبيلية في شوال من سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) .

ـ الخلافات بين القادة ولاسيما مع ابن همشك .

ـ المغارم والمكوس التي فرضها على الناس ليسدد نفقات الجيش لاسيما الجند النصارى .

ـــ العبور السادس للموحدين سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) :

عاد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف من الاندلس في شهر شعبان من سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٦م) وكان وصلوله إلى مراكش منتصف شهر رمضان من نفس السنة المذكورة والموافق الثاني والعشرين من مارس سنة (١١٧٦م) ، ولم تمض أسابيع قلائل على استقرار الخليفة أبي يعقوب بمراكش ، حتى ظهر الوباء بالمدينة في أول شهر ذي القعدة من سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٦م) ، واشتد حتى بلغت ضحايا كل يوم نحو مائتي شخص ، ولما ضاق الجامع بالصلاة على الموتى ، أمر الخليفة أن يصلى عليهم بسائر المساجد ، وأصيب معظم الاعيان بالوباء ، ومات منهم أربعة من إخوة الخليفة هم أبو عمران ، وأبو سعيد ، وأبو عبدالله ، وأبو زكريا والي بجاية . ومات من أشياخ الموحدين أبو سعيد بن الحسين ، وكان الشيخ أبو حفص عمر الهنتاني قادما من قرطبة قاصدا إلى مراكش ، فأصيب بالوباء وتوفي بالطريق ، ودفن برباط الفتح . ففقدت الدولة الموحدية بوفاته ركنا من أهم اركانها ، وقائدا من أعظم قوادها ومرض الخليفة ، وأخوه السيد أبو حفص ، واشرفا على الهلاك ، ولكن تداركتهما العناية فشفيا ، وكان يموت كل يوم في القصور الملكية ثلاثون شخصا حتى فنى أكثر من كان فيها ، ودام هذا الطاعون مدة سنة[١] .

وفي يوم الثلاثاء الرابع من شهرمحرم من سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٧م) تحرك الخليفة أبو يعقوب من مدينة فاس إلى أن وصل مدينة سبتة فأقام بها شهر محرم ثم نزل البحر يوم الخميس الخامس لصفر فحل بجبل الفتح ، ثم سار من جبل الفتح إلى الجزيرة الخضراء إلى ان نزل بعساكره على إشبيلية في يوم الجمعة الثالث عشر لصفر وخرج جميع أهل إشبيلية إلى لقائه والتيمن برؤيته ، فمن تواضعه وشرفه

[١] ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ١٣٥ ، ١٣٦ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٦/ ٣٢٢ .

واعتنائه بالعلم انه لما ابصر ابن الجد[١] (رحمه الله) وهو يسرع في مشيه ليسلم عليه ترجل عن فرسه وتلاقيا فترامى ابن الجد على يد أمير المؤمنين وقبلها ومسح بها وجهه وقال : الحمدلله الذي جمعني بك ياحبيبي وحبيب الناس فتبسم الخليفة من قوله ، وهذا من تواضعه وفضله[٢] .

قال ابن صاحب الصلاة[٣] : ((كنت حاضرا في يوم هذا اللقاء فسلمت عليه مع من تقدم من الطلبة اليه وتزاحم الناس للسلام عليه فلم اقدر على الكلام ونزل رضي الله عنه داخل البحيرة التي له بخارج باب قرمونة فلما كان في اليوم الثاني امر باخراج السلاح والعدد وامر بتمييز العساكر والعدد ، وقسم عليهم جميع الاسلحة المذكورة وقسم الف فرس من العتاق الجياد على أشياخ الموحدين والعرب والاجناد ، وتلاحقت هذه الايام عساكر اهل الاندلس من اقطارهم وامصارهم وأتى القائد ابو العباس الصقلي بأجفان[٤]غزوانيات وآلات للحرب مُعدات)) .

كان سبب عبور الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى الاندلس الحوادث التي أخذت منحى خطير يتوجب على الخليفة أن يتخذ الاجراءات اللازمة لتدارك الموقف المتفاقم في الاندلس ، ولاسيما عدوان الممالك الاسبانية المستمر والذي اخذ يشتد ويتفاقم ، وغزوات البرتغاليين لمدن الغرب الاندلسي ، وما احرزوه من انتصارات في البر والبحر على القوات الموحدية ، وغزوات ملك قشتالة لمدن وسط الاندلس

---

[١]**ابن الجد** : هو الشيخ الإمام العلامة ، الحافظ ، الفقيه ، الخطيب الأفوه ، أبو بكر محمد بن عبدالله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري اللبلي الإشبيلي المالكي ، سمع بقرطبة أبا محمد بن عتاب ، وأبا بحر بن العاص ، وأبا الوليد بن رشد ، وبإشبيلية أبا بكر بن العربي ، وسمع صحيح مسلم عن أبي القاسم الهوزني ، حدث عنه : محمد بن عبيدالله الشريشي وأبو الحسين محمد بن محمد بن زرقون ، انتهت إليه رئاسة الحفظ في الفتيا ، وقدم للشورى ، وعظم جاهه ، امتحن في كائنة لبلة ، وقيد وسجن ، وكان فقيه عصره ، توفي في شوال من سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) . الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ج٢١ / ١٧٧ ، ١٧٨ .

[٢] ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ج٤/١٥٩ .
[٣] نقلاً عن ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ١٥٩ .

[٤]**أجفان** : الجفن غطاء العين من أعلى وأسفل ، والجمع أجفن وأجفان وجفون ، والجفنُ : غمد السيف ، وجفن السيف غمده ؛ وفي حديث الخوارج : سلوا سيوفكم من جفونها ؛ قال : جفون السيوف أغمادها ، واحدها جفنُ . ابن منظور ، لسان العرب : ٦٤٤ .

وتهديده لقرطبة وإشبيلية ، وتوغل قواته إلى غرناطة ومالقة ورندة ، كـــل ذلك قد كشف عن ضعف الجبهة الدفاعية الموحدية بالاندلس ، وعن قصور القوات الموحدية عن حماية البلاد ؛ لذلك رآى الخليفة أبو يعقوب أنه لابد ؛ من تنظيم حركـــة جديدة للجهاد بالاندلس يقودها بنفسه ، وظهرت بوادر هذه النية منذ أوائل شهر جمادي الآخرة من سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) عندما أمر الخليفة بصنع عشرة مجانيــق جربت بعد صنعها بالرمي امامه ، في منطقة البحيرة خارج مراكش[١] ، كما أصدر الخليفة المراسيم بتولية أربعة من أبنائه أمرة قواعد الاندلس الاربعة الرئيسة ، وهم أبو إسحق لولاية إشبيلية كما كان ، و أبو زكريا يحيى لولاية قرطبة ، وذلك تنفيذا لرغبة القاضي أبي الوليد بن رشد(الحفيد) ، وأبو زيد لولاية غرناطة ، وأبو عبدالله لولاية مرسية ، وأمرهم بالسفر إلى مقر أعمالهم ، تمهيداً ؛ للغزو وفي الوقت نفسه اصدر أمرا بتولية أبي المكارم ابن الحسين المصري قضاء إشبيلية ، وأبي الوليد بن رشد(الحفيد) لقضاء قرطبة ، وأبي عبدالله بن الصقر لقضاء غرناطة ، وأوصاهم بالرفق والجري على سنن الحق ، فسافر الجميع إلى شبه الجزيرة في السابع والعشرين من شعبان[٢] .

كان الهدف الرئيس لهذه الحملة الموحدية الكبرى استرداد ثغر أشبونة[٣] ، وكان من الطبيعي أن يقوم الجيش الموحدي قبل السير إلى أشبونة ، بالاستيلاء على شنترين ، وهي حصن أشبونة من الشمال ، وبذلك تؤمن مؤخرة الجيش الموحدي ضد أي هجوم يقوم به النصارى من تلك الناحية ، وبعد وصول القوات الموحدية إلى ظاهر

---

[١] ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ١٤٩ ،١٥١ ، ١٥٤، ١٥٥ .

[٢] ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين : ١٥٦ .

[٣] **أشبونة** : وهي مدينة بالاندلس من كورة باجة المختلطة بها ، غربي باجة ، وهي مدينة قديمة على سيف البحر ، واسمها قودية ، وسورها رائق البنيان ، بديع الشان ، ولها باب قبلي يسمى باب البحر وباب شرقي يسمى باب الحمة وباب شرقي ايضا يسمى باب المقبرة ، والمدينة في ذاتها حسنة ممتدة مع النهر ، لها سور وقصبة منيعة ، والاشبونة على نحر البحر المظلم ؛ وعلى ضفة البحر من جنوبه ، وقبالة المدينة حصن المعدن ، يسمى بذلك لان عند هيجان البحر يقذف بالذهب التبر هناك . ابن عبد الحق البغدادي : صفي الدين عبد المؤمن ، (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي ، تح : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ــ بيروت ــ ١٩٩٢م : ٨٠ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٦ .

شنترين ، أمر الخليفة جنده يتقدموا إلى أبواب المدينة ، ويضربوا حولها الحصار ، ونزل الموحدون في الربض الواقع في جنوبها الشرقي والممتد على طول النهر وضربت به قبة الخليفة ، وكان البرتغاليون وعلى رأسهم ملكهم الفونسوا هنريكيز ، قد تحشدوا داخل شنترين وقصبتها وزادوا في تحصينها ، وتهيؤا للدفاع عنها[١] . وقد جرت بين الفريقين معارك عنيفة ، فقد ذكر ابن الاثير[٢] أنه : في سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٣م) ، سار أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى الاندلس ، وعبر البحر إليها في جيش عظيم من الفرسان والراجلة ، فقصد غربي البلاد ، فحاصر مدينة شنترين شهراً ، فأصابه بها مرض ، فمات منه في شهرربيع الأول من السنة المذكورة ، فحمل في تابوت إلى مدينة إشبيلية . ويروي لنا عبد الواحد المراكشي[٣] وهو مؤرخ معاصر ومن مؤرخي الموحدين ، ما جرى في معسكر الموحدين أنه لما رآى نصارى شنترين ماحدث من عبورالموحدين ، وانصراف معظم الجيش المحاصر، ووقفوا على ما قرره الخليفة من الارتحال في بقية جيشه ، خرجوا من المدينة في كثير من الفرسان ، وهاجموا معسكر الموحدين بشدة ، حتى وصلوا إلى قبة أمير المؤمنين ، فستبسل الموحدون في الدفاع عنها ، وجلهم من أعيان الاندلس ، حتى قُتل كثير منهم ، ونفذ النصارى إلى قبة الخليفة ، فطعنه أحدهم تحت سرته ، وتكاثر الموحدون على النصارى حتى ردوهم ، فانهزموا راجعين إلى المدينة ، وعبر أمير المؤمنين النهر جريحا في محفته ، ولم يمض إلا يومان أو ثلاثة فتوفي متأثراً بجراحه . ويبدو لنا مما سبق ان هناك تضارب بين الروايتين ، والمرجح عندي رواية المراكشي ؛ لانه من مؤرخي الموحدين فضلا عن كونه من كتابهم ، وهذا يجعل روايته ادق من رواية ابن الاثير الذي يقطن في المشرق الاسلامي ، وهي بلاد بعيدة عن مجرى الحوادث في الاندلس .

---

(١) عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٣٣٠ ، ٣٣١ .
(٢) الكامل في التاريخ : ج١٠/ ١٢٦ .
(٣) المعجب : ٣٣٢ ؛ ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٧/١٣٦ .

كان انسحاب الجيش الموحدي من أمام أسوار شنترين نكبة مؤلمة ، تشابه نكبة انسحابه من وبذة بل تفوقها في خطورة نتائجها ، وذلك قبل اثني عشرسنة ، والتي سنتطرق اليها لاحقاً ، وهناك اسباب عدة ادت إلى هذه النتائج الخطيرة ، منها ضعف تماسك وتنظيم الجيش الموحدي بالرغم من ضخامته ووفرة استعداده وعدته ، فضلا عن عدم وجود قيادة حازمة للجيش وهدف مشترك ، وانهيار فكرة الجهاد لديه التي حُشد من اجلها ، فكانت كل طائفة من الجيش تبحث عن سلامتها فحسب وترتقب أي فرصة للانسحاب ، كما أن استئثار الخليفة بحركة الجيش وعدم الاعتماد على رأي القادة كان له مردودا سلبيا على نتائج المعركة ، وهذا دليل عن أن الاوامر كانت صادرة من الخليفة دون دراسة وتدبروعدم مشاورة القادة الميدانيين ، بما فيها اوامر نقل قطعات الجيش الموحدي من شرقي وجنوبي شنترين إلى الشمال والغرب ، وهو امرٌ عارضه القواد لانه يضع الجيش في موضع الخطر والتطويق ، كما أن امر الانسحاب المفاجيء الذي اصدره الخليفة أدى إلى الاضطراب والفوضى ، وفقد الاتصال بين الفرق المنسحبة ، وبين حرس الخليفة وخاصته ، واقتحام العدو لمعسكر الخليفة واصابته اصابة قاضية ، كما ان النقص في التموينات الذي كان يعاني منه الجيش الموحدي اضطره للانسحاب والبحث عن البديل بشن الغارات على الاراضي التي يمرفيها خلال مسيره ، وهذا دليل على ان الموحدين لم يتعلموا من درس حملة أبذة ، ولم يحاولوا اصلاح جيوشهم ، واستمر اعتمادهم على التفوق العددي دون سواه[١] .

ولما أستشهد الخليفة أبو يعقوب متأثرا بجراحه بعد عبوره نهر التاجة بقليل ، محمولا على محفته ، كتمت وفاته ، حتى نزل الركب خـــــلال الطريق إلى إشبيلية ، في موضع يسمى (حصن طرش)، وهنالك ضربت أخبية الخليفة ، وكــان أبو يوسف

---

[١] ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة : ج١٩/ ٤٠٣ ، ٤٠٩ ؛ ابن عذاري ،البيان ، قسم الموحدين: ١٦١ ، ١٦٤ .

يعقوب ولد الخليفة هو الذي يدخل على أبيه ويخرج من عنده منذ إصابته ، ويتصرف في الامور نيابة عنه وباسمه[١] . وعندما تكامل وصول الناس ، بعث أبو زيد ابن الخليفة إلى أخوته الموجودين مع الجيش ، وإلى أكابر الموحدين ، وأطلعهم على وفاة الخليفة ، وطلب منهم مبايعة الأمير يعقوب بن يوسف ، فاستجابوا إليه ، وتمت البيعة في مساء نفس اليوم ، وفي اليوم التالي استؤنف السير ، واستمر كتمان وفاة الخليفة على عامة افراد الجيش ، إلى أن وصل إلى إشبيلية ، وذلك بعد نحو من شهر من بداية انسحاب الجيش وعبوره نهر تاجة . واستراح أبو يوسف يعقوب بإشبيلية ثلاثة ايام ، تلاحقت خلالها الحشود ، ووصلت جموع العرب والموحدين وسائر الطوائف الاخرى ، ونزلت في اكناف إشبيلية ، ودعى الناس خاصتهم وعامتهم ، لتقديم البيعة ، واعلنت وفاة الخليفة ، وأخذت البيعة للخليفة الجديد على مدى يومين ، وتمت بيعته بهدوء وسلام ، دون أي معارضة ، لان أباه الخليفة الراحل كان قد خصه بولاية عهده أثناء حياته ، كما أنه كان من أكبر أولاد الخليفة ، ولما تمت البيعة ، وشملت سائر أنحاء الاندلس ، وسائر الطبقات ، وتم تنظيم شؤون الاندلس ، دعى الخليفة في اليوم الرابع والعشرين من جمادي الاولى (٥٨٠هـ/٢سبتمبر ١١٨٤م) ، أشياخ الموحدين والعرب ، وشيوخ الوفود من سائر البلاد ، وأذن بالحركة وانقضاء الغزوة ، والتأهب للرحيل . لقد اكتفى الخليفة يعقوب بلقب (الأمير) ، وقام بدفن أبيه أمير المؤمنين أبي يعقوب مؤقتا بدار الخليفة بالرباط ، ثم نقل منها ودفن بتينملل إلى جانب أبيه عبد المؤمن والمهدي بن تومرت ، وغادر الخليفة بعد ذلك رباط الفتح إلى الحاضرة مراكش[٢] .

---

[١] ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ٢١٧ ؛ عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ـ عصر الموحدين ، مكتبة الخانجي ـ الاسكندرية ـ ٢٠٠٢م : ١٣٠ .

[٢] ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ج٤/١٧١، ١٧٢ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٣٠ ، ١٣٢ .

المبحث الثاني : النزاع بين بنو غانية[١] والموحدين زمن الخليفة يعقوب المنصور (٥٨٠ ـ ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ ـ١١٩٨م)

أولا : تحالف بني غانية مع المتمرد ابن مردنيش ضد الموحدين :

بعد وصول أولاد أبو زكريا يحيى بن علي بن غانية إلى الجزائر الشرقية والتحاقهم بعمهم محمد بن غانية المسوفي صاحب الجزائر الشرقية (ميورقة ومنورقة وبياسة) ، اشتركوا معه ومع ابنائه في حرب الموحدين ، واستمر بنو غانية شوكة في جنب الدولة الموحدية[٢] ، وكانوا بنو غانية قد انضووا تحت لواء محمد بن سعد بن مردنيش أمير بلنسية الثائر على الموحدين ، وحينما تمكن الموحدون من القضاء على ابن مردنيش دخل بنو غانية في طاعة الموحدين مرغمين على الاعتراف بحكمهم وذلك في سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧٢م)[٣] ، وكانا يشكلان خطرا كبيرا على الدولة الموحدية ، ولعل محمد بن غانية ادرك أنه بعد قضاء الموحدين على ابن مردنيش سينتهي أمره في حالة عدم الدخول في طاعة الموحدين فاغتنم الفرصة ، ودخل في

---

[١]**بنو غانية** : تقرأ بتشديد الياء ، وهم من قبيلة مسوفة المرابطية ، ثانية القبائل الصنهاجية الكبرى التي قام عليها ملك المرابطين بعد قبيلة لمتونة ، وقد سموا بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسهم الذي ينسب الى أمه ، وكانت من غانة ، وكانت النسبة إلى الامهات شائعة في عهد المرابطين ، وهناك شخصيات مهمة في الدولة المرابطية وقادة عسكريون بارزون يدعون باسم أمهاتهم ، منهم أبو عبدالله بن عائشة من خيرة قادة المرابطين ، ومحمد بن فنو كان قائدا للمرابطين ووالي غرناطة ، واخرون غيرهم ، لأن الرجال كانوا يتزوجون كثيرا فينسب الاولاد ألى أمهاتهم تمييزا لبعضهم عن بعض في البيت الواحد ، وكان موطن بنو غانية في بداية الامر في الجزر الشرقية (جزر البليار حاليا) وهي جزيرة ميورقة ومنورقة ويابسة وهي أكبر جزائر الاندلس في بحر الروم على ساحلها الشرقي من ناحية قطلونيا وبلنسية ، وقد سكنوا هناك عندما أرسل الأمير المرابطي علي بن يوسف (٥٠٠ ـ ٥٣٧هـ/ ١١٠٦ ـ ١١٤٢م) محمد بن غانية إلى ميورقة ليحكم هناك باسم المرابطين وكان ذلك سنة (٥٢٠هـ/ ١١٢٥م) ٠ ينظر : ابن الابار ، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي : ٥٥ ؛ ابن الابار : الحلة السيراء : ج٢/٢١٢ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الاندلس : ١٨٥ ؛ الناصري ، الاستقصا : ج٢/٥٦ ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

[٢]ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/هامش : ٢٠٦ .

[٣]ابن صاحب الصلاة ،المن بالامامة :ج١٥/ ٣٢١ ؛ عنان ، عصر الموجدين : ٥٢ ، ٥٣ .

طاعتهم ، بيد أنهم عمــلوا في الخفــاء على استدعاء أنصارهم تباعا ألى ميورقة[1] ، وعملوا على تنظيم صفوفهم لحين حصول فرصة للثورة من جديد ، فعبروا البحر واستولوا على بجاية ولم ينته أمرهم إلا في أيام الخليفة الموحدي محمد الناصر (٥٩٥ ـ ٦١٠هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢١٣م) رابع خلفاء الدولة الموحدية[2] ، ينظر خارطة شكل رقم (٥) .

ثانيا : جهود بني غانية لتوسيع حكمهم

كان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين قد ولى على الجزائر الشرقية من بلاد الاندلس ، محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية ، فتوارثها بنوه من بعده ، إلى أيام يوسف بن عبد المؤمن ، فبعث اليه محمد بن اسحاق بن محمد المسوفي المذكور بالطاعة ، فقبل ذلك يوسف بن عبد المؤمن ، وبعث اليه قائده علي بن الروبرتير* ليختبر أمره ، ويعقد له البيعة عليه ، ويؤكد الامر في ذلك، وكان لمحمد بن اسحاق اخوة عدة اسهموا في الرياسة ، فلما انتهى اليهم ابن الروبرتير ، وعلموا الامر الذي لأجله ، أنكروا على أخيهم ذلك ؛ لأنه لم يكن أعلمهم بمكاتبته يوسف بن عبد المؤمن فخلصوا نجيا دونه وقبضوا عليه وعلى ابن الروبرتير، وقدموا مكانه أخـــــاهم علي بن اسحق بن محمد ، ثم بلغهم خبر وفاة يوسف بن عبد المؤمن

[1] عبدالواحد المراكشي : المعجب : ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

[2] ابن الابار ، الحلة السيراء : ج٢/هامش : ٢٠٥ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة : ج١/ ٣١١ .

* **بن الروبرتير**: هو أبو الحسن علي الروبرتير وهو ابن الفارس النصراني الروبرتير EL-Reveter أو روبرتو القطلوني قائد الر وم أو النصارى المرتزقة في الجيش المرابطي أيام الامير علي بن يوسف وكان استخدام مرتزقة النصارى في جيوش المسلمين في المغرب أمرا شائعا لم تشذ دولة من دولهم وقد شارك في قتال الموحدين وانتصر عليهم مرارا ، ثم توفى في احدى المعارك سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) وترك ولدين أحمدهما علي هذا الذي اعتنق الاسلام وتحول ألى خدمة الموحدين عندما صار الامر اليهم وخلص في خدمتهم وهو الذي انتزع ميورقة من بني غانيــة ، وقــد قتــل فــي معركــة بــين بنــي غانيــة والموحــدين فــي إفريقيــة ســنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) . البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت : ٤٧ ؛ نظر : عنان ، عصر الموحدين : ١٤٧ ، ١٤٨ .

خارطة تبين الصراع بين الموحدين وبني غانية في شمال إفريقيا ـ صورة انترنيت



خارطة شكل رقم (٥)

وولاية ابنه يعقوب المنصور ، فركب علي بن اسحاق اسطوله وطرق بجاية على حين غفلة من أهلها ، وعليها يومئذ السيد أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن وكان خارجا في بعض أموره فاستولى عليها ابن غانية في صفر سنة(٥٨١هـ/ ١١٨٥م)[١].

كانت هناك اسباب عدة دفعت بنو غانية ألى الدخول ألى المغرب واحتلال بجاية منها انشغال وبعد جيش الموحدين عنها ، إذ كان الجيش الموحدي أنذاك يتهيأ لقتال الاسبان ، فضلا عن سماعهم نبأ وفاة الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن وانشغال الموحدين ببيعة ولده يعقوب المنصور (٥٨٠ ـ ٥٩٥هـ / ١١٨٤ ــ ١١٩٩م) ، من جهة ، وتحالفهم مع قبائل العرب من بني سليم وبني هلال ، والغز[٢] من جهة أخرى ؛ مما شجع بنو غانية على القيام بثورة ضد الموحدين ، وانضم اليهم كثير من بقايا المرابطين ولقبوا علي بن اسحاق بلقب أمير المسلمين وهو لقب خلفاء المرابطين الذين ينتمي اليهم[٣] .

بقي ابن غانية في بجاية أسبوعا يرتب أمور المدينة ، وينظم شؤونها لصالحه وولى عليها أخاه يحيى ، في حين مضى هو إلى الجزائر الشرقية فافتتحها وولى عليها يحيى ابن أخيه طلحة ،ثم تابع زحفه إلى جنوب مدينة مليانة[٤] ،

---

[١] الناصري ، الاستقصا : ج٢/١٤٢ ـ ١٤٣ .

[٢] **الغز** : هم جنس من الترك بلادهم في أقصى الشرق على تخوم الصين وقد عرفهم العرب أيام الفتوح الاولى دخلوا بلاد المسلمين اسارى ومماليك فلم يلبث كثير منهم أن ملكوا حرياتهم وبرزوا في الحياتين المدنية والعسكرية وهؤلاء كان لهم شأن في إفريقية أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين وكان وصولهم اليها سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) أرسلهم صلاح الدين الأيوبي أثناء طلبه معونة من الخليفة الموحدي يوسف بن عيد المؤمن لرد عاتية الصليبيين من بلاده ومنذ ذلك الحين ظهروا بإفريقية وأميرهم شرف الدين قراقوش مملوك تقي الدين عمر بن أخي صلاح الدين فتحالفوا مع عرب بني هلال وأغاروا على الاطراف الشرقية لدولة الموحدين . عبدالواحد المراكشي ، المعجب : هامش : ٣٦٥ .

[٣] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج١٠/ ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ عبدالواحد المراكشي ، المعجب : هامش : ٣٣٤ ، ٣٤٠ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٤٨ ، ١٤٩ .

[٤] **مليانة** : مدينة من أعمال أشير من أرض المغرب تقع بين مدينة تنس والمسيلة بقرب نهر شلف وهي مدينة رومية . الحموي ، الروض المعطار : ٥٤٧ .

فدخلها وولى عليها بدر بن عائشة ، ثم توجه الى قلعة بني حماد[(١)] ، فدخلها ثم توجه إلى قسنطينة[(٢)] فحاصرها إلا أنها استعصت عليه ولم يستطع دخولها ؛ لأنها كانت على أهبة الاستعداد ، واستبسل أهلها في الدفاع عن مدينتهم وقتلوا عددا من رجاله[(٣)] ، فلما سمع الخليفة يعقوب المنصور بذلك أدرك خطورة هذه الحركة لاسيما وأنه سمع بتحالف ابن غانية مع قراقوش صاحب طرابلس وبني هلال ، فقام على الفور وارسل جيشاً برياً قوامه عشرون الف فارس بقيادة أخيه السيد أبي الحسن يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن ، واسطولا بحريا بقيادة القائد أحمد الصقلي ، فتوجه أبو الحسن بجيشه من تلمسان نحو مليانة وسمع أهل مليانة بقدوم جيش كبير نحوهم فرأوا أن يطردوا عامل ابن غانية عليهم حفاظا على مدينتهم من الخراب والدمار ، وعلى دماء رجالهم ونسائهم وأطفالهم ، فثاروا ضد ابن عائشة عامل ابن غانية واعتقلوه ، ومن ثم توجه الاسطول الموحدي الى بجاية فدخلها بعد أن اصطدموا مع ابن غانية بمعركة بحرية ، دمر خلالها أسطول ابن غانية وكان ذلك سنة(٥٨١هـ/ ١١٨٥م)[(٤)] .

[(١)] **قلعة بني حماد** : مدينة متوسطة بينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلا وبينها وبين بجاية مسيرة أربعة أيام لها قلعة عظيمة على جبل عجيسة من جبال كتامة ، تشبه في التحصن قلعة انطاكية ، وهي قاعدة ملك بني حماد بن يوسف الملقب بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ، وهو الذي بناها في حدود سنة (٣٧٠هـ/٩٨٠م) ، فأصبحت عاصمة الدولة الحمادية في المغرب الاوسط وفي عصر الناصر بن علناس بن حماد (٤٥٤ ـــ ٤٨١هـ/ ١٠٦٢ ــ ١٠٨٨م) انتقل الحكم من قلعة حماد الى مدينة بجاية فقلت اهمية هذه القلعة بعد ذلك . ياقوت الحموي ، معجم البلدان :ج٤/٣٩٠ ؛ الحميري ، الروض المعطار : ٤٦٦ .

[(٢)] **قسنطينة** : من المدن المشهورة في إفريقية تقع بين تيجس وميلة ، وبينها وبين بجاية ستة أيام ، وهي مدينة أزلية كبيرة ، كثيرة الخصب ، وقسنطينة حصينة في غاية المنعة والحصانة ، وانها على جبل عظيم يحيط بها الوادي من جميع جهاتها كالعقد ، وهي من بناء الروم . ياقوت الحموي ، معجم البلدان :ج٤/٣٤٩ ؛ ينظر : الحميري ، الروض المعطار : ٤٨٠ .

[(٣)] ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ١٧٥، ١٧٧ ؛ الحميري ، الروض المعطار : ٥٦٨ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٥٠، ١٥١ .

[(٤)] الحميري ، الروض المعطار : ٥٦٨ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٥٢، ١٥٣ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ؛ العبادي ، أحمد مختار ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية ـــ بيروت ـ ١٩٦٩م : ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

ولما وصلت الاخبار الى ابن غانية ، وما حل بجيشه وأسطوله ومصرع عدد كبير من أتباعه خشي من إدراك الموحدين له فترك حصار قسنطينة مع أخيه وفلوله وهربوا إلى الصحراء متوجها إلى بلاد الجريد وتمكن من السيطرة على مدينة قفصة[١] ، وبعد استقراره فيها أخذ يجمع شتاتهم الهاربين والعرب من بني رباح وجشم وصرف لهم الأموال والعطاء فكثر اتباعه من جديد واعاد تنظيمهم م سار بهم وقصد جزيرة باشرا وهي بالقرب من تونس وتشتمل على قرى كثيرة فهاجمها وحاصرها فطلب أهلها منه الأمان فأمنهم ، فلما دخلها نهب جيشه ما فيها من الأموال والغلات وسبوا الناس[٢] .

وبعد وصول أخبار دخول علي بن غانية وإخوته وحلفائه مدينة قفصة ، سارع الخليفة يعقوب المنصور بإرسال عشرين ألف فارس من الموحدين وقصد مدينة تونس وأرسل ستة ألاف مقاتل منهم مع ابن أخيه يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن فساروا لمقاتلة علي بن اسحاق بن غانية وحلفائه الغز[٣] ، في قفصة فالتقوا بموقع يسمى وطأة عمر وهي بغرب قفصة[٤] ، فانهزم الموحدون وقتل عدد كبير من جيشهم[٥] ، ولما وصل خبر هزيمة جيش الموحدين إلى الخليفة يعقوب المنصور ، قرر الخليفة أن يضع حدا لخطر بني غانية واعتزم أن يثأر لجيشه فتوجه بنفسه لمقاتلة

---

(١) التجاني ، رحلة التجاني : ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج١٣٧/١٠ ؛ ابن عذاري ، البيان :قسم الموحدين : ١٨١ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٥٤ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج١٣٧/١٠ ، ١٣٨؛ ابن عذاري ، البيان :قسم الموحدين : ١٨٢ .

(٤) ابن عذاري ، البيان :قسم الموحدين : ١٨٨ ؛ التجاني ، رحلة التجاني : ١٣٦ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٦١ .

(٥) عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٣٤٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار : ٥٦٨ .

ابن غانية فالتقوا بظاهر حمة مطماطة[١] بالقرب من مدينة قابس[٢] فاقتتلوا قتالا شديدا وفي نهاية المعركة انهزم ابن غانية وأتباعه ، وكاد أن يُسحق جيشهم عن آخره ، وفر يحيى ناجيا بنفسه إلى الصحراء فلاذ هناك ، وكان ذلك في شعبان من سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)[٣] ، ودخل الخليفة يعقوب المنصور مدينة قابس بعد حصارها وكانت بيد قراقوش حليف ابن غانية ، فقبض على أهل قراقوش وذويه وصحبه وأرسلهم إلى مراكش ، وفي هذا النصر يقول أبو بكر بن مجبر :

لقد برزت الى هـــول المنايا وجـــــوه كان حجبها اللثـــام
وما اغنت قسي الغز منـــــها وليست تدفـــــع القدر السهام
كـأن الحرب كانت ذات عقـل صحيـح لم يحل به سـقــام [٤] .

ثم سار الخليفة من قابس إلى بلاد الجريد ؛ ليطهرها من بني غانية واستطاع أن يستولى تباعا على قواعد هذه المنطقة ، وأهمها توزر عاصمة بلاد الجريد ، فوقف اهلها ضد من كان بها من الميورقين (بنو غانية) وأبادهم قتلا وأسرا وفرت فلولهم من توزر إلى الصحراء[٥] ، ومن ثم توجه الخليفة يعقوب إلى مدينـــة قفصة فحاصرها لمدة ثلاث أشهر ، وقطع أشجارها ليشدد عليهم الحصار ، فأرسل اليه الغز المحاصرين يطلبون الامان لهم ولأهل المدينة ، فأجابهم الخليفة المنصور الى ذلك ،

---

[١] **حمة مطماطة** : مدينة قديمة بافريقية من اعمال قسنطينة من نواحي بلاد الجريد بالقرب من مدينة قابس ماؤها شروب وبها نخل كثير ، وسميت المدينة بالحمة لان بها حمة عظيمة مشهورة ، وسكانها قوم من البربر يعرفون بالمطماطة . كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري ، الاستبصار في عجائب الامصار : ١٥٠ ؛ ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج٢/ ١٨٥ .

[٢] **قابس** : مدينة من بلاد إفريقية بينها وبين القيروان اربع مراحل ، وتعد من البلاد الجريدية ، وبينها وبين طرابلس ثمانية أيام ، وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور صخر جليل منم بناء الاول ، ولها حصن حصين وارباض واسعة ، وفيها فنادق وحمامات ، وقد أحاط جميعها خندق كبير يجري اليه الماء وبينها وبين البحر نحنو ثلاث أميال ، كثيرة الثمار الموز والتمر وشجر التوت ، ويربي بها الحرير ، وهي مدينة بحرية صحراوية ، ومن كلام الناس : قابس دمشق المغرب . الحميري ، الروض المعطار : ٤٥٠ .

[٣] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج١٠/١٣٧، ١٣٨ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٦١ ، ١٦٢ ؛ العبادي ، دراسات غي تاريخ المغرب والاندلس : ٣٥٩ .

[٤] التجاني ، أبو محمد عبدالله محمد بن أحمد (ت حوالي ٧١٧هـ/ ١٢١٧م) ، رحلة التجاني ، قدم لها : حسن حسني عبد الوهاب تونس ــ الرستمية ــ ١٩٥٨م : ١٣٧ ؛ الحميري ، الروض المعطار : ٢٠١ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٦٥ .

[٥] الحميري ، الروض المعطار : ٢٠٠ ، ٢٠١ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٦٤ .

وخرج منها الغز سالمين ، وسير الخليفة الغز إلى الثغور لما رآى شجاعتهم ونكايتهم في العدو ، ودخل الخليفة يعقوب المنصور المدينة بدون قتال ثم قتل من رأى فيها من المرابطين أصحاب علي بن غانية وهدم سور المدينة[١] ، لكي يسهل عليه دخولها في حالة تمردهم مرة أخرى ، ولابن مجبر قصيدة يصف فيها نصر الموحدين فيقول :

ما فر قفصة إلا أنها اجترحت فلم يكن عند أهل الحلم تثريب

ما بالها زار أمر الله حوزتها فلم يكن عندها أهل وترحيب[٢] .

ولما فرغ الخليفة يعقوب المنصور من أمر قفصة واستقامت إفريقية عاد إلى مراكش وكان وصوله اليها في سنة (٥٨٤هـ/ ١١١٨م)[٣] .

ثالثا : النزاع بين يحيى ابن غانية والموحدين :

توفي علي ابن غانية في سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) وهو على توزر ، وقيل أن سبب وفاته أنه أصيب بسهم ؛ وبوفاته تفرق جمعه[٤] ، قام بالأمر من بعده أخوه يحيى ، وسار على سياسة أخيه ، وهي قيادة الثورة ضد الموحدين ، والقضاء على سلطانهم في إفريقية ، معتمدا في ذلك على محالفة سائر العناصر المناوئ من العرب والغز وغيرهم ، لذلك جدد التحالف الذي كان بين أخيه وبين قراقوش زعيم الغز ، ولكن هذا التحالف لم يطل أمده ؛ لأن قراقوش ما لبث أن جنح إلى طاعة الموحدين ، فسار إلى تونس واجتمع بواليها السيد أبو زيد ، فتلقاه بمنتهى الترحاب والتكريم ، وأقام بها وقتا في كنفه وتحت رعايته ، وذلك في سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م)[٥] ، ولعل دخول قراقوش

---

[١] عبد الواحد المراكشي ، المعجب :٣٤٩ ، ٣٥٠ ؛ ابن عذاري ، البيان :قسم الموحدين : ١٩١ ؛ التجاني ، رحلة التجاني : ١٣٩؛ الحميري ، الروض المعطار :٥٦٨ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٦٥ .

[٢] الحميري ، الروض المعطار :٥٦٨ .

[٣] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ج١٠/ ١٣٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ج٧/٤ ؛ ابن أبي زرع ، روض القرطاس : ٢١٨ .

[٤] الحميري ، الروض المعطار : ٥٦٨ ؛ ابن خلدون ، العبر :ج٦/ ٢٥٧ ؛ ويذكر ابن خلدون أنه توفي سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) .

[٥] التجاني ، رحلة التجاني : ١٠٤ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٩٤ .

الفجائي في طاعة الموحدين هي خطة اتفق عليها مع السلطان صلاح الدين حتى يسهل عمل سفارة السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ ــ٥٨٩هـ/١١٣٨ ــ ١١٩٣م) بزعامة أبي الحارث عبدالرحمن بن منقذ (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) المرسلة إلى الخليفة يعقوب المنصور في سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م) ، وقراقوش[١] هذا هو مملوك ابن أخو السلطان صلاح الدين ، ويؤيد ما ذهبنا اليه أنه عندما لم يتم الاتفاق بين السلطان صلاح الدين والخليفة يعقوب المنصور ، نرى أن قراقوش وبعد مدة قصيرة من دخوله في طاعة الموحدين يفر من تونس ليستأنف مغامراته من جديد ، ولما وصل إلى قابس استطاع أن يدخلها بالحيلة ، وعندما دخلها قتل جماعة من أهلها وأعلن خروجه عن طاعة الموحدين[٢] ، ثم سار بعد ذلك إلى طرابلس واستولى عليها من يد حاكمها الموحدي ، وتوجه بعد ذلك إلى بلاد الجريد مقر حليفه السابق يحيى ابن غانية ، وحينذاك وقع الخلاف بينهما ، فسار يحيى بن غانية لقتال قراقوش فالتقيا بموضع يعرف بـ (محسن) من أعمال طرابلس فهُزم قراقوش شر هزيمة وفر إلى الجبال ، ثم انتزع يحيى طرابلس من يد ياقوت نائب قراقوش وذلك بعد حصارها من البحر وقبض على ياقوت وأرسله مصفدا إلى ميورقة ، فلبث فيها سجينا حتى خلصه الموحدون عندما استولواعليها سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م)[٣] .

بعد ذلك رجع عبدالله أخو يحيى بن غانية إلى جزيرة ميورقة فلقيها قد انتفضت عليهم ودعي فيها للموحدين والثائر عليهم هو أخوهم أبو عبد الله محمد بن اسحاق[٤] ، فلما قدم عبد الله إلى ميورقة صحب معه " نجاحا "وهو أحد موالي أبيه ويدعى نجاحا،

---

(١) **قراقوش** : هو شرف الدين قراقوش الارمني مملوك الملك المظفر تقي الدين بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي ابن أخ السلطان صلاح الدين الأيوبي ، كانت بينه وبين علي بن اسحاق الميورقي من (بنو غانية) مهادنة ومصالحة ، وكانا يجتمعان في أكثر حروبهما ويقيمان الدعوة العباسية ، وكان يقال له المعظمي الناصري لأنه يخطب للناصر صلاح الدين ، وكان يكتب في ظهائره ولي أمير المؤمنين بسكون الميم . التجاني ، رحلة التجاني : ١٠٤ ؛ ينظر : ابن خلدون ، العبر : ج٦/ ٢٥٥ .

(٢) ابن خلدون ، العبر :ج٦/ ٢٥٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٩٥ ؛ سالم ، العبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية : ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٣) التجاني ، رحلة التجاني : ٢٤٤ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٩٥ .

(٤) عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٣٥١ .

وكان نجاحا هذا كثير الاخلاص والولاء لبني غانية ولم ينتقض عهدا قطعه معهم أبدا وكان متحصنا في قلعة خارج مدينة ميورقة ، ومعه جماعة من أتباعه من الموالي والجند، فلما قدم عبدالله تلقوه وبايعوه وانضموا تحت لوائه ومعه جماعة من بوادي الجزيرة من الفلاحين ورعاة الاغنام فنهض بهم عبدالله إلى المدينة للقضاء على أخيه الثائر فلم يقاومه أحدا من أهلها وفتحوا له الابواب فدخلها بمن معه وأخرج محمدا ونفاه إلى الاندلس ، فالتحق محمد بالموحدين وحظي عندهم بمنزلة عظيمة وأكرموه وولوه مدينة دانية ، فلم يزل واليا عليها إلى مات ، واستقر عبدالله بميورقة فضبط أمرها وجرى في الغزو ماشيا على سنن أبيه ، فلم يزل على هذا الحال إلى أن دخل الموحدون الجزيرة في سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)[١] .

---

(١) عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٣٥٢ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٥٨ .

المبحث الثالث : النزاع بين بنو غانية والموحدين زمن الخليفة الناصر لدين الله (٥٩٥ ــ ٦١٠هـ/ ١١٩٩ ـ١٢١٣م)

بعد وفاة الخليفة يعقوب المنصور[١] سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٩م) تمت البيعة العامة لأخيه وولي عهده أبي عبدالله محمد وتلقب بالناصر لدين الله (٥٩٥ ــ ٦١٠هـ/ ١١٩٩ ـ١٢١٣م) ، شُغل الخليفة الناصر لدين الله منذ تسلمه حكم الموحدين بثورة بني غانية ، التي نشطت من جديد في سنة (٥٩٦هـ/١٢٠٠م) إذ بلغه أن بني غانية قد ثاروا بإفريقية من جديد ، وإن يحيى بن اسحاق تولى قيادة بني غانية

[١]أثارت وفاة الخليفة يعقوب المنصور (٥٨٠ ــ ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ ــ ١١٩٨م) حزنا عميقا في الاوساط الاسلامية ، لما كان له من سيرة وخلال احبه الصديق والعدو ، ولما احرزه من انتصار عظيم في معركة الارك الشهيرة (٥٩١هـ/ ١١٩٥م) ، فقد كان في جميع أيامه مؤثرا للعدل ، متحريا له بحسب طاقته وما يقتضيه إقليمه والأمة التي هو فيها ، فقد كان في أول أمره أراد الجري على سنن الخلفاء الأول ، فمن ذلك أنه كان يتولى الإمامة بنفسه في الصلوات الخمس ؛ لم يزل على ذلك مستمرا أشهرا ، إلى أن أبطأ يوما عن صلاة العصر إبطاء كاد وقتها يفوت ، وقعد الناس ينتظرونه ؛ فخرج عليهم فصلى ثم أوسعهم لوما وتأنيبا ، وقال : ما أرى صلاتكم إلا لنا ، وإلا فما منعكم عن أن تقدموا رجلا منكم فيصلي بكم ؟ أليس قد قدم أصحاب رسول الله صلى الله وعليه وسلم عبدالرحمن بن عوف حين دخل وقت الصلاة وهو غائب ؟ أما لكم بهم أسوة وهم الأئمة المتبعون والهداة المهتدون ؟ فكان سببا لقطع الإمامة ، وكان يقعد للناس عامة ، لا يحجب عنه أحد من صغير ولا كبير، وكان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الاسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين ؛ يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم ، وكان إذا وفد عليه أهل بلد فأول ما يسألهم عن عمالهم وقضاتهم وولاتهم ، فإذا أثنوا خيرا قال : اعلموا أنكم مسئولون عن هذه الشهادة يوم القيامة فلا يقولن أمروا منكم إلا حقا ، وربما تلا في بعض المجالس : ((يا أيها الذين أمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)) ، ولما خرج الخليفة المنصور إلى الغزوة الثانية سنة (٥٩٢هـ/ ١١٩٥م) ــ وهي الغزوة التي كانت بعد الوقعة الكبرى التي أذل الله فيها الادفننش وجموعه وأعز الاسلام وأنصاره ، كتب قبل خروجه إلى جميع البلاد بالبحث عن الصالحين والمنتمين الى الخير وحملهم إليه ؛ فاجتمعت له منهم جماعة كبيرة كان يجعلهم كلما سار بين يديه ، فإذا نظر إليهم قال لمن عنده : هؤلاء الجند لا هؤلاء ! ويشير إلى العسكر ، وكان كثير الصدقة ؛ بلغني أنه تصدق قبل خروجه إلى هذه الغزوة ــ أعني التي كانت بها الوقعة الكبرى ــ بأربعين الف دينار ، خرج منها للعامة نحو نصفها ، والباقي في القرابة ، وكان كلما دخلت السنة يأمر أن يكتب له الأيتام المنقطعون فيجمعون في موضع قريب من قصره ، فيختنون ويأمر لكل صبي منهم بمثقال وثوب ورغيف ورمانة ، وربما زاد على المثقال درهمين جديدين ، هذا كله شهدته لا أنقله عن الناس . عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٣٦١ ، ٣٦٤ ؛ ينظر : العبادي ، واخر ، تاريخ البحرية الاسلامية : ٢٧٩ ؛ أبو خليل ، شوقي ، الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي ، دار الفكر المعاصر ــ دمشق ــ ١٩٩٣م : ٥٧ .

بعد وفاة أخيه علي ، واستولى على تونس والمهدية وبلاد الجريد ، ودعى للخليفة العباسي جريا على اسلافه المرابطين . واستطاع عبد الله بن غانية أن يوحد صفوف المرابطين من جديد ويعلن الثورة ضد الموحدين[١] . وحاول في سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) أن يسترد جزيرة يابسة من الموحدين إلا أنه فشل في تحقيق ذلك[٢] ، وبعد وفاة علي بن غانية وتولي أخيه يحيى أمر بنو غانية ، اعتقد السيد أبو زيد والي إفريقية أن يحيى بن غانية يرغب حقا في السلم وأنه ينوي أن يضع حدا لأعماله العدائية ، لاسيما وأنهم قد هُزموا لأكثر من مرة من الموحدين ، وأراد أن يفتح معهم صفحة جديدة ،غير أنه فوجئ باقتحام يحيى بن غانية بلدة باجة[٣] الواقعة غربي تونس ، والاستيلاء عليها وقتل حاكمها الموحدي[٤] . وأول عمل قام به الخليفة الناصر التخلص من ابن غانية ، والقضاء عليه ، وإعادة باجة ، أرسل جيشا بقيادة أبي الحسن علي بن عمران بن عبد المؤمن ، فالتقى بابن غانية وأتباعه في موقعة بين بجاية وقسنطينة بالقرب من قسنطينة فانهزم الموحدون ورجعوا إلى بجاية ، وهم في أسوأ حال[٥] ، فأرسل الخليفة الناصر أبا زيد بن أبي حفص إلى تونس قوة من الموحدين لحمايتها وسد ثغورها تحوطا من ابن غانية ، وجهز بعد هذا الجيش جيشا آخر على غرار الجيش الأول وتحت إشراف أبي زيد عبد الرحمن بن موسى الوزير للتهيؤ والاستعداد لقتال ابن غانية ، فسار هذا الجيش حتى بلغ قسنطينة ، ثم استعمل الخليفة الناصر أبا زيد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن على بجاية للغرض نفسه ، وخرج هو في سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) إلى تينملل لزيارة قبري أبيه وجده

---

[١] التجاني ، رحلة التجاني : ١٠٥ ، ١٠٨ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ٢٥٠ ، ٢٥٢ .

[٢] ابن عذاري ، البيان : قسم الموحدين : ٢٤٠ ؛ العبادي ، واخر ، تاريخ البحرية الاسلامية : ٢٧٩ .

[٣] **باجة** : وهي مدينة كبرة أزلية قديمة فها أثار للأول . ولها حصن حصين أزلي مبني بالصخر الجليل ، أتقن البناء ، يقال أنه من عهد عيسى عم . ومدينة باجة على جبل شديد البياض ، يسمى الشمس لبياضه ، وهي كثيرة الأنهار والعيون ، رخيصة الأسعار جدا ، ولها قرى عامرة ، وتسمى باجة هرى إفريقية ، وباسمها سميت باجة الغرب بجزيرة الأندلس . كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري ، الاستبصار : ١٦٠ .

[٤] التجاني ، رحلة التجاني : ٣٥٤ ، ٣٥٥ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

[٥] عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٣٩٣ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ٢٥٥ .

ابن تومرت ، جريا على تقاليدهم المأثور في التيمن بزيارتهم عند الملمات والشدائد ، ثم عاد إلى مراكش[١] ، ويبدو أن الهدوء قد ساد في المغرب خلال هذه المدة ما بين (٥٩٧ ـ ٥٩٩هـ/ ١٢٠١ ـ ١٢٠٣م) إذ لم نجد أية حركة خلالها ، واستمر الهدوء إلى سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) إذ تقدم يحيى ابن غانية إلى تونس فحاصرها ، وكان عليها أبا زيد يحيى بن حفص الموحدي ، ولم يستطع دخولها ، وبعد اربعة أشهر من الحصار تمكن ابن غانية من دخول المدينة عنوة ، وكان ذلك في السابع من ربيع الاول سنة (٦٠٠هـ الموافق الخامس عشر من كانون الاول سنة ١٢٠٣م) وقبض على واليها السيد أبي زيد وابنه[٢] ، فلما وصل الخبر إلى الخليفة الناصر وهو بمراكش امتعض لذلك ، وجمع شيوخ الموحدين وشاورهم في أمر إفريقية ، فأشاروا عليه بمصالحة ابن غانية ، وأشار الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص من ابن الشماع عليه بالنهوض إليها والدفاع عنها فعمل بمشورته ،لقد رآى الخليفة الناصر أن استقرار سلطان الموحدين في إفريقية لن يستتب ويستقر ما لم يتم الاستيلاء على الجزائر الشرقية "ميورقة ، منورقة ، بياسة " قاعدة بني غانية في الاندلس والممول والمورد الرئيس الذي يغذي بني غانية في إفريقية ، بالمال والسلاح ؛ ولهذا قرر السيطرة عليها مهما كلفه الأمر[٣] . وشرع الخليفة الناصر بتوجيه حملة بحرية كبرى إلى الجزائر الشرقية وأسند قيادة الاسطول إلى عمه أبي العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن ، وأسند قيادة الجيش إلى شيخ الموحدين أبي سعيد عثمان بن حفص ، وخرجوا من جزيرة يابسة قاصدين جزيرة ميورقة ، فنزلوا بالقرب منها ، وأقاموا بها ينظمون جيشهم ويضعون الخطط لقتال ابن غانية ، فخرج عبد الله بن غانية إليهم والتقت

---

[١] عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٣٩٤ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ١٥٢ .
[٢]ابن خلدون ، العبر : ج٦/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ .
[٣] عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٣٩٤ ؛ السامرائي ، واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس : ٢٧٧ .

القوتان بثغر دانية شرقي الأندلس فحلت الهزيمة بابن غانية وقتل في المعركة ، وبذلك تم للموحدين السيطرة على الجزائر الشرقية (جزر البليار) وكان ذلك سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) ، وبهذا الانتصار انتهى حكم بني غانية على الجزائر الشرقية في الاندلس[١] ، وظلت هذه الجزر تحت حكم الموحدين إلى سنة (٦٢٧هـ/ ١٢٤٠م) عندما هاجمهم ملك برشلونة واراغون خايمي الاول (٦١٠ ــ ٦٧٥هـ/ ١٢١٣ ـ ١٢٧٦م) وطردهم منها[٢] .

ــ نهاية حكم بني غانية

لقد كانت موقعة الزاب[٣] المعركة الأخيرة التي جرت بين الموحدين وبني غانية وانتصر فيها الموحدون . وحاول يحيى بن اسحاق بن غانية انتهاز فرصة عودة الخليفة الناصر إلى المغرب ، فجدد غاراته على الموحدين ، ولكن أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص الحق به هزيمة منكرة عند لبسه في إقليم الزاب في (الثالث من ربيع الأول سنة ٦٠٤هـ الموافق الثالث من تشرين الأول سنة ١٢٠٧م)[٤] ، وقد تعقب عبدالواحد بن أبي حفص جيوش يحيى بن غانية حتى انهكها وشتت جموعها واحلافها، فعندما توجه ابن غانية وحلفائهم العرب والبربر نحو المغرب الاوسط وهاجموا تلمسان سارع عبدالواحد إليهم وأنزل بهم هزيمة ساحقة أخرى في جبل نفوسة ، وقد انجلت هذه المعركة عن وقوع معظم أموال بني غانية وأسلحتهم

---

[١] ليفي بروفنسال ، رسائل موحدية : ٢٤١ ، ٢٤٨ ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب : ٢٣٣ ؛ عنان ، عصر الموحدين : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ؛ العبادي ، واخر ، تاريخ البحرية الاسلامية : ٢٨٠ ،٢٨١ .

[٢]الحميري ، الروض المعطار : ٥٦٨ ؛ العبادي ، واخر ، تاريخ البحرية الاسلامية : ٣٧٣ .

[٣]**الزاب** : وهي منطقة على أطراف الصحراء في بلاد الجريد من عمل إفريقية وهو مثلها في حر هواءها وكثيرة النخيل وفيها المياه السائحة والانهار والعيون الكثيرة ، وبين الزاب والقيروان عشرة مراحل . الحميري ، الروض المعطار : ٢٨١ .

[٤]الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية : ١٨ ، ١٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار : ١٣٥ ؛ مؤنس ، حسين ، موسوعة تاريخ الاندلس فكر وتاريخ وحضارة وتراث ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة ــ ١٩٩٦م : ج١٢٢/٢ .

بأيدي الموحدين ، كما قُتل عدد كبير من رؤساء العرب الهلالية ومنهم محمد بن سعود شيخ الزواودة ، وحركات بن أبي الشيخ مغراوة ، وشيخ بني قرة ، وشيخ مغراوة ، وكثير من زعماء بني رباح وبني هلال وكان ذلك في سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)[١] ، وهذا اضعف من قدراتهم العسكرية ومقدرتهم على شن الغارات ، وقد حاول يحيى ابن غانية يائسا السيطرة على بسكرة[٢]، فأرسل عبد الواحد ابنه أبا زيد لمحاربته ، فنازل أبو زيد بسكرة واقتحمها ، ونجى ابن غانية منه ، واتبعه أبا زيد فالتقوا بظاهر تونس سنة (٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م) ، فانهزم يحيى بن غانية وجموعه وقتل كثير من المرابطين واستولى الموحدين على غنائم كثيرة[٣] .

---

[١]ابن خلدون ، العبر : ج٦/٣٣٥ ؛ عنان ، عصر الموحدين :٣٧٥ .

[٢]**بسكرة :** بكسر الكاف والراء بلدة في المغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان وفيها نخل واصناف الثمار ، وحواليها بساتين كثيرة ، وقصب جيد ، وهي مدينة مشهورة فيها اسواق وحمامات ، وبها جبل ملح بقطع منه كالصخر وتعرف ببسكرة النخيل . الحميري ، الروض المعطار : ١١٣ ، ١١٤ .

[٣] عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٣٩٨ ؛ عنان ، عصر الموحدين :٣٧٥ ، ٣٧٦ .

لقد تمخضت ثورة بني غانية في الجزائر الشرقية على نتائج عدة كان لها اثرها على الدولة الموحدية ، يمكن أجمالها بما يأتي :

ــ لقد لعب بنو غانية دوراً سياسياً وعسكرياً بارزاً في المغرب والاندلس ، فمن الناحية العسكرية استطاعوا أن يقودوا حركات عدة ضد الموحدين ، وكان أخطرها دخولهم إفريقية واستيلاؤهم عليها ، غير أن الخليفة الناصر لدين الله الذي استطاع أن ينتصر عليهم في مواجهات عدة ، ويطردهم من المغرب .

ــ كانت الصحراء جنوبي المغرب ملجأ ومأوى آمنا لبني غانية يلجؤون اليها في أوقات الشدائد ، وأوقات اندحارهم امام الموحدين ، فضلاً عن أتخاذها قاعدة لاعادة تنظيم جيشهم فيها .

ــ لقب الأميرعلي بن اسحاق بن غانية نفسه بـ (أمير المسلمين) وهذا لقب أمراء المرابطين ؛ مما يدل على قوة شخصيته وكثرة أتباعه من بني غانية ومن الغز وغيرهم من عرب بني هلال .

ــ كان لبني غانية أسطولاً بحريا مرابطا في الجزائر الشرقية ، مما ساعدهم في محاصرة المدن الساحلية ، وكان له الفضل في إحكام الحصار على المدن أثناء حروبهم مع الموحدين ، ولهذا لما استشار الخليفة يعقوب المنصور أصحابه أشاروا عليه بالقضاء على أسطول بني غانية البحري .

ــ صمود بني غانية أمام الموحدين لأكثر من قرن من الزمان من (٥٢٠ ــ ٦٣٣هـ/ ١١٢٦ ــ ١٢٣٦م) يدل على أنهم كانوا يمتلكون تنظيما سياسيا وعسكريا غاية في الدقة ، وعلى درجة كبيرة من القوة ؛ ولذلك استطاعوا السيطرة على تونس وبجاية وما حولها من المدن ، فبلغوا أوج قوتهم ، وصار ملكهم يشتمل على تونس وطرابلس وقفصة وتوزر وسائر بلاد الجريد ونفزاوة وقابس وبسكرة وبونة ، ولو تباطأ الموحدين في مواجهتهم لوصل بنو غانية إلى الحاضرة مراكش .

ـــ استطاع بنو غانية أن يجمعوا شتات المرابطين في المغرب والاندلس وفلولهم وأن يتوحدوا في الجزائر الشرقية ، ومن ثم التحالف مع الغز والعرب المتواجدين في المغرب الاوسط وقيادتهم في الثورة على الموحدين .

ـــ استغل النصارى انشغال الدولة الموحدية في قمع ثورة بني غانية وحليفهم قراقوش الغزي ، فاحتلوا مدن مهمة في الاندلس ، واستغرق الامر جهود سنتين من الحرب لاسترجاع ما ضاع ، وكان الاولى أن تصرف الجهود لاسترجاع مدن أخرى احتلها النصارى كطليطلة التي تعد من اهم مدن الاندلس لموقعها الاستراتيجي ، لكن الذي حدث أن المسلمين فقدوا مدن أخرى زيادة على المفقود .

المبحث الرابع : النزاع بين الدولة الموحدية وابن هود

مع بداية القرن السابع الهجري الموافق الثالث عشر الميلادي ، أضحت الدولة الموحدي في حالة من الضعف والهوان ، لاسيما بعد الهزيمة الكبرى أمام جيش الأدفونش بحصن العقاب سنة (٦٠٩هـ / ١٢١٢م)[١] ؛ ونتيجة لذلك صعد النصارى من حدة هجماتهم على مدن وقرى المسلمين بالاندلس ، فمملكة أراغون كانت تهاجم من الشرق ، والبرتغال من الجنوب الغربي ، وقد فشل الموحدون في صد معظم تلك الهجمات ؛ بسبب الاوضاع التي آلت إليها البلاد ، ولاسيما بعد تفاقم الثورات المناهضة لهم ، مثل ثورة ابن مردنيش بشرق الاندلس ، وثورة أبي سعيد عثمان بن الحكم الأموي بمنُرقة في سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٧٨م)[٢] . ومن أبرز الثورات التي قامت ضد الموحدين ، والتي اسهمت بدور كبير في زوال دولتهم ثورة محمد بن يوسف بن هود الجذامي ، إذ ثار بمكان يعرف بالصخيرات بالقرب من مرسية ، بعدما استغل الظروف التي كانت تمر بها الاندلس ، واستطاع أن يهُزم عامل الموحدين على مرسية أبو العباس بن أبي عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن ودخل المدينة ، وخطب للخليفة العباسي المستنصر بالله سنة (٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م)[٣] ، واستطاع ابن هود كذلك أن يهزم والي شاطبة ، التابع لابن مردنيش ، فبايعه أهلها ، واستولى على مناطق مهمة ، لطالما كانت لها أدوارا كبيرة وحاسمة في تاريخ الاندلس ، مثل الجزيرة الخضراء ، وجبل الفتح (جبل طارق)[٤] ؛ وبذلك أصبح ابن هود يستحوذ على معظم الاندلس ، فشاع ذكره ، ولاسيما بعد وصول التقليد إليه من

---

(١) عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٤٠١ ، ٤٠٢ ؛ بوحسون عبدالقادر ، الاندلس في عهد بني الاحمر دراسة تاريخية وثقافية (٦٣٥ـ ٨٩٧هـ/ ١٢٣٨ ـ ١٤٩٢م) ، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي (جامعة أبي بكر بلقايد ـ تلمسان ـ كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية) السنة الجامعية ٢٠١٢ ـ٢٠١٣م : ٢٥ ، ٢٦ .

(٢)ابن الخطيب ، اعمال الأعلام : تح : ليفي بروفنسال : ٢٧٠ ، ٢٧٧ .

(٣) ابن الخطيب ، الاحاطة : ج٢/ ٣٥٢ ، ٣٥٩ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الأعلام : تح : ليفي بروفنسال : ٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ابن خلدون ، العبر : ج٤/ ٢١٤ .

(٤)ابن خلدون ، العبر : ج٤/ ٢١٨

الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ـ ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ـ ١٢٤٢م)[١] ، إذ بعث له بخطاب مرفق بالراية والخلع والعهد وأطلق عليه لقب (المتوكل)[٢] .

واستعان ابن هود في قيادة جيوشه وأساطيله برجل مغامر وطريف وهو المقدم القشي ، كان هذا الرجل في الاصل صعلوكا ذاعرا يقطع الطريق ، وتحت يده جماعة من انجاد الرجال ، قد اشتهر امرهم في تلك النواحي بشرق الاندلس بالاغارة على النصارى المجاورين إليهم ، فنهض اليه ابن هود ، وعرض عليه الانضمام اليه ، فوافق القشي بشرط أن يوليه قيادة الاسطول بالاندلس ، إذا تم له الامر ، وقال له : نستفتح الامر بالاغارة إلى ارض العدو باسمك وعلى سعدك ، ففعلوا وجلبوا كثيراً من الغنائم والاسرى ، ثم وفى ابن هود للقشي بعهده ، فولاه قيادة اسطول إشبيلية ، ثم اسطول سبتة مضافا إلى إمرتها ، فلما ذاعت شهرته ، قام عليه أهل سبتة وارادوا قتله ، ففر منهم وخفي أثره إلى أن تحقق بعد ذلك خبره ، فقيل إنه هرب في زورق صغير ألى الاندلس فوقع في ايدي العدو أسيرا ، فحمل إلى جهة غرب الاندلس ، وظل في الاسر سنين كثيرة ، ولو علموا أنه القشي لقتلوه أو طلبوا منه مالا كثيرا ؛ لانه كان قد ضربهم في البحر ، وله فيهم جملة غزوات قتلهم فيها واستأصلهم وشاع ذكره في الافاق حتى ضرب به المثل ؛ لزعامته وشهامته[٣] .

وفي هذه المدة ظهر رجل أخر على الساحة السياسية والعسكرية بالاندلس ، ويحمل الاسم نفسه وهو محمد بن يوسف بن الاحمر ، فدخل الطرفان في ونزاع كبير واصطدما في معارك كثيرة ، بقرطبة وإشبيلية ومناطق أخرى من الاندلس ، انهزم في أغلبها ابن هود[٤] .

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الأعلام : تح : ليفي بروفنسال : ٢٨٠ .
(٢) ابن خلدون ، العبر : ج٤/ ٢١٧ .
(٣)العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس : ٢٧١ ، ٢٧٢ .
(٤) ابن الخطيب ، اعمال الأعلام : تح : ليفي بروفنسال :٢٧٩ ؛ ابن خلدون ، العبر : ج٤/ ٢١٨ .

وفي ذلك قال لسان الدين ابن الخطيب[١] :

وانبهم الأمرعلى ابن هود ولم يوافق طالع السعود

فحيثما وجه جيشا انهزما وحيثمــا قلد حكما حكما .

غير أن جهود ابن هود في توحيد الاندلس ، لم تلبث أن اصطدمت بمطامع الممالك النصرانية من جهة ، والرؤساء الاندلسيين من جهة أخرى ، فجرت عليه وقائع وهزائم كثيرة ، وانتهى الامر باغتياله سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م) ، فقد ذكر ابن عذاري[٢] أنه قتل على يد ابن الرميمي ، عامله على المرية ، في الرابع والعشرين لجمــادي الاولى من السنة المذكورة ، فكانت دولته تسعة سنين وثلاثة أشهر وأياما ؛ وسبب ذلك أنه كان قد عاهد زوجته ألا يتخذ عليها امرأة طول عمـــره ، غير أنه عندما ملك البلاد وعظم أمره ، ملك أمرأة رومية حسناء ، فاودعها ابن الرميمي لكن طمع بها وتزوجها ، ولما سمع ابن هود بهذا الخبر ذهب إلى المرية ، فدبر له ابن الرميمي حيلة للخلاص منه ، فلما جن الليل ادخل علية اربعة من رجاله فقتلوه غيلة .واستمر الصراع بين ابن الاحمر وابن هود مدة من الزمن واستمر حتى بعد تأسيس مملكة بني الاحمر بغرناطة ، وتحول حكم الاندلس بعد ذلك إلى بني نصر أمراء غرناطة[٣] .

---

(١) رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية ــ تونس ـ ١٢١٦هـ : ١٠٨ .
(٢) البيان : قسم الموحدين : ٣٤١ ، ٣٤٢ .
(٣) العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس : ٢٧٢ .

المبحث الخامس : النزاع داخل الاسرة الموحدية

ــ مشكلة ولاية العهد على عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي

دخلت الدولة الموحدية في دوامة الصراع الأسري على السلطة من جهة وشعور الإنكار والرفض للتهميش الذي تعرضت له القبائل التي قامت على أكتافها الدعوة الموحدية من جهة أخرى[١] . ويعد الصراع على السلطة بين أبناء عبد المؤمن من أهم الاسباب التي قوضت دولة الموحدين وحطمت كيانها ، منذ تبني عبد المؤمن بن علي الحكم الوراثي في بنيه[٢] ، وقد تطور الأمر بين بني عبد المؤمن حتى بلغ اقصاه عندما ثار أخوا المهدي ابن تومرت عبد العزيز وعيسى في سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) ، على الخليفة عبد المؤمن بن علي ، وفي ذلك يقول ابن عذاري[٣] : ((فقُتلوا وصُلبوا بأعلى جذع وقُتل عيسى قرب باب الدباغين وعبدالعزيز بباب اغمات)) . ثم تعرض الخليفة بعدها لمحاولة اغتيال من جماعة هرغة سنة (٥٥٦هـ/ ١١٦١م) وهو عائد من غزو تونس[٤] ، الأمر الذي يعكس درجة الاحتقان والهيجان الثوري بسبب حصره الحكم بين بنيه ، فهو بهذا الاجراء نقل الحركة الموحدية من الفكرة التي تستوجب النصيحة والاخلاص الى الحكم الوراثي الذي يعكس أعلى درجات الأنانية والهوى الفردي للحكم ؛ الأمر الذي جلب على الدولة سلسلة غير منقطعة من الثورات والفتن التي أضعفتها مع مرور الزمن .

---

[١] عزاوي ، أحمد ، رسائل موحدية جديدة ، ط١ ، منشورات كلية الآداب بالقنيطرة ــ ١٩٩٥م : ٤٤ ، ٤٩ .

[٢] ابن الاثير ، الكامل : ج٩/٤٦١ ؛ ابن القطان ، نظم الجمان : ٢٠٤ ، ٢٠٧ .

[٣] البيان ، قسم الموحدين : ج٤/٥١ .

[٤] عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

وقد ارتكب الخليفة عبد المؤمن بن علي خطأ فادحاً ، عندما أقدم على خلع ولي عهده ابنه محمد بحجة سوء سيرته[١] ؛ مما فتح الباب على مصراعيه أمام نزاع سلطوي في هرم القيادة ، لأن الالتزام الأخلاقي الذي ينظم عملية التداول السلمي على السلطة والمتمثل في انتقال الخلافة إلى الابن الأكبر فيما يسمى " ولاية العهد " قد انتفى بفعل الخليفة عبد المؤمن ، وهذا ما سيصبح حجة لكل طامع في السلطة ، والشاهد ما حدث فعلا عقب كل استخلاف أو اختيار للخليفة فما إن توفي الخليفة عبد المؤمن حتى عمد ابناه عمر ويوسف ـــ الشقيقان ـــ إلى عزل أخيهما محمد ـــ غير الشقيق ـــ وتنصيب يوسف مكانه ، وهذا الفعل لم يرضى به أخواه ، أخواه أبو حفص والي قرطبة ، وعبدالله والي بجاية ، كما تخلف عن بيعته أبو حفص عمر الهنتاني ، ولم يتسنّ ليوسف التسمي بـ (أمير المؤمنين) إلا بعد سنتين من تسلمه الحكم ، الأمر الذي كاد أن يؤدي إلى صراع دموي[٢] .

ـ تمرد إبي اسحاق ابراهيم على الخليفة المنصور

حرص الخليفة يعقوب المنصور(٥٨٠ ــ ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ ــ ١١٩٨م) ، على توطيد أركان دولته وإقرار السلام في أرجاء البلاد كافة ، فلم يكن لديه أي مجال للتهاون في عقاب أي عابث بأمن الدولة حتى ولو كان من أهل بيته وقرابته ، وعندما تولى مقاليد السلطة عقب وفاة والده الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ ـ ٥٨٠هـ/ ١١٦٢ ــ ١١٨٤م) ، تحتم عليه مواجهة المعارضين والطامعين بالسلطة ، فمما واجههُ الخليفة المنصور مع بعض قرابته الذين حاولوا النيل منه ، ما حدث له مع عمه السيد ابي إسحاق إبراهيم[٣] إذ كان يسفه الخليفة المنصور ويقلل من شأنه ، وفي أثناء

---

[١] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج٨/ ١٦٣ ؛ ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين : ٨٣ .

[٢] ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة :ج٨/ ١٧٠ ، ١٧١ ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب : ٢٠٨ .

[٣] **أبوإسحاق إبراهيم** : كان واليا لإمارة مدينة قرطبة في عهد الخليفة أبي يعقوب ثم إستدعاه منها سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) وظل في الحاضرة حتى عاد اليها سنة (٥٦٥هـ/١١٦٩م) وهو شقيق أبي يعقوب وابن الخليفة عبد المؤمن بن علي وقد توفى سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م) . ابن عذاري، البيان : قسم الموحدين : ج٤/ ١٠٩ .

عودة الخليفة المنصور من غزوه لإفريقية سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م) توقف في تلمسان لبعض الوقت ، فجاء السيد ابي إسحاق إبراهيم للسلام على الخليفة ، وجلس بين يديه وسأل الخليفة المنصور عن حاله فرد الخليفة عليه بقوله : "حالنا على ما يسر المسلمين ويسوء الحاسدين " ، ثم أمر بطرده فعاد الى منزله ولم يلبث أن توفي بعد ذلك بقليل[١].

ـــ تمرد أبي حفص الملقب بالرشيد شقيق الخليفة المنصور

وجد بعض الحاقدين والحاسدين من هزيمة الموحدين في موقعة عمرة[٢] فرصة للنيل من الخليفة المنصور والتعريض به ، ومن هؤلاء شقيقه السيد أبو حفص الملقب بالرشيد والي مرسية ، فقد ذكر عنه من الأفعال والاعمال المنافية للأخلاق الشيء الكثير ، وكان يهدف إلى الثورة والخروج عن طاعة الخليفة[٣] ، كما قام الرشيد بالتعدي على حقوق الرعية وأخذ أموال التجار بالباطل وأذية الجيران ثم قبضه على ابن رجا المشرف المالي لمدينة مرسية والمسؤول أمام الخليفة عن جباية الأموال فيها ، ومحاولته التعدي على أموال الدولة وطلبه من ابن رجا جمع المزيد من أموال الخراج وتحميل الرعية ما لا طاقة لهم بها ، فلما عجز عن القيام بذلك أمر بجلده حتى الموت ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تبع تلك الاحداث فرار بعض موظفي

---

[١] : ابن عذاري ، البيان : قسم الموحدين : ج٤/ ١٩٨ .

[٢] **موقعة عمرة :** وهي المعركة التي انهزم فيها الجيش الموحدي شر هزيمة امام جيش بني غانية سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) حيث دارت المعركة في مكان يعرف بعمرة ، حيث جهز الخليفة المنصور جيشا قوامه ستة الاف جندي وجعل عليه يعقوب بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن ومعه عمر بن أبي زيد وعلي بن الربرتير ، غير أن هذا الجيش بدأ يعاني الانقسام من الوهلة الاولى ، حيث وصل الجيش الى ميدان المعركة متعبا ، أمطرته سهام العرب فمزقته تمزيقا ، وهوجم الجيش الموحدي من كل النواحي وشد قراقوش وابن غانية على الجيش الموحدي شدو واحدة فتشتت فلوله ، واسر ابن الربرتير واتبعت العرب والبربر جيش الموحدين يقتلونهم في كل مكان ومن نجا من سيوف بني غانية أهلكه العطش في الصحراء . ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين :ج٤/ ١٨٨ ، ١٨٩ .

[٣] عبدالواحد المراكشي ، المعجب :٣٥٢ .

الدولـــة من ظلمه ، ومنهم على سبيل المثال كاتبه حكم بن محمد والذي استدرجه الرشيد بالعودة اليه ، ثم أوعز الى احد رجاله بقتله ودفنه سرا ، كما آزر الرشيد النصارى ولاسيما إذفونش (الفونسوا الثامن) ملك قشتالة[١] .

وكان من ضمن ضحايا ظلم الرشيد قاضي مرسية ابن أبي جمرة[٢] ، فيذكر عبدالواحد المراكشي[٣] : أنه ((وانتهى أن قتل قاضي مرسية وخطيبها المعروف بابن أبي جمرة ، وقيل إنه وكزه برئاس السيف في صدره وكزة مات منها بعد أيام . . . فاستحثت هذه الاخبار أمير المؤمنين وأزعجته)) . بعد ذلك أسرع الخليفة المنصور بالتوجه الى فاس وأصدر أمره باستدعاء أخيه عمر الرشيد ، فعبر البحر الى المغرب إستجابة لأمر المنصور وإلتقيا قرب مكناس فقبض الخليفة عليه وأرسله الى رباط الفتح[٤] .

ــ تمرد ابي الربيع سليمان عم الخليفة المنصور(٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)

كما طمع في الخروج عن طاعة الخليفة المنصور عمه ابو الربيع سليمان في تادلة[٥] من بلاد صنهاجة الذي لم يكتف بما أعلنه من خروجه عن طاعـــة الخليفة بل عمد الى دعوة القبائل المجاورة له لمساندته ومساعدته فلم يجبه أحد منهم ، وسار اليه

---

(١) ابن عذاري، البيان : قسم الموحدين : ج٤/١٩٩ .

(٢) **ابن أبي جمرة** : هو أبو بكر بن أبي جمرة محمد بن أحمد بن عبد الملك الأموي القرشي المالكي القاضي ، أحد أئمة المذهب . عرض ((المدونة)) على والده وله منه أجازة كما لابيه إجازة من أبي عمرو الداني ، وأجازة له أبو بحر بن العاص ، وأفتى ستين سنة ، وولي قضاء مرسية وشاطبة دفعات ، وصنف التصانيف ، وكان أسند من بقي بالأندلس ، توفي في محرم من سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) . ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ج٦/ ٥٥٦ ، ٥٥٧ .

(٣) المعجب : ٣٥٣ .

(٤) ابن عذاري، البيان : قسم الموحدين : ج٤/٢٠٠ ؛ نجار، ليلى أحمد ، المغرب والاندلس في عهد المنصور الموحدي ، دراسة تاريخية وحضارية (٥٨٠ ــ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ ــ١١٩٨م) ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي (جامعة أم القرى ـ كلية الشريعة والدراسات الاسلامية) السنة الدراسية ـ ١٩٨٩م : ١٥٥ .

(٥) **تادلة :** بفتح الدال واللام : من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس ؛ منها أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد الانصاري القرطبي التادلي ، كان شاعرا أديبا . ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ج٢/٥ ، ٦ .

السيد أبو زكريا بجنوده وحاصره في تادلة وضيق عليه حتى أضطره للاستسلام وحمله الى الخليفة المنصور حيث أصدر الخليفة أمره بإرساله الى رباط الفتح ، وبعد عودة الخليفة الى مراكش اجتمع فيها بالسيد أبي الحسن نائبه عليها ــ أثناء غيابه في إفريقيــةــ ومن معه من الموحدين وتباحثوا جميعا في أمر الرشيد وأبي الربيع ، وثبت لديهم من سوء اقوالهم وأفعالهم ما أوجب عنده شرعا الحكم عليهم بالموت ، فأصدر الخليفة أمره إلى عثمان بن عبد العزيز الكومي والي قصبة رباط الفتح بقتلهما[١] .

ــ تمرد أبي يحيى[٢] شقيق الخليفة المنصور

كان أبو يحيى شقيق الخليفة المنصور من الطامعين في السلطان ، وكان واليا على قرطبة ، فبعد عودة الخليفة المنصور من شلب مرض مرضا شديدا خُشي عليه منه كثيرا ؛ مما جعل أخاه أبا يحيى يتلكأ في حضوره الى الخليفة منتظرا سماع خبر وفاته طمعا في تولي عرش البلاد ، وكان الخليفة المنصور دائم السؤال عنه ، فلما بلغ أبو يحيى ذلك أسرع بالقدوم اليه وهو على يقين من سماعه لخبر وفاته ، وتبعا لذلك فقد حاول إستمالة أشياخ الاندلس لانتخابه حاكما على البلاد قائلا لهم : ما تركت أمير المؤمنين الا ميتاً اليوم أو غد ، وليس لها غيري ، فقام أشياخ الاندلس بإعلام الخليفة المنصور بتآمـــر أخيه عليه ، وكان الأطباء قد أشاروا على الخليفة المنصور بالسفر إلى قادس وهي جزيرة بالاندلس من مدن إشبيلية ؛ للراحة ، وهناك وصلته كتب أهل الاندلس بما رأوه من أعمال أخيه ، فلما شفي الخليفة من مرضه لقي أخاه أبا يحيى في سلا ، إذ جاء معتذرا اليه فما كان من الخليفة المنصور إلا أن قبض عليه

---

[١] ابن عذاري، البيان : قسم الموحدين : ج٤/٢٠٠ .

[٢] **أبو يحيى** : هو أبو يحيى بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن شقيق الخليفة المنصور وكان أميرا لقرطبة فترة من الوقت ، سئل السيد أبا يحيى قيل له لما انفصل بأمرهم عن ولاية قرطبة : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ فقال : مثل الجمل ، إن خففت عنه الحمل صاح ، وإن أثقلته صاح ، ما ندري أين رضاهم فنقصده ، ولا أين سخطهم فنتجنبه ، وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق ، وإن العزل عنها لما قاسيته من أهلها عندي ولاية ، وإني إن كلفت العود إليها لقائل : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ؛ وشيد فيها قصره المعروف باسمه وقيل له : كيف تأنقت في بيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة ؟ فقال : علمت أنهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر ، لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانية فأحببت ان يبقى لي في بلادهم اثر اذكر به على رغمهم . المقري ، نفح الطيب : ج١/ ١٥٥ ، ٤٧٠ .

وأصدر أمراً بقتله بعد سماعه لشهادة أهل الاندلس فيه ، قائلا له : إنما أقتلك بقول رسول الله(ﷺ) : ((إذا بويع خليفتان بأرض فأقلتوا الأخر منهما))[1] ، وتولى قتله أخوه عبد الرحمن بن يوسف وذلك بمحضر من الناس ، وأمر به فكفن ودفن[2] .

ويبدو أن شدة الخليفة المنصور على هؤلاء الطامعين لها ما يبررها لحفظ مكانته بين قرابته وحماية السلطة من الطامعين ، وتأكيد هيبته في نفوس الناس ، ونحن نعرف أن الخليفة العادل هو القادر على تطبيق الاحكام الشرعية على أهل بيته أولا ثم الرعية ثانيا ، ومتى تحقق له ذلك استطاع قيادة رعيته باطمئنان كامل وحظي بثقتهم واحترامهم .

كما أن تولي خلافة الدولة الموحدية في طور انحلالها أشخاص صغار لم يبلغ بعضهم حتى سن الحلم[3] ، في الوقت الذي كانت فيه الدولة بأمس الحاجة إلى من يعيد إليها هيبتها ، ولسوء الحظ أن هؤلاء لم تكن لديهم فكرة واضحة عن المسؤولية وعن الأخطار التي تحدق بدولتهم سواء من الداخل أو الخارج مما جعلهم عرضة للمؤامرات الداخلية التي أودت بحياة الكثير منهم والمؤامرات الخارجية التي هزت كيان دولتهم ، فضلا عن ذلك انهماك أغلبهم في الترف والملذات ، والدليل على ذلك ما كان عليه الخليفة الناصر[4] ، أما المستنصر فلم يخرج من حضرته طول خلافته

---

[1] مسلم ، ابن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م) ، صحيح مسلم ، بيت الافكار الدولية للتوزيع والنشر ـ الرياض ـ ١٩٩٨م : ٧٧٤ برقم (١٨٥٣) .

[2] عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

[3] عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٤٠٤ ؛ ابراهيم حركــــات ، المغرب عبر التاريخ : ج١/ ٢٨٧ .

[4] أحدثت هزيمة العقاب سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) ، صدمة نفسية كبيرة لدى الخليفة الناصر، لما فعله الأدفنش ـ لعنه الله ـ فقصد مدينتي بياسة وأبدة ؛ فأما بياسة فحرق دورها وخرب مسجدها الأعظم ، ونزل على أبذة ، فدخلها عنوة فقتل وسبي وغنم ؛ وسبى من النساء والصبيان بما ملئوا به بلاد الروم قاطبة ؛ فكانت هذه أشد على المسلمين من الهزيمة ! وكان الخليفة الناصر ضعيف الشخصية ، فكانت ردت الفعل منه أن تفرغ للملذات ، ثم أصيب بمرض أصابته سكتة من ورم في دماغه ؛ فأقام ساكتا لا يتكلم ، بعد ذلك أشار عليه الاطباء بالفصد فأبى ذلك ؛ وتوفى يوم الاربعاء ١٠/ شعبان من سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م) . عبدالواحد المراكشي ، المعجب : ٤٠٢ ، ٤٠٣ ؛ ينظر :ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ : ج١/ ٢٨٦ .

إلا لزيارة تنملل وكان مولعا بانتجاع الخيل والبقر، فأهمل شؤون الدولة وتعاطى هواية جمع الحيوانات وتربيتها ، حتى طعنته بقرة شرود في صدره فهلك سنة (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) وهو ما يزال في ريعان شبابه[١] . ومنذ وفاة الخليفة الناصر استبد أشياخ الموحدين بالحكم فرفعوا من الخلافة من شاءوا وخلعوا من كرهوا وقتلوا من أرادوا وهذا ما حدث فعلا مع عبدالواحد بن يوسف الذي بايعوه ثم خلعوه وقتلوه ، ولما نقموا على العادل كذلك خلعوه ثم قتلوه ، ولعل أخطرما قام به أشياخ الموحدين تذكية النزاع داخل الأسرة الحاكمة ، وفي هذا الصدد يبرز الدور الذي لعبوه في تأليب العادل على عبد الواحد المخلوع[٢] .

وفي ذلك يقول ابن ابي زرع[٣] : ((ورجع أشياخ الموحدين كالأتراك مع بني العباس ، فكان فعلهم ذاك سببا لخراب دولتهم ، وذهاب سلطانهم ، وقتل ملوكهم وأشياخهم ، وهو أول باب فتحه القوم على أنفسهم للفتنة)) .

ويبدو أن بيت بني عبد المؤمن أصبح خاليا من رجل كفوء قادرا على إدارة الدولة الموحدية ، والخروج بها من واقع التأزم المتزايد والمستمر ، بل يمكن الجزم على أنهم تسببوا بقدر وافر في إسقاط دولتهم بسبب أنانيتهم ، وتهميشه عناصر المجتمع التي كانت تحوي كفاءات سياسية وإدارية ذات مواهب وقدرات على تسيير الامور ، وبصراعهم على السلطة وابتعادهم عن مبادئ الدعوة الموحدية التي اتخذت من ظلم الأمراء المرابطين أساسا مهماً لدعوتهم الى التغيير . غير أن الخلفاء المتأخرين لم يأخذوا الدروس والعبر من الحوادث التي تسبب في نهاية دولة المرابطين ، وفضلا عن ذلك لم تكن هناك شروط لتولي منصب الخلافة في بني عبد المؤمن ؛ مما جعل هذا المنصب الخطير عرضة لكل طامع ، في السلطة وهذا ما يفسر وصول شخصيات ضعيفة إلى السلطة ؛ الأمر الذي يدل على أنه من أهم الاسباب التي ادت إلى انهيار الدولة .

---

(١) ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ : ج١/ ٢٨٨ .

(٢)ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب : ٢٤٣ ، ٢٤٥ .

(٣) الأنيس المطرب : ٢٤٥ .

اهم النتائج التي تمخضت عن النزاع الاسري في الدولة الموحدية :

ـــ كان هذا النزاع قد أدى إلى صراعات مريرة على السلطة بين أفراد الأسرة الموحدية ، فكان له أثرٌ بالغٌ على هيبة الدولة وقوتها .

ـــ صار دور الأشياخ والاداريين دورا سلبيا ؛ لانهم غلّبوا مصالحهم الشخصية على مصلحة الدولة العليا ، وأستأثروا بالمناصب . أي أن مظاهر الفساد لم تكن بعيده كذلك عن هرم السلطة الموحدية .

ـــ استشراء مظاهر الفساد في السلطة الموحدية ، بسبب حياة المجون والترف واللهو التي انغمس فيها عدد من الخلفاء لاسيما المتأخرين منهم ، فكان ذلك ايذاناً باضمحلال الدولة ومن ثم انهيارها .

ـــ لعب نظام الوراثة في بني عبد المؤمن دورا كبيرا في صعود خلفاء غير أكفاء لإدارة دفة الحكم ، ولاسيما الخلفاء المتأخرين ، إذ تلقد الحكم خلفاء صغار السن ؛ مما تسبب بحدوث مشاكل لاحسر لها ارهقت الدولة من جميع النواحي .

ـــ كُثر التمرد والخروج على سلطان الدولة ، ولاسيما في عهد الخليفة المنصور ، مما أدى إلى أضعاف هيبة السلطة ، وإلى انشقاق كبير في الأسرة الحاكمة .

الخاتمة

تبين مما تقدم أن اثر النزاعات الداخلية في الأندلس كان كبيرا ، إذ أدى إلى تعطيل عمليات الجهاد والفتح العربي الإسلامي طوال الحقبة التاريخية التي عنيت بها الدراسة ، ومن خلال استعراضنا للنزاعات الداخلية التي جرت في الأندلس ومدى تأثيرها على الأحداث السياسية للبلاد ، يمكن أن نسجل النتائج التالية :

١- تبين أن خروج المرابطين من الصحراء الى المغرب الأقصى كان بقصد الجهاد ؛ لنشر الدين الاسلامي الحقيقي وإبطال البدع والانحرافات والظلم والفساد ، وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقتال الظلمة الزناتيين ، وجهاد برغواطة التي كانت تمثل أكبر خطر يهدد الاسلام في بلاد المغرب في تلك المدة .

٢- كان من نتائج امتداد نفوذ المرابطين إلى بلاد غانة أن سيطروا على مناجم الذهب ، ومكامن الملح في الصحراء ، فالغوا الضرائب والمكوس ، واحتفظوا بالزكاة والأعشار وأخماس الغنائم والجزية امتثالا لتعاليم الاسلام ، فضلا عن انتشار اللغة العربية والعادات العربية في منطقة السودان الغربي . وبذلك كان للمرابطين دور كبير في نشر الدين الاسلامي واللغة العربية والحفاظ على الوضع الاقتصادي واستقراره .

٣ـ تبين أن ملوك الطوائف على الرغم من طغيانهم المطبق ، ومن الصفات المثيرة التي كان يتصف بها الكثير منهم ، أنهم كانوا حماة العلوم والاداب . وإنها ظاهرة من أبرزظواهر عصر الطوائف أن يكون معظم الملوك والرؤساء من أكابر الأدباء والشعراء والعلماء ، وأن تكون قصورهم منتديات زاهرة ، ومجامع حقة للعلوم والاداب والفنون ، وأن يحفل هذا العصر بجمهرة كبيـــرة من العلمــــــاء والكتاب والشعراء ، منهم بعض قادة الفكر الأندلسي خاصة ، والفكر الإسلامي عامة .

٤ـ لقد قيض الله تعالى الامير يوسف بن تاشفين ان يلعب دوراً آخر ، فبعد أن قام بتوحيد المغرب الأقصى في ظل زعامة موحدة ، واتخذ من اجل تحقيق هذا الهدف كافة الاسباب المشروعة ، ذلك الدور هو الانطلاق الى الاندلس ، وتحمل أعباء الكفاح المسلح ضد اطماع النصارى . فكان من ابرز نتائجه الانتصار في موقعة الزلاقة سنة (٤٧٩هـ /١٠٨٦م) وإنقاذ الاندلس من خطر حركة الاسترداد التي رفع شعارها الفونسو السادس .

٥ـ بعد أن وطد الأمير يوسف بن تاشفين أركان دولته في العدوتين المغربية والاندلسيــــة ، كتب الى الخليفة العباسي المستظهربالله (٤٨٧ـ٥١٢هـ/ ١٠٧٤ ــ ١١١٨م) ، كتابا يذكر فيه ما فتح الله عليه من بلاد الفرنج ويطلب تقليدا بولاية البلاد ، وارسل مع الرسول هدايا نفيسه . فكتب الخليفة له التقليد من ديوان الخلافة بما اراد وأنعم عليه بلقب(أمير المسلمين) .

٦ـ أظهرت هذه الدراسة أن حملة حصن ليبط كانت اكبر درس لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين لكشف الطيب من الخبيث في الجزيرة ، فقد كان من نتائجها أنه ازداد يقيناً بأن أمراء الطوائف غير مخلصين في جهادهم ، وهم غير معنيين بمصير المسلمين في الاندلس ، وإنما

كان همهم وعنايتهم المحافظة على عروشهم ، وقد رآى الامير يوسف أنه اذا أريد للأندلس الاسلامية الاستمرار في البقاء ولحضارتها التطور والازدهار لابد من ازاحة أولئك الأمراء المتخاذلين الذين أوصلوها إلى هذا الدرك من الانحطــاط .

٧- من الاثار السلبية لسقوط دولة المرابطين مقتل عشرات الالاف من المسلمين ، فضلا عن ضياع مدينة المرية بيد النصارى سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) ، **وسقوط** طرطوشة ثم لاردة في أيدي النصارى سنة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) وهما من أعمال مملكة سرقسطة التي تقع في الشمال الشرقي ، والتي كان المرابطون حرروهما قبل ذلك ، وتوسع مملكة البرتغال في الجنوب ، وكانت من اشد الممالك ضراوة وحربا على المسلمين .

٨- تمخض التصوف الاندلسي عن حقيقتين : **الحقيقة الاولى** : هي ان التصوف الاندلسي تمحور في اتجاهين رئيسين : **الاتجاه الاول** : يمثل التيار الصوفي المعتدل الذي التزم بالكتاب والسنة واخلاق السلف الصالح ، والابتعاد قدر الإمكان عن الخوض في القضايا الفلسفية الشائكة ، وإما **الاتجاه الثاني** : فكان يمثل الاتجاه المتطرف الذي تزعمه بعض صوفية الغرب وعلى رأسهم ابن قسي ، وهذا الاتجاه يميل الى المذهب الباطني ، تمثل بالخوض في كتب الصوفية وموضوعات الغلاة الباطنية ، ورسائل اخوان الصفا ، و**الحقيقة الثانية** : الصفة الفكرية المتحررة التي اتصفت بها حركة المريدين ، فكل النصوص التاريخية قد أجمعت على أن جماعة المريدين قد انكبت على دراسة كتب الامام الغزالي ورسائل اخوان الصفا ، وكتب الباطنية ودراسات المتصوفة وآرائهم ، علما أن الدولة المرابطية كانت قد اصـــدرت امـــرا بمنع كتب الامام ابي حامد الغزالي من الدخول الى اراضيها ، إذ أصدر الأمير علي بن يوسف بن تاشفين امرا بأحراق كتب الغزالي وعلى راسها كتاب (احياء علوم الدين) في محفل خاص حضره فقهاء المرابطين وقضاتهم .

٩- كشفت هذه الدراسة أن قادة الثورة ضد الدولة المرابطية لم يكونوا من قادة الجند ، أو زعمائهم وإنما كان جلهم من القضاة والفقهاء ، وهذا يشير الى المكانة التي كان يتمتع بها هؤلاء في ظل الحكم المرابطي ، ومن المأخذ على هذه الثورة لم تكن لها برنامج محدد واضح أو تخطيط منظم أو شعار لها سوى ما ذكر من قيام المريدين ((بالتهليل والتكبير)) ولم تذكر أسباب واضحة للقيام على المرابطين ، كما لم يذكرعنهم القيام بأي إصلاح أو تنظيم في البلاد التي استولوا عليها .

١٠- كانت ثورة الشرق أشد عنفا ، وأصعب مراسا ، وأطول زمنا وأعمق جذورا ؛ ساعدت على ذلك عوامل جغرافية وعسكرية ضاعفت من مقدرتها على المقاومة ، فقواعدها بعيدة عن منتاول المرابطين ، واتصالها ببحر الروم ـ (البحر المتوسط حاليا) يسهل إمدادها بكل ما تحتاجه . ويبدو لي أن العامل المهم في استمراريتها مجاورتها للممالك النصرانية ؛ وهذا فتح الباب على مصراعيه للاتصال المستمر بملوك النصارى ومحالفتهم والاستنصار بهم .

١١- كانت دولة ابن مردنيش التي استطاع أن ينشئها في شرقي الاندلس ، مابين طرطوشة شمالا والمرية جنوبا ، وما بين شاطيء البحر شرقا وجيان غربا ، والتي لبثت زهاء ربع قرن ، تتحدى سلطان الموحدين وجيوشهم المتدفقة من وراء البحر. ، كاد أن ابن مردنيش أن يبسط سلطانه على الاندلس كلها ، وذلك حينما استولى على جيان وبياسة وأبدة ووادي أش ، واخترق أواسط الاندلس فوصل الى إشبيلية ، اجتاح نائبه ومعاونه ابن همشك وادي قرطبة ، وهدد قرطبة ذاتها ، واستولى على قرمونة ، ثم هزم الموحدين في مرج الرقاد واستولى على غرناطة ، ولو لم تضع موقعة السبيكة حدا لتقدمه ، لكان سطان الموحدين في الاندلس عرضة للانهيار ، ولكللت ثورة ابن مردنيش بالظفر التام ، والتي كانت من أشد الثورات التي شهدتها الاندلس ضراوة وقسوة ارهقت دولة الموحدين وكانت من احد اسباب ضعفها وانهيارها في النهاية .

١٢ـــ لقد لعب بنو غانية دورا سياسيا وعسكريا بارزا في المغرب والاندلس ، فمن الناحية العسكرية استطاع بنو غانية أن يقودوا عدة حركات ضد الموحدين ، وكانت أخطر حركة قام بها بنو غانية ضد الموحدين في المغرب والاندلس دخولهم إفريقية واستيلائهم عليها . بيد أن الخليفة الناصر لدين الله استطاع أن ينتصر عليهم في مواجهات عدة ، ويطردهم من المغرب ، كما **أن** صمود بني غانية أمام الموحدين لأكثر من قرن من الزمان من (٥٢٠ ــ ٦٣٣هـ/ ١١٢٦ ـــ ١٢٣٨م) يدل على أنهم كانوا يمتلكون تنظيما سياسيا وعسكريا غاية في الدقة وعلى درجة كبيرة من القوة . لقد استطاع بنو غانية أن يجمعوا شتات المرابطين في المغرب والاندلس وفلولهم وأن يتوحدوا هناك في الجزائر الشرقية ، ومن ثم التحالف مع الغز الأتراك والعرب المتواجدين في المغرب الاوسط وقيادتهم في الثورة على الموحدين .

١٣ ـــ اتضح أن النصارى استغلوا انشغال الدولة الموحدية في قمع ثورة بني غانية وحليفهم قراقوش الغزي ؛ فاحتلوا عدة مدن مهمة في الاندلس ، واستغرق الأمر جهود سنتين من الحرب لاسترجاع ما ضاع ، في حين كان الأولى بهم أن تصرف الجهود لاسترجاع مدن أخرى احتلها النصارى ، منها طليطلة التي تعد اهم مدن الاندلس ؛ لموقعها الاستراتيجي . لكن الذي حدث أن المسلمين فقدوا مدن أخرى .

١٤ ـــ من أبرز الثورات التي قامت ضد الموحدين ، والتي اسهمت بدور كبير في زوال دولتهم هي ثورة محمد بن يوسف بن هود ألجذامي الذي خرج من مدينة مرسية في سنة (٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م) ، واستطاع الاستيلاء على مناطق واسعة من الاندلس .

١٥ـــ كان النزاع داخل الأسرة الموحدية أهم الاسباب التي اضعفت الدولة وعجلت في انهيارها ؛ فقد كان السبب الجوهري في نهضة فلول النصارى من ممالك الشمال وتقدمهم ، واخذوا يتقدمون في الأرضي المفتوحة في بلاد الأندلس ، وينازعون العرب المسلمين سلطانهم ، الى أن اخرجوهم من الاندلس .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : المصادر الأولية :

ـ ابن الآبار ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)
١ – معجم الصدفي ، نشر : فرانتيسكوكوديرا ، مجريط ـ ١٨٨٥م .
٢- اعتاب الكتاب ، تح: صالح الاشتر ، ط١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ١٩٦١م .
٣- الحلة السيراء ، تح: حسين مؤنس ، ط٢، دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٥م .
٤- التكملة لكتاب الصلة ، تح: عبدالسلام الهراس ، دارالفكر للطباعة والنشروالتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٩٥م .

ـ ابن الأثير ، عزالدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، (ت٦٣٠هـ/ ١٢٢٣م)
٥- الكامل في التاريخ، ط١، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية - - بيروت -١٩٨٧م

ـ احمد بن حنبل ، احمد بن محمد بن هلال بن اسد ، (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)
٦- كتاب الزهد ، تح : محمد جلال شرف ، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨١م .

ـ الادريسي ، ابو عبدالله محمد الشريف السبتي ، (ت حوالي ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م)
٧- المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في أختراق الافاق ، مطبعة بريل ـ ليدن ـ ١٨٦٣م .
٨- نزهة المشتاق في أختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة - ٢٠٠٢م .

ـ الأشعري ، أبي الحسن علي بن اسماعيل (ت٣٣٠هـ/٩٤١م)
٩- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٠م .

ـ الأصطخري، ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ، (ت٣٢١هـ ٩٣٣م)
١٠- المسالك والممالك ، تح : محمد جابر عبدالعال الحسيني ؛ محمد شفيق غربال ، دار القلم ـ القاهرة ـ ١٩٦١م .

ـ ابن بسام ، ابو الحسن علي الشنتريني ، (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)
١١- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تح : احسان عباس ، ط١ ، دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٩م .

ـ ابن بشكوال ، ابوالقاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الانصاري، (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م)
١٢ - الصلة ، ط١ ، تح: ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ ١٩٨٩هـ ٠

ـ البكري، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ، (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)
١٣- جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تح : عبد الرحمن علي ألحجي، دار الإرشاد ـ بيروت- ١٩٦٨م .
١٤- المسالك والممالك ، تح : جمال طلبة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ٢٠٠٣م .
١٥ - المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، دار الكتاب الاسلامي ـ القاهرة ـ (د ـ ت) .

ـ ابن بلقين ، الامير عبد الله بن باديس بن حبوس ، (ت ٤٨٣هـ/١٠٩٠م)
١٦ - التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، ط١ ، حرره : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ ٢٠٠٦م ٠

ـ البيذق ، أبو بكر بن علي الصنهاجي ، (ت أخر: ق٦هـ/ ق١٢م)
١٧ - أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تح : عبدالوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة ـ الرباط ـ ١٩٧١م .

ـ التجاني ، أبو محمد عبدالله محمد بن أحمد ، (ت حوالي ٧١٧هـ/ ١٢١٧م)
١٨ - رحلة التجاني ، قدم لها : حسن حسني عبد الوهاب تونس ـ الرستمية ـ ١٩٥٨م .

ـ ابن تومرت ، المهدي ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله ، (ت ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)
١٩ - أعز ما يطلب ، تقديم وتحقيق : عبدالغني ابو العزم ، مؤسسة الغني للنشر ـ الرباط ـ (د.ت) .

ـ ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني ،(ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)
٢٠ - الزهد والورع ، ط١ ، تح : حماد سلامة ؛ محمد عويضة ، مكتبة المنار ـ الزرقاء الأردن ـ ١٩٨٧م .
٢١ - مجموعة فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن محمد بن قاسم وابنه محمد ؛ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ ١٤١٥م .

ـ الجزنائي ، ابو الحسن علي ، (ت من أهل القرن التاسع الهجري)
٢٢ - جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، تح : عبدالوهاب بن منصور ، ط٢ ، المطبعة الملكية ـ الرباط ـ ١٩٩١م .
ـ الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، (ت نحو ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)
٢٣ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ط٢ ، تح : احمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملاين ـ بيروت ـ ١٩٧٩م .
ـ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله ، (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م)
٢٤- كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ، دار أحياء التراث العربي ـ بيروت ـ (د٠ت) ٠

ـ ابن حجر، شهاب أحمد بن علي العسقلاني ، (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)
٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط١ ، تقديم وتحقيق وتعليق : عبدالقادر شيبة الحمد ، مكتبة الملك فهد ـ الرياض ـ ٢٠٠١م .

ـ ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الأندلسي ،(ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)
٢٦ - جمهرة انساب العرب ، تح: إ٠ليفي بروفنسال ، دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٤٨م .
٢٧ - ((رسالة التلخيص لوجوه التخليص)) ، رسائل ابن حزم الاندلسي، ط٢، تح : احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٧م .
٢٨ - الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ط٢ ، تح : محمد ابراهيم نصير ؛ عبدالرحمن عميرة ، دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٩٦م .

ـ الحميري ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم ، (ت أواخر القرن التاسع الهجري)
٢٩- الروض المعطار في خبر الأقطار، ط١، تح: إحسان عباس ، مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ١٩٧٥م .
٣٠ - صفة جزيرة الاندلس منتخب من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، ط٢ ، ننشر وتصحيح : ليفي بروفنسال ، دار الجيل ـ بيروت ١٩٨٨م .

ـ ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي ، (ت٣٦٧هـ/ ٩٩٠م)
٣١ - صورة الأرض ، دار صادر ـ بيروت ـ طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ـ ١٩٣٨م .

ـــ ابن خاقان ، الوزير الكاتب الفتح بن محمد بن عبيدالله القيسي الأشبيلي ، (ت٥٢٩هـ /١١٣٤م)
٣٢ - قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، ط١ ، تح : حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار ــ الاردن الزرقاء ــ ١٩٨٩م .
٣٣- مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس ، ط١ ، تح : محمد علي شوابكة ، دار عمار ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٩٨٣م .

ـــ ابن خفاجة ، أبي اسحاق ابراهيم بن أبي الفتح بن عبدالله الاندلسي ، (ت٥٣٣هـ/ ١١٣٧م)
٣٤ - ديوان ابن خفاجة الاندلسي ، المطبعة الخاصة بجمعية المعارف ــ مصر ــ ١٢٨٦هـ .

ـ ابن خلدون ، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد ،(ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)
٣٥ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من السلطان الأكبر ، ضبط ومراجعة خليل شحاذة وسهيل زكار، دارالفكر ــ بيروت ـــ ٢٠٠٠م .

ـ ابن خلكان : شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م)
٣٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح : إحسان عباس، دار صادر- بيروت-١٩٧٧م .

ـــ الدباغ : ابو زيد عبدالرحمن بن محمد الانصاري الاسيدي ، (ت٦٩٦هـ /١٢٩٦م)
٣٧- معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، تح : محمد الاحمدي ابو النور ؛ محمد ماضور ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ١٩٧٢م ؛ أكمله وعلق عليه ابو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي (ت٨٣٩هـ) .

ـ ابن دحية ، عمر بن الحسن ابن علي بن محمد الاندلسي البلنسي ، (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)
٣٨ - المطرب من اشعار اهل المغرب ، ، تح : ابراهيم الابياري ؛ حامد عبدالمجيد ؛ احمد بدوي ،المطبعة الاميرية ــ ١٩٥٥م .

ـــ ابن دريد ، أبي بكر محمد بن الحسن ، (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)
٣٩- جمهرة اللغة ، تح : رمزي منير بعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٨٧م .

ـ الديلمي ، محمد بن الحسن ، (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)
٤٠- بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من كتاب قواعد عقائدآل محمد ، عني بتصحيحه : رشد وطمان ، مكتبة المعارف ــ الرياض ــ (د .ت) .

ـ الدمشقي ، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الانصاري، (ت٥٢٧هـ/ ١١٣٢م) .
٤١- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية ــ بطربورغ ــ١٨٦٥م .

ـ ابن أبي دينار ، ابو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، (ت بعد ١١١٠هـ)
٤٢- المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، ط١، مطبعة الدولة التونسية ـــ تونس - ١٣٨٦هـ .

ـ الذهبي ، الامام الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)
٤٣-تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، ط١ ، تح : عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ١٩٩٠م .
٤٤- سير اعلام النبلاء ، شعيب الأرنؤوط ، ط٤، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٩٩٦م .

ـــ الرازي ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي ، (ت بعد٦٦٦هـ/ بعد ١٢٦٨م)
٤٥ـ مختار الصحاح ، إخراج : دائرة المعاجم في مكتبة لبنان ــ مكتبة لبنان بيروت ــ ١٩٨٦م .

ــ ابن الزبير ، احمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاندلسي الحافظ النحوي ، (ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)
٤٦ ـ صلة الصلة ، تح : ليفي بروفنسال ، مكتبة نباط ــ بيروت ــ ١٩٣٧م .

ـ ابن ابي زرع ، ابو الحسن علي بن عبدالله الفاسي ، (ت٧٤١هـ /١٣٤٠م)
٤٧- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،ترجمة وتصحيح : كارليوحنتورنبرغ ، دار الطباعة المدرسية- اوبسالة -١٨٣٣م .

ــ الزركشي ، أبي عبدالله محمد بن ابراهيم ، (ت٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م)
٤٨ - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، المكتبة العتيقة ــ تونس ــ ٢٠٠٢م .

ـ ابن الزيات ، ابي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ، (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)
٤٩- التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي ، ط٢، تح : احمد التوفيق ، مطبعة النجاح الجديد ــ الدار البيضاء ــ ١٩٩٧م .

ــ ابن سعيد الأندلسي ، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي ، (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)
٥٠- المغرب في حلى المغرب ، تح: شوقي ضيف ، ط٤ ، دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٥٩م .
٥١- رايات المبرزين وغايات المميزين ، ط١ ، تح : محمد رضوان الداية ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ــ دمشق ــ ١٩٨٧م .

ـ الشعراني ، العارف بالله الامام عبدالوهاب ، (ت٩٧٣هـ /١٥٦٤م)
٥٢ ـ الطبقات الكبرى ، تح : احمد عبدالرحيم السايح ؛ توفيق علي وهبة ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة ــ ٢٠٠٥م .

ــ الشهرستاني ، أبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي أحمد ، (ت٥٤٨هــ / ١١٥٣م)
٥٣- الملل والنحل ، ط٣ ، تح: أمير علي مهنا ؛ علي حسن فاعور ، دار المعرفة ــ بيروت ــ ١٩٩٣م .

ــ شيخ الربوة الدمشقي ، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الانصاري ، (ت٥٢٧هـ/ ١١٣٢م)
٥٤- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية ـ بطربورغ ــ١٨٦٥م .

ـ صاعد الأندلسي ، أبو القاسم صاعد بن أحمد ، (ت٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م)
٥٥- طبقات الأمم-المكتبة الحيدرية-النجف-١٩٦٧م .

ـ الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك ، (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)
٥٦- الوافي بالوفيات ، تح : احمد الارناؤوط ؛تركي مصطفى ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ــ ٢٠٠٠م .

ــ ابن صاحب الصلاة ،عبدالملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الباجي ، (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م)
٥٧ ـ المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين ، ط٣ ، تح : عبدالهادي التازي ، دار الغرب الاسلامي ــ بيروت ــ ١٩٨٧م .

ــ الضبي ، احمد بن يحيى بن عمير، (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)
٥٨ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ط١، تح: ابراهيم الابياري ، دار الكتاب اللبناني -ـ بيروت ــ ١٩٨٩ م .

ـ الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م)
٥٩- تاريخ الرسل والملوك ، ط٢ ، دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٦م .
٦٠- التبصير في معالم الدين ، ط١ ، تح : علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ١٩٩٦م .

ـ الطرطوشي ، الامام الزاهد أبي بكر محمد بن الوليد الفهري ، (ت٥٢٠هـ / ١١٢٦م)
٦١- سراج الملوك ، تح: محمد فتحي أبو بكر ؛ تقديم : شوقي ضيف ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ ١٩٩٤م .

ـ ابي العباس ، محمد بن يحيى ، (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)
٦٢- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب ، ط١ ، اشراف : محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ ١٩٨١م .

ـ ابن عبد الحق البغدادي : صفي الدين عبد المؤمن ، (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)
٦٣- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي ، تح : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٩٢م .

ـ ابن عبدون ، محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي ، (ت٦٥٩هـ / ١٢٦٠م)
٦٤- ثلاث رسائل اندلسية في أداب الحسبة والمحتسب ، تح: ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية ـ القاهرة ـ ٩٥٥م .

ـ عبدالملك ، محمد بن محمد بن عبدالملك الانصاري الاوسي المراكشي ، (ت٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)
٦٥- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تح : محمد بن شريفه ؛ احسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٨٤م .

ـ ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي ، (ت٧١٢هـ /١٣١٢م)
٦٦- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ط٣، تح : ج٠س ٠كولان وإ٠ليفي بروفنسال ، دار الثقافة- بيروت- ١٩٨٣م .
٦٧- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ط٣ ، تح: أحسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٨٣م
٦٨- البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ط١ ، تح : محمد ابراهيم الكتاني ؛ محمد بن تاويت ؛ محمد زنيبر ؛ عبدالقادر زمامة ، دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ ١٩٨٥م .

ـ العذري ، احمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائي ، (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)
٦٩- نصوص عن الأندلس ، كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تح: عبد العزيز الاهوائي ، مدريد-معهد الدراسات الإسلامية-١٩٦٥م .

ـ ابن العريف ، ابوالعباس احمد بن محمد الصنهاجي ، (ت٥٣٦هـ /١١٤١م)
٧٠- مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ، جمعه : ابو بكر عتيق بن مؤمن ، تح: عصمت عبداللطيف دندش ، ط١، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ـ ١٩٩٣م .

ـ ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين ابي الفلاح عبدالحي بن احمد بن محمد ، (ت١٠٨٩هـ /١٦٧٨)
٧١- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،ط١، تح :محمود الارناؤوط ، دار ابن كثير ـ دمشق ـ ١٩٨٩م .

ـ ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد ، (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)
٧٢- الانباء في تاريخ الخلفاء ، تح : قاسم السامرائي ، ط١، دار الافاق ـ القاهرة ـ ١٩٩٩م .

ــ عبدالواحد المراكشي ، ابو محمد بن علي ، (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)
٧٣-المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان ، لجنة احياء التراث الاسلامي ،اشرف على اصداره : محمد توفيق عويضه ـــ القاهرة ـــ ١٩٦٣م .
٧٤- وثائق المرابطين والموحدين ، ط١ ، تح : حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ ١٩٩٧م .

ــ عبد القاهرالبغدادي، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)
٧٥- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تح: محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ـ القاهرة ـ ١٩٨٨م .

ـ بن عجيبة ، عبدالله احمد ، (ت ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م)
٧٦- معراج التشوف الى حقائق التصوف ، تقديم وتحقيق : عبدالمجيد خيالي ، مركز التراث الثقافي المغربي ـ الدار البيضاء ـ (د.ت) .

ـ القاضي عياض ، ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)
٧٧- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، ضبطه وصححه : محمد سالم هاشم ، ط١ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٩٨م .

ــ ابن غلبون ، أبي عبدالله محمد بن خليل الطرابلسي ، (ت١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م)
٧٨ــ التذكار ــ تاريخ طرابلس الغرب فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الاخبار ، نشره وعلق عليه : الظاهر احمد الزاوي ، المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ ١٣٤٩هـ .

ـ ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن نور الدين ، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
٧٩-المختصر في اخبار البشر تاريخ ابي الفداء ، مكتبة المتنبي ـ القاهرة ـ (د٠ت) .

ــ أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن حسين ، (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)
٨٠- مقاتل الطالبين ، ط٢ ، تح : السيد أحمد صقر ، منشورات الشريف الرضي ـ قم ـ ١٣٧٤هـ .

ــ ابن فرحون ، المالكي ، (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)
٨١-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تح: محمد الاحمدي ابو النور ، دار التراث ــ القاهرة ــ (د. ت) .
ــ ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي ، (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٣م)
٨٢- تاريخ علماء الأندلس ، ط١ ، تح : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ـ تونس ـ ٢٠٠٨م .

ــ ابن فارس ، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا القزويني ، (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)
٨٣- مقاييس اللغة ،تح :عبدالسلام محمد هارون ،دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٧٩م .

ـ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م)
٨٤- القاموس المحيط ، ط٨ ، تح : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ؛ اشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ٢٠٠٥م .

ــ القرماني ، احمد بن يوسف ، (ت١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)
٨٥-اخبار الدول واثار الاول في التاريخ ، ط١، تح: احمد حطيط ؛ وفهمي سعد ، عالم الكتب ـ بيروت ــ ١٩٩٢ .
ـ القلقشندي ، احمد بن علي بن احمد ، (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
٨٦- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٢٢م .

ــ ابن القطان ، أبي محمد حسن علي بن محمد بن عبدالملك الكتامي ، (ت منتصف ق٧هـ)
٨٧- نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان ، تح : محمود علي مكي ، ط٢ ، دار الغرب الاسلامي ــ القاهرة ــ ١٩٩٠م .

ـ كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري ،
٨٨ - الاستبصار في عجائب الامصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ (د.ت) .

ـ ابن الكردبوس ، ابو مروان عبد الملك بن مروان التوزري ، (ت بعد ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)
٨٩- تاريخ الأندلس لابن كردبوس ووصفه لابن الشباط وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تح: احمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية-مدريد-١٩٦٥م .

ــ لسان الدين ابن الخطيب ، محمد بن عبدالله ، (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)
٩٠ - الاحاطة في اخبار غرناطة ، تح : محمد عبدالله عنان ، ط١ ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ١٩٧٤م .
٩١- اعمال الاعلام ، ط٢ ، تح : إ . ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ــ بيروت ــ ١٩٥٦م .
٩٢- اعمال الاعلام ، تح : احمد مختار العبادي ؛ محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب - الدار البيضاء ــ ١٩٦٤م .
٩٣- رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية ــ تونس ــ ١٢١٦هـ .
٩٤ - معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تح : محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة ــ ٢٠٠٢م .
ـ المالكي ، ابو بكر عبدالله بن محمد ، (ت بعد سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) .
٩٥- رياض النفوس ، تح : بشير البكوش ؛ راجعه : محمد العروسي المطوي ، ط٢ دار الغرب الاسلامي ــ بيروت - ١٩٩٤م .

ـ الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)
٩٦-الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، تح : احمد مبارك البغدادي ، ط١ ، مكتبة دار ابن قتيبة ــ الكويت ــ ١٩٨٩م .

ـ مجهول ،
٩٧ - بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة والوراقة ــ الرباط ــ١٩٧٢م .

ـ المزي ، الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف ، (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)
٩٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ط٢ ، تح :بشار عواد معروف ،مؤسسة الرسالة ــبيروت ــ ١٩٨٥م .

ـ المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ، (ت٣٦٤هـ/ ٩٧٤م)
٩٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، اعتنى به وراجعه : كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ــ بيروت ــ ٢٠٠٥م ٠

ــ مسلم ، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري ، (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م)
١٠٠- صحيح مسلم ، بيت الافكار الدولية للتوزيع والنشر ــ الرياض ــ ١٩٩٨م .

ــ المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)
١٠١- اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، ط٢ ، تح : جمال الدين الشيال ، لجنة احياء التراث ــ القاهرة ــ ١٩٩٦م .

ـــ المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني ، (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)
١٠٢- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت-١٩٨٨م .

ـــ المقري ، احمد بن محمد بن علي الفيومي ، (ت٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)
١٠٣- المصباح المنير ، مكتبة لبنان ــ بيروت ــ ١٩٨٧م .

ـ المكناسي ، احمد ابن القاضي ، (ت١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)
١٠٤- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ــ الرباط ــ ١٩٧٣م .

ـــ الملزوزي ، ابو فارس عبدالعزيز بن عبدالرحمن المكناسي ، (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)
١٠٥- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ، المطبعة الملكية ــ الرباط ـــ ١٩٦٣م .

ـ ابن منظور ، جمال الدين محمد مكرم ، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)
١٠٦- لسان العرب ، تح : نخبة من العاملين بدار المعارف ، دار المعارف ــ القاهرة ــ (د. ت) .

ـ مؤلف اندلسي من أهل القرن الثامن الهجري ،
١٠٧ - الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تح : سهيل زكار ؛ عبدالقادر زمامة ، ط١ ، دار الرشاد الحديثة ــ الدار البيضاء ــ ١٩٧٩م .

ـ مؤلف مجهول ،
١٠٨- مفاخر البربر ، تح : عبدالقادر بوباية ، ط١ ، دار ابي رقراق للطباعة والنشر ــ الرباط ــ٢٠٠٥م .

ـ النباهي ، ابو الحسن بن عبدالله بن الحسن المالقي الاندلسي ، (ت القرن الثامن الهجري)
١٠٩- تاريخ قضاة قرطبة والمسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تح : لجنة احياء التراث العربي ، ط٥ ، دار الافاق الجديدة ــ بيروت ــ ١٩٨٣م .

ـــ النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن محمد الشافعي ، (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)
١١٠- صحيح مسلم بشرح النووي ، ط١ ، المطبعة المصرية بالأزهرـــ ١٩٣٠م .

ـ النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب ، (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)
١١١- نهاية الارب في فنون الادب ، ط١، تح : عبدالمجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ٢٠٠٤م .

ـــ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله ، (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)
١١٢- معجم البلدان ، دار الفكرــ بيروت ــ ١٩٧٧م ٠

ـ اليافعي ، ابو محمد عبدالله بن اسعد ، (ت٧٦٨هـ /١٣٦٦م)
١١٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط١ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٩٩٧م .

ـــ اليعقوبي ، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ، (٢٩٢هـ / ٩٠٤م)
١١٤- البلدان، طبع بمطبعة بريا ــ مدينة ليدن ــ ١٨٩٤ .

ثانيا : المراجع الثانوية

ـ ارسلان ، شكيب
١١٥- الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ (د٠ت) .

ـ اشباخ ، يوسف
١١٦- تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ط٢، ترجمة وتعليق عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٩٩٦م .

ـ بالنثيا ، أنخل جنثالث
١١٧- تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ ١٩٥٥م .

ـ بروفنسال ، ليفي
١١٨- مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، المطبعة الاقتصادية ـ الرباط ـ ١٩٤١م .
١١٩- الاسلام في المغرب والاندلس : ترجمة : السيد عبد العزيز سالم ؛ محمد صلاح الدين حلمي ، القاهرة ـ ١٩٥٨م .

ـ بروكلمان ، كارل
١٢٠- تاريخ الشعوب الاسلامية ، نشره الى العربية : نبيه امين فارس ؛ منير البعلبكي ، ط١، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٤٨م .

ـ بعيون ، سهى
١٢١- إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس ـ عصر ملوك الطوائف (٤٢٢ـ ٤٧٩هـ/ ١٠٣١ ـ ١٠٨٦م) ، ط١ ، دار المعرفة ـ بيروت ـ ٢٠٠٨م .

ـ بوتشيش ، ابراهيم القادري
١٢٢- المغرب والاندلس في عصر المرابطين (المجتمع ، الذهنيات ـ الاولياء) ، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٩٣م .
١٢٣- تاريخ الغرب الاسلامي ـ قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة ، ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٩٤م .

ـ بيضون ، ابراهيم
١٢٤-الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢ـ٤٢٢هـ/ ٧١١ـ١٠٣١م) ، ط٣ ، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٦م .

ـ بن تاويت ، محمد
١٢٥- الوافي بالادب العربي في المغرب الاقصى ، ط١ ، دار الثقافة ـ الدار البيضاء ـ ١٩٨٢م .

ـ توفيق ، عمر ابراهيم
١٢٦- صورة المجتمع الاندلسي في القرن الخامس للهجرة (سياسيا واجتماعيا وثقافيا) ، ط١ ، دار غيداء للنشر والتوزيع ـ عمان ـ ٢٠٠٩م .

ـ التواني ،عبد الكريم
١٢٧- مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس ، ط١ ، مكتبة الرشاد ـ الدار البيضاء ـ ١٩٦٧م .

ـ جادالله ، منال عبدالمنعم
١٢٨- التصوف في مصر والمغرب ، منشأة المعارف ـ الاسكندرية ـ ١٩٩٧م .

ـ الجارم ، علي
١٢٩- قصة العرب في اسبانيا : مطبعة المعارف ـ مصر ـ ١٩٤٤م .

ـ جمال الدين ، عبدالله محمد
١٣٠- الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٩١م .

ـ الجهني ، مانع بن حماد
١٣١ـ الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، ، ط٤ ، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ١٤٢٠هـ .

ـ حتاملة ، محمد عبده
١٣٢- الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الاندلس (حرب متواصلة على الاسلام) ، عمان ـ ٢٠٠١م .
١٣٣- الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس ـ دراسة شاملة ، دائرة المكتبة الوطنية ـ عمان ـ ٢٠١٣م .

ـ الحجي ، عبدالرحمن علي
١٣٤- التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى السقوط(٩٢ـ ٨٩٧هـ / ٧١١ ـ ١٤٩٢م) ، ط٧، دار القلم ـ دمشق ٢٠١٠م .

ـ حركات ، ابراهيم
١٣٥- المغرب عبرالتاريخ ، دار الرشاد الحديثة ـ الدار البيضاء ـ ٢٠٠٠م .

ـ الحريري ، محمد عيسى
١٣٦- الدولة الرستمية في المغرب حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس (١٦٠ ـ ٢٩٦هـ/ ٧٧٦م ـ ٨٨٢م) ، ط٣ ، دار القلم للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ ١٩٨٧م .

ـ حسن ، حسن علي
١٣٧ - الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس (عصر المرابطين والموحدين) ، ط١ ، مكتبة الخانجي ـ مصر ـ ١٩٨٠م .
ـ حسن ، حسن ابراهيم
١٣٨- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط١٤ ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٩٦م .

ـ حسن ، علي ابراهيم ؛ حسن ابراهيم ٠
١٣٩- النظم الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ـ (د ـ ت) .

ـ الحسن ، عيسى
١٤٠- الاندلس في ظل الاسلام تكامل البناء الحضاري ، ط١ ، الاهلية للنشر والتوزيع ـ عمان ـ ٢٠١٠م .

ـ حسين ، حمدي عبدالمنعم محمد
١٤١ - التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية ـ ١٩٩٧م .

ـ الحسين ، الناني ولد
١٤٢- صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الاقليمي خلال العصر الوسيط ، ط١ ، تقديم : محمد حجي ، دار المدار الاسلامي ـ بيروت ـ ٢٠٠٧م .

ـ الحصين ، أحمد بن عبدالعزيز
١٤٣- موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب، ط٣ ، دار عالم ـ الرياض ـ ١٤٢٨هـ .

ـ حواله ، يوسف بن احمد
١٤٤- الحياة العلمية في افريقية (المغرب الادنى) منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ، ط١ ، جامعة ام القرى ـ مكة المكرمة ـ ٢٠٠٠م .

ـ الخليفة ، حامد محمد
١٤٥- انتصارات يوسف بن تاشفين (٤٠٠هـ/١٠٠٩م ـ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) بطل معركة الزلاقة وقائد المرابطين موحد ومنقذ الاندلس من الصليبيين ، ط١ ، مكتبة الصحابة ـ الامارات ـ الشارقة ـ ٢٠٠٤م .

ـ خطاب ، محمود شيت
١٤٦- قادة فتح المغرب العربي ، ط٧ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٨٤م .

ـ أبو خليل ، شوقي
١٤٧- الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي ، دار الفكر المعاصر ـ دمشق ـ ١٩٩٣م .

ـ خيرالدين ، الزركلي
١٤٨- الاعلام ، ط٥ ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٨٠م .

ـ الدباغ ، عبد الوهاب خليل
١٤٩- سرقسطة بوابة الاندلس الشمالية في عصر بني هود (٤٣٠ ـ٥٠٣هـ /١٠٣٨ ـ ١١٠٩) دراسة سياسية ، ط١، دار الهلال للطباعة والنشر والتوزيع ـ ٢٠١٢م .

ـ الدليمي ، غازي فيصل صالح ذياب
١٥٠-المدرسة المالكية في العراق حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الأدب ـ جامعة الانبار ، ٢٠١٤م .

ـ دندش ، عصمت عبداللطيف
١٥١- أضواء جديدة على المرابطين ، ط١، دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ ١٩٩١ .
١٥٢ـ دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا (٤٣٠ـ ٥١٥هـ/ ١٠٣٨ـ ١١٢١م) ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ ١٩٨٨م .
١٥٣- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (٥١٠ ـ ٥٤٦هـ/ ١١١٦ـ ١١٥١م) ، ط١، دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ ١٩٨٨م .

ـ ديوان أبو إسحاق الألبيري الأندلسي
١٥٤- تح : محمد رضوان الداية ، ط٢، دار قتيبة ـ دمشق ـ ١٩٨١م .
ـ أبو ريان ، محمد علي
١٥٥- تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ـ ١٩٩٢م٠
ـ زبيب ، نجيب
١٥٦ـ الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس ، تقديم : احمد ابن سودة ، ط١ ، دار الامير للثقافة والعلوم ـ بيروت ـ ١٩٩٥م .
ـ ابن زيدان ، عبدالرحمن بن محمد السلجماسي ٠
١٥٧- إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ، ط١ ، تح : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ ٢٠٠٨م .

ـ سالم ، السيد عبدالعزيز
١٥٨- تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس مؤسسة شباب الجامعة ـالاسكندرية ـ١٩٨٤م .
١٥٩- قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ـ ١٩٩٧م .
١٦٠- المساجد والقصور في الاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ـ ١٩٨٦م .
ـ سالم ، سحر السيد عبد العزيز
١٦١- تاريخ بطليوس الاسلامية وغرب الاندلس في العصر الاسلامي ، الجزء الاول ـ التاريخ السياسي ، مؤسسة شباب الجامعة ـ اسكندرية ـ (د٠ت) .
ـ السامرائي ، خليل ابراهيم ؛ واخرون
١٦٢- تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة ـ بيروت ـ ٢٠٠٠م .
١٦٣- تاريخ المغرب العربي ، ط١ ، دار الكتب الوطنية ـ بنغازي ـ ٢٠٠٤م .
ـ السحيباني ، حمد بن صالح
١٦٤- الضعف المعنوي وأثره في سقوط الامم ، (عصر ملوك الطوائف في الاندلس انموذجا) دراسة تاريخية تلحليلية ، ط١ ، الرياض ـ ٢٠٠٢م .
ـ السرجاني ، راغب
١٦٥- قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط١، مؤسسة اقرأ ـ القاهرة ـ ٢٠١١م .
ـ السهلي ، عبدالله بن دجين
١٦٦- الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها ، ط١ ، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ٢٠٠٥م .
ـ السيد ، عبداللطيف عبدالهادي
١٦٧- الأندلس الاسلامية سياسيا وحضاريا ، المكتب الجامعي الحديث ـ الاسكندرية ـ ٢٠١١م .
ـ شعيرة ، محمد عبدالهادي
١٦٨- المرابطون تاريخهم السياسي (٤٣٠ـ٥٣٩هـ) ، ط١ ، مكتبة القاهرة الحديثة ـ القاهرة ـ ١٩٦٩م .
ـ شبانة ، محمد كمال
١٦٩-الدويلات الاسلامية في المغارب ، ط١، دار العلم العربي ـ القاهرة ـ ٢٠٠٧م .
ـ الصاوي ، الصاوي محمد
١٧٠- دولة المرابطين ، ط١ ، دار طيبة للطباعة ـ الجيزة ـ ٢٠١٥م .
ـ الصابوني ، محمد علي
١٧١- النبوة والانبياء ، ط٣ ،مكتبة الغزالي ـ دمشق ـ١٩٨٥م .
ـ الصلابي ، علي محمد
١٧٢- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي ، ط٣ ، دار المعرفة ـ بيروت ـ ٢٠٠٩م ٠
١٧٣ - صفحات من التاريخ الاسلامي (دولة الموحدين) ، دار البيارق ـ عمان ـ ١٩٩٨م .
ـ طارو ، جان وجيروم
١٧٤- ازهار البساتين في اخبار الاندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين ،ترجمة : احمد بلا فريج ومحمد الفاسي ، المطبعة الوطنية ـ الرباط ـ ١٩٣٠م .
ـ فروخ ، عمر
١٧٥- تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط٤ ، دار العلم للملاين ـ بيروت ـ ١٩٨٣م ٠
١٧٦- تاريخ الادب العربي ـ الادب في المغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامي إلى أخر عصرملوك الطوائف ، ط٢ ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٨٤م .
ـ فكري ، احمد
١٧٧- قرطبة في العصر الاسلامي تاريخ وحضارة ، مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ـ ١٩٨٣م .
ـ ابو الفضل ، محمد احمد
١٧٨- شرق الاندلس في العصر الاسلامي (٥١٥ـ٦٨٦هـ/ ١١٢١ـ ١٢٨٧م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ـ ١٩٩٦م .

ـ الفيومي ، محمد ابراهيم
١٧٩- تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب والاندلس ، ط١، دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٩٧م .
ـ بن عاشور ، محمد الفاضل
١٨٠- اعلام الفكر واركان النهضة بالمغرب العربي ، مركز النشر الجامعي ـ تونس ـ ٢٠٠٠م .
ـ العبادي ، احمد مختار
١٨١- في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ـ ٢٠٠٣م .
١٨٢- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ـ (د٠ت) .
ـ العبادي ، أحمد مختار ؛ السيد عبد العزيز سالم
١٨٣- تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٦٩م .
ـ عبد الحميد ، سعد زغلول
١٨٤- تاريخ المغرب العربي، ط١، منشأة المعارف الاسكندرية ـ ١٩٩٥م .
ـ العروي ، عبد الله
١٨٥- مجمل تاريخ المغرب ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ ٢٠٠٠م .
ـ عزاوي ، أحمد
١٨٦- رسائل موحدية جديدة ، ط١ ، منشورات كلية الآداب بالقنيطرة ـ ١٩٩٥م .
ـ العمايرة ، محمد نايف
١٨٧- مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان ، ط١ ، عمان ـ الاردن ـ ١٩٩٩م .
ـ عمر ، أحمد مختار
١٨٨- معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط١، عالم الكتب ـ القاهرة ـ ٢٠٠٨م .
ـ عنان ، محمد عبدالله
١٨٩- دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي من دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الثاني ، ط٤ ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٩٩٧م .
١٩٠- دولة الاسلام في الاندلس العصر الثالث : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس : القسم الاول ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٩٩٠م .
١٩١- دولة الاسلام في الاندلس ـ عصر الموحدين ، مكتبة الخانجي ـ الاسكندرية ـ ٢٠٠٢م .
ـ عويس ، عبدالحليم
١٩٢- دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط٢، دار الصحوة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٩١م .
ـ غرميني ، عبد السلام
١٩٣- المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري ، ط١ ، دار الرشاد ـ الدار البيضاء ـ ٢٠٠٠م .
ـ كنون ، عبدالله
١٩٤- النبوغ المغربي في الادب العربي ، ط٢ ، طنجة ـ ١٩٦٠م .
١٩٥- مشاهير رجال المغرب في العلم والادب والسياسة ، ط١ ، مركز التراث الثقافي المغربي ـ دار ابن حزم ـ الدار البيضاء ـ ٢٠١٠م .
ـ المراكشي ، العباس بن ابراهيم السملالي
١٩٦- الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام ، راجعه : عبد الوهاب بن منصور ، ط٢ ، المطبعة الملكية ـ الرباط ـ ١٩٩٣م .
ـ المدني ، أحمد توفيق
١٩٧- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، المطبعة العربية ـ الجزائر ـ ١٩٤٥م .
١٩٨- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(١٤٩٢ـ ١٧٩٢م) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ (د.ت) .

ـ محمود ، حسن احمد
١٩٩- قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ١٩٥٦م .
ـ ابو مصطفى ، كمال السيد
٢٠٠- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية ـ ١٩٩٦م .
ـ المعجم الوسيط
٢٠١- تح : أساتذة من مجمع اللغة العربية ، ط٤ ، مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة ـ ٢٠٠٤م .
ـ مكي ، محمود علي
٢٠٢- التشيع في الاندلس إلى نهاية ملوك الطوائف ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ـ ١٩٥٤م .
٢٠٣- ديوان ابن دراج القسطلي ، ط١ ، منشورات المكتب الاسلامي ـ دمشق ـ ١٩٦١م .
ـ ابن المؤقت ، محمد بن محمد بن عبدالله المراكشي
٢٠٤- السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، ط ٣ ، مراجعة وتعليق : أحمد مفتكر ، المطبعة والوراقة الوطنية ـ مراكش ـ ٢٠١١م .
ـ مصطفى ، شاكر
٢٠٥- الاندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٩٠م .
ـ مصطفى ، إبراهيم وآخرون
٢٠٦- المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ـ (د ـ ت) .
ـ الميلي ، مبارك بن محمد
٢٠٧- تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم وتصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ـ دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ (د.ت) .
ـ مؤنس ، حسين
٢٠٨- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الاندلس ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ـ بورسعيد ـ٢٠٠٠م .
٢٠٩- فجر الاندلس ، دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الاموية (٧١١ـ ٧٥٦م) ، ط١ ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ٢٠٠٢م .
٢١٠- فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ (د . ت) .
٢١١- موسوعة تاريخ الاندلس فكر وتاريخ وحضارة وتراث ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ ١٩٩٦م .
٢١٢- معالم تاريخ المغرب والاندلس ، مكتبة الاسرة دار الرشاد ـ ٢٠٠٤م .
٢١٣- المساجد، عالم المعرفة ـ الكويت ـ ١٩٨١م .
٢١٤- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ـ مجلة المعهد المصري بمدريد ـ العدد الثالث ـ ١٩٥٥م .
ـ ابن المؤقت ، محمد بن محمد بن عبدالله المبارك الفتحي المراكشي (ت١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م)
٢١٥- السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، مطبعة البابي الحلبي واولاده ـ مصر ـ ١٩٢٢م
ـ المنوني ، محمد
٢١٦- حضارة الموحدين ، ط١ ، دار توبقال للنشرـ الدار البيضاء ـ ١٩٨٩م ٠
ـ بن منصور، عبدالوهاب
٢١٧- اعلام المغرب العربي ، المطبعة الملكية ـ الرباط ـ ١٩٧٩م .

ـ الناصري ، ابو العباس شهاب الدين احمد بن خالد
٢١٨- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ط١، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ؛ محمد الناصري ، دار الكتاب ــ الدار البيضاء ـ ١٩٥٤م .
ـ نصر الله ، سعدون عباس
٢١٩- دولة المرابطين في المغرب والاندلس عهد يوسف بن تاشفين امير المرابطين ، ط١، دار النهضة العربية ــ بيروت ــ ١٩٨٥م .
٢٢٠- دولة الادارسة في المغرب العصر الذهبي ، ط١ ، دار النهضة العربية ــ بيروت ــ ١٩٨٧م .
ـ وات ، منتغمري
٢٢١- في تاريخ اسبانيا الاسلامية ، مع فصل في الادب بقلم بيير كاكيا ، ط٢ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ بيروت ــ ١٩٩٨م .
ـ والي ، فاضل فتحي محمد
٢٢٢- الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الاندلسي ، ط١، دار الاندلس للنشر والتوزيع ــ حائل ــ ١٩٩٦م .

ثالثاً : الرسائل والأطاريح :

ــ بن بيه ، محمد محمود عبدالله
٢٢٣- الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ــ جامعة ام القرى ــ قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ــ ١٩٩٧م) .
ـ تراسون ، أبو الخير
٢٢٤- التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الاربعة منه ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة أم القرى ــ كلية الدعوة وأصول الدين ــ قسم العقيدة ــ مكة المكرمة ــ ٢٠٠٢م) ٠
ــ الحساني ، فايزة بنت عبدالله
٢٢٥- تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الاموية حتى سقوطها (٣١٦ ــ ٥١٢هـ/ ٩٢٨ ــ ١١١٨م) دراسة سياسية وحضارية ، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي غير منشورة (جامعة أم القرى ــ كلية الشريعة والدراسات الاسلامية) السنة الدراسية ــ ١٤٢٩ ــ ١٤٣٠هـ .
ـ الدليمي ، غازي فيصل صالح ذياب .
٢٢٦- المدرسة المالكية في العراق حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الأدب ــ جامعة الانبار ، ٢٠١٤م .
ـ ابن الذيب ، عيسى
٢٢٧- المغرب والاندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية (٤٨٠ــ ٥٤٠هـ/ ١٠٥٦ ــ ١١٤٥م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الجزائر ــ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ــ قسم التاريخ ــ ٢٠٠٩م) .
ــ زعرب ، بهاء حسن سليمان
٢٢٨- أثر الفكر الصوفي في التفسير دراسة ونقد ٠ رسالة ماجستير غير منشور (الجامعة الاسلامية ــ كلية أصول الدين ــ قسم التفسير وعلوم القران ــ غزة ــ ٢٠١٢م) .
ــ الشريف ، خالد بن عبدالله بن حسن ال زيد
٢٢٩- مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها دراسة سياسية اقتصادية ، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي غيرمنشورة (جامعة أم القرى ـــ كلية الشريعة والدراسات الاسلامية) السنة الدراسية ــ ١٤٢٥ ـــ ١٤٢٦م .
ـ عبدالقادر ، بوحسون
٢٣٠- الاندلس في عهد بني الاحمر دراسة تاريخية وثقافية (٦٣٥ــ ٨٩٧هـ/ ١٢٣٨ ــ ١٤٩٢م) ، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي (جامعة أبي بكر بلقايد ــ تلمسان ــ كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية) السنة الجامعية ٢٠١٢ ــ٢٠١٣م .

ـ العبدلي ، ناظم ابراهيم كريم محمد .
٢٣١- النزاعات الداخلية في الاندلس حتى نهاية عهد الإمارة (٩٥ ــ ٣١٦هـ/ ٧١٤ ــ ٩٢٨م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (كلية الاداب ــ جامعة الانبار ــ ٢٠٠٩م) .
ــ نجار ، ليلى أحمد
٢٣٢- المغرب والاندلس في عهد المنصور الموحدي ، دراسة تاريخية وحضارية (٥٨٠ ــ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ ــ١١٩٨م) ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي غير منشورة (جامعة أم القرى ــ كلية الشريعة والدراسات الاسلامية) السنة الدراسية ــ ١٩٨٩م .
ـ الهرفي ، سلامة محمد سلمان
٢٣٣- الاحوال السياسية واهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين(٥٠٠ــ ٥٣٧هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة ام القرى ــ كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ـ ١٩٨٢م) .

رابعاً : البحوث

ـ البدوي ، أمنة سليمان ؛ وامتنان عثمان الصمادي
٢٣٤- صورة يوسف بن تاشفين (ت٥٠٠هـ/١١٠٦م) في ضوء الروايات :التاريخية، والأدبية ، بحث منشور في المجلة الاردنية للتاريخ والاثار ــ المجلد السادس ــ العدد ٢ ــ لسنة ٢٠١٢م .
ـ بلامين ، عبد العلي
٢٣٥- مواقف المرابطين في دفع بغي السلاطين ، بحث منشور ، منتديات التاريخ الاسلامي ، (جامعة سيدي محمد بن عبدالله ــ كلية الآداب والعلوم الانسانية ــ ظهر المهراز ــ فاس ــ المملكة المغربية ــ ٢٠٠٥م) .
ـ حسين ، أسامة عبد الحميد
٢٣٦- فقهاء الدولة المرابطية وإحراق كتاب إحياء علوم الدين للأمام الغزالي ، بحث منشور ــ مجلة سر من رأى ــ العدد الأول ــ ٢٠٠٥م .
ـ زناتي ، أنور محمود
٢٣٧ - دور الفقهاء في الحياة الاجتماعية خلال عصر المرابطين ، بحث منشور ، مجلة كان التاريخية ــ العدد ٢٥ـ لسنة ٢٠١٤م .
ـ شلبي ، عمر راجح
٢٣٨- دور علماء الاندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري ، بحث منشور (كلية الاداب ــ جامعة الخليل ــ فلسطين) ــ مجلة الجامعة الاسلامية ــ م١٦ ــ العدد الثاني لسنة ٢٠٠٨م .
ـ العلام ، خالد سعد
٢٣٩- مصادر تجربة ابن مسرة الصوفية ، بحث غير منشور ــ جامعة عمر المختار ــ كلية الآداب ــ قسم التفسيرــ (د.ت) .
ــ كوربان ، هنري بالتعاون مع حسين نصر وعثمان يحيى
٢٤٠ - تاريخ الفلسفة الاسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد سنة (١١٩٨م / ٥٩٥هـ) ، ترجمة : نصير مروة ؛ حسن قبيسي ، راجعه وقدم له : الامام موسى الصدر ؛ عارف تامر ، ط٢ ، عويدات للنشر والطباعة ــ بيروت ــ ١٩٩٨م .



Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Anbar University / Faculty of Arts
Graduate Studies

The Internal Conflicts in Andalusia in the Era of Marabouts and Unitarians (1091-1244 AD/484 -642-AH)

By

Nadhim Ibrahim Karim Mohammed Abdali

To the Deanship of Faculty of Arts, University of Anbar, Which is a part of Requirements for a doctoral degree in Islamic history

Supervisor

Prof. Dr : Farouk Abdel-Razzaq al-Alusi

2015D **1437H**